



مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

النهوض باللغة العربية

والتمكين لها

إعداد

الدكتور نواز الدكتور محمود أحمد السيد

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

النُّهُوضُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

وَالنَّمَكِينَ هُمَا

مَجْمَعُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِبَيْرُوتِ

كُلُّ الْحَقِّ
مَحْفُوظٌ

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م



مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

النَهْوضُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

وَالنِّمَاطُ بِهَا

إعداد

الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَصْدِيرٌ

اللغة الأم هي هوية المرء، وهوية الأمة التي ينتسب إليها، وهي محور المنظومة الثقافية المتجذرة والأصيلة بلا منازع، وإذا ما فقد أي شعب لغته الأم فإن ذلك سوف يؤدي لا محالة إلى طمس ذاتيته الثقافية، وفقدانه هويته المميزة لأن اللغة جنسية من لا جنسية له، إنها وطن، ومن فقد لغته فقد وطنه.

ومفهوم الهوية وثيق الصلة دائماً بأصل الشخص وجذوره، وبالوشائج التي تربطه بالآخرين. وتتكون هويته الشخصية والاجتماعية والثقافية من خلال الانتماء والارتباط بالآخرين عبر سيرورة دينامية مستمرة، أداها في ذلك مختلف العناصر الثقافية والحضارية، معارفَ ومعتقداتٍ وأخلاقاً وأعرافاً وعادات، التي يكتسبها الطفل من خلال التنشئة الاجتماعية التي تؤدي فيها اللغة الأم دور الناقل والحامل في الوقت نفسه، فهي معين ثقافته وأداة تفكيره.

وتعد اللغة العربية الفصيحة لغتنا الأم لأنها توحد بين أبناء الأمة، شأنها في ذلك شأن الأم التي توحد بين أبنائها، وتحنو عليهم، وتشملهم برعايتها وعنايتها حباً وعطفاً واهتماماً.

وليست لغتنا العربية الفصيحة مقتصرة على أنها أداة تفكير وتأمل، ووسيلتنا للتعبير عن مشاعرنا وعواطفنا وأفكارنا، وسيلتنا للتفاهم والتواصل مع أبناء مجتمعنا، وإنما هي إضافةً إلى ذلك جامعة شملنا، وحدت بين العرب في مواضي الحقب بطريق القرآن الكريم، وما تزال هي أساس قوميتنا، والرابطة التي تجمع بين أبناء أمتنا، توحد بينهم فكراً ونزوعاً وأداءً ورؤى ومشاعر وآلاماً وآمالاً، تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً.

إنها ذاكرة الأمة ومستودع تراثها، وجسرها للعبور من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل، وهي قلعتنا الحصينة للذود عن هويتنا وذاتيتنا الثقافية، ووجدتنا القومية، وإن في إهمالنا لها اجتراناً لشخصيتنا من مسارها التاريخي ومن ثقافة مجتمعنا، فتغدو هذه الشخصية دون هوية، ويضيع طابعها، وتمحّي ملامحها.

إن الهوية تتضمن الانتماء، إذ إن الحاجة إلى الهوية لا تنفصل عن حاجة الإنسان إلى الانتماء، فالانتماء صفة أصيلة للهوية، ذلك لأن الانتماء الصريح يبرز الهوية الكامنة في النفوس، وإذا تلاشت الهوية تلاشى الانتماء.

وهويتنا العربية هي انتماء إلى لغتنا العربية وشعبنا العربي وتاريخنا العربي وأرضنا العربية وقرآنا العربي، فهي تبرز من خلال مستويات معينة، ويبقى للغة الأم الدور الأكبر في حمل الهوية وتبيان طابعها.

ولقد أسهمت لغتنا العربية في مسيرة الحضارة البشرية أيما إسهام، فكانت لغة العلم والثقافة، وطوّعت الثقافات القديمة لها، ثم أبدعت وابتكرت، وقدمت خلاصة تجاربها إلى أوروبا في مختلف ميادين المعرفة.

ولما كانت اللغة الأم هي وسيلة الطفل لاكتساب القيم والاتجاهات والمبادئ التي يتشربها من ذويه ومجتمعها لتشكّل شخصيته، وتتحكم في سلوكه عبر التنشئة الاجتماعية، كان الحفاظ عليها بالممارسة والاستعمال الدقيق والسليم والواضح أداة للتعبير الثقافي والتواصل الحضاري أمراً في غاية الأهمية.

ومن هنا كنا مدعوين جميعاً للوقوف أمام التحديات التي تواجه لغتنا الأم، متمثلة في العامية المستشرية التي تفرّق بين أبناء الأمة، لا بل إنها تفرّق بين أبناء القطر الواحد، وفي هيمنة اللغات الأجنبية واستعمالها على حساب لغتنا الأم، وهذا الأمر يؤدي إلى تهميش العربية الفصيحة وتقهرها، وفي التقهقر الاندثار والزوال.

ولا يعني الحفاظ على لغتنا الأم وثقافتها التقوقع وعدم الانفتاح على لغات أخرى واكتساب ثقافتها، وتعرّف إسهاماتها في مسيرة الحضارة البشرية، لأن في هذا الانفتاح وذلك التعرف إغناءً لثقافتنا دون أن يعني ذلك التفريط باللغة الأم، وإنما يعني الانفتاح الإيجابي، فالهوية العربية تتغذى من الموروث الثقافي العميق الجذور والممتد في تاريخنا العربي، كما تتغذى بمختلف الإسهامات الثقافية الأخرى التي تفرضها طبيعة العصر، والعمل على استيعابها وتمثلها، وإعادة صياغتها بما يتلاءم مع ثقافتنا العربية الأم صياغة تتمثل فيها أصالة الأمة من جهة، والإطالة على المستقبل الرحب من جهة أخرى، نظراً للدور الذي يمكن أن تؤديه اللغة الأم في التنمية الشاملة والمستدامة للمجتمع من طرف، وصياغة ملامحه وهويته وتماسكه من طرف آخر.

وإذا كانت المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» تدعو جميع الدول الأعضاء فيها إلى الاحتفال باليوم الدولي للغة الأم في ٢١ شباط من كل عام، فإن ذلك يجيء من أهمية اللغة الأم من حيث إنها مقوم أساسي لهوية الأفراد والجماعات، وعامل هام في تحقيق التنمية المستدامة لأنها السبيل إلى مكافحة الأمية، وتحقيق غايات التربية للجميع صغاراً وكباراً، والتنمية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

ولما كانت لغتنا الأم هي العربية الفصيحة التي وحدت بين أبناء الأمة ماضياً، وتوحد بينهم حاضراً ومستقبلاً، كان الحفاظ عليها واجباً على كل فرد من أبناء الأمة، إذ ليس ثمة أفسى من أن يكون الابن عاقاً تجاه أمه التي تمدّه بالدفع والحنان، فتوقظ مشاعره واهتماماته الحسية والحركية، لأن اللغة الممزوجة بعطف الأم وحنانها ودفتها تشعر الطفل بالامتلاء الوجودي، والتفاؤل بالحياة التي بدأ الانخراط فيها.

وانطلاقاً من المرحلة المبكرة من حياة الطفل التي تُبنى فيها شخصيته، وتتكون فيها قيمه واتجاهاته، بفضل ما يتمتع به من مرونة وقابلية للتشكل، يكون للوسط اللغوي

المفعم بالمحبة والرعاية والمتسم بالوضوح والدقة في استعمال الألفاظ والتراكيب اللغوية، وتسمية الأشياء بمسمياتها الصحيحة دور كبير في تحقيق تواصل وتفاعل جيدين.

وليست اللغة وسيلة للتعبير والتواصل فحسب، وإنما هي وعاء للفكر والثقافة، وبها يُدمج الفرد في ثقافة مجتمعه، إنها أداة تفكير وتأمل، فالإنسان يفكر لتنقل الرموز اللفظية أفكاره إلى الآخرين، فإذا لم يستوعب رموز لغته ودلالاتها الخاصة لم يستطع الاستجابة لكل الظواهر الاجتماعية والطبيعية التي تحيط به.

وبوساطة اللغة الأم يفهم المرء نفسه وذاته وعالمه، ولا يمكنه الاستغناء عنها إن في التعبير عن المشاعر والآراء، وإن في مناجاة النفس، ووصف الأشياء والأحداث المحيطة به، وإن في التفاهم والتواصل مع الآخرين.

ومن الملاحظ أن الطفل الذي ينشأ في أحضان لغة سليمة، وينهل من معينها الثر معرفته وقيمه واتجاهاته التي تشكل شخصيته ومقوماته الفكرية والوجدانية والثقافية، تتكون لديه قناعة تامة بقيمة لغته ومكانتها بين اللغات العالمية الأخرى، مما يجعله يعتز بها، ويحافظ عليها بالممارسة والاستعمال المناسب أداة للتعبير الثقافي والتواصل الحضاري.

إلا أن هذه المحافظة على لغتنا الأم لا تعني التقوقع وعدم الانفتاح على الثقافات الأخرى ولغاتها، وإنما تعني اكتساب اللغات الأجنبية إغناء لثقافتنا، كما سبقت الإشارة من قبل، وفي تراثنا العربي دعوة لاكتساب اللغات الأجنبية، إذ إن شاعرنا العربي يقول:

بقدر لغاتِ المرءِ يكثرُ نفعُهُ وتلك له عند الشدائدِ أعوانُ

فبادرْ إلى حفظِ اللغاتِ مسارعاً فكلُّ لسانٍ بالحقيقةِ إنسانُ

إلا أن هذه الدعوة إلى اكتساب اللغات الأجنبية ينبغي لها ألا تكون على حساب لغتنا الأم العربية الفصيحة، التي تعد أساس قوميتنا وذاكرة أمتنا ومستودع تراثها، وعنوان شخصيتنا العربية وذاتيتنا الثقافية، وهي تتسم بسمات متعددة تتمثل في الدقة في التعبير،

وفي الإيجاز والإعراب والغنى في الاشتقاق، والمرونة في مواكبة مستجدات العصر، والاستجابة لمقتضياته.

ولا يمكننا أن ننسى أن لغتنا الأم تواجه تحديات كبيرة على الصعيدين الخارجي والداخلي، فعلى الصعيد الخارجي وفي ظلال الهيمنة، تهيمن الثقافة ذات القطب الواحد ولغتها الإنكليزية على الصعيد العالمي على أن الإنكليزية هي لغة العلم والعمل والتواصل على جميع الصعد، بدءاً من النشر العلمي وتبادل الخبرات التقنية «التكنولوجية»، ومروراً بالتعليم العالي والتجارة والصناعة وغيرها وصولاً إلى التعليم الأساسي ورياض الأطفال. وهذا يعني ضمور اللغة العربية، واستعمالها في مجالات تقليدية محددة، وقد يزداد دور اللهجات العامية في تأثيرها في الفصحى، وتلقى هذه اللهجات تشجيعاً لبحوثها على الصعيد العالمي وتعليماً لها بدلاً من العربية الفصحى، إضافة إلى المحاولات الحثيثة لتهميش العربية في المحافل الدولية استناداً إلى ذرائع مختلفة وحجج واهية.

ومن التحديات أيضاً على الصعيد الخارجي ضآلة نسبة ما يُنشر باللغة العربية على الشبكة «الإنترنت» إذ إن أغلب صفحات المواقع المتوفرة على الشبكة الدولية «الويب» مكتوب بالإنكليزية. وثمة نقص رقمي على الشبكة «الإنترنت» بالعربية، إضافة إلى عدم اعتماد مواصفات محارف اللغة العربية مما يسبب الكثير من الإشكالات.

أما التحديات الداخلية التي تواجهها لغتنا الأم فتتمثل في الأمية، إذ إن في وطننا العربي ما يقرب من مئة مليون أمي، ونحن في العقد الأول من الألفية الثالثة، ومعظمهم من النساء، مما يؤثر سلباً في مسيرة التنمية، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي إذ يقول:

وإذا النساءُ نَشَأْنَ في أُمِّيَّةٍ رَضِعَ الرجالُ جِهالَةً وخبولاً
وإلى جانب الأمية هناك البيئة الملوثة لغوياً بأخطاء لغوية ولهجات عامية مستشرية، وكلمات أجنبية تحيط بك من كل جانب، وهناك ضبابية في تمثل أهداف تعليم اللغة

وتعلمها، وذلك في أذهان القائمين على تعليم اللغة وتعلمها، وبُعد في اللغة المختارة في المناهج عن الحياة النابضة الزاهرة، وتخلّف في طرائق تعليم اللغة وتعلمها، وإخفاق في غرس الشغف بالقراءة ومحبتها في نفوس المتعلمين، وإخفاق في إكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي، وقلّة ما يُترجم من الأجنبية إلى العربية، ومن العربية إلى غيرها، وقلّة البحوث العلمية التي تعالج مشكلات اللغة بالأساليب العلمية، وفتور في الانتباه والوعي اللغوي على نطاق الساحة القومية.

إن هذه التحديات التي تواجهها لغتنا الأم على الصعيدين الداخلي والخارجي، تتطلب منا وضع الخطط والسياسات اللغوية الرامية إلى العناية بلغتنا والمحافظة عليها، وإتقان مهاراتها، والارتقاء بها.

ولقد كانت سورية سبّاقة على نطاق الساحة العربية في مجال التعريب، وكانت سبّاقة في افتتاح مجمع يُعنى باللغة العربية، إذ إن مجمع اللغة العربية في سورية يعدّ أبا المجمع اللغوية العربية، فقد كان افتتاحه عام ١٩١٩ باسم المجمع العلمي العربي.

وها هي ذي الآن سورية سبّاقة في وضع خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية عام ٢٠٠٧، وفي تقديم مشروع «النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة» إلى مؤتمر القمة العربي الذي عقد في دمشق عام ٢٠٠٨، وأقره المؤتمر واعتمده بعد أن قدّم الشكر للجمهورية العربية السورية لمبادرتها الإيجابية لإطلاق هذا المشروع.

ويحاول الكتاب الحالي «النهوض بالعربية» أن يسلّط الأضواء على بعض التحديات التي تواجهها لغتنا العربية في عصرنا الحاضر، وأن يرسم بعض الصوَى لمواجهة هذه التحديات، والارتقاء بالواقع اللغوي.

ويشتمل الكتاب على عشرة فصول تناولت اللغة والهوية واللغة العربية والعولمة اللغوية، وواقع اللغة العربية في الثقافة والإعلام، وواقع الكفايات اللغوية لدى طلاب ما قبل

التعليم الجامعي، ومفاهيم ورؤى منهجية في تعليم العربية لأبنائها في المرحلة الجامعية،
وتدريس النحو بين التشدد والتسهيل، والمنحى الوظيفي في تعليم النحو، ودور المسؤولين
في نشر اللغة العربية في مؤسساتهم وتنميتها، وأخيراً مستقبل اللغة العربية ومتطلبات
العصر القادم.

وكلنا أمل في أن يكون في تسليط الأضواء على هذه التحديات ورسم بعض
الصوى لتجاوزها بعض من فائدة في النهوض بواقعنا اللغوي.

وأتوجّه بالشكر الجزيل إلى عضوي المجمع الزميلين الفاضلين الأستاذ الدكتور
مازن المبارك والأستاذ الدكتور ممدوح خسارة على الآراء التي أبدياها على مخطوطة هذا
الكتاب، كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأنسة ريم القزاز التي قامت بتنضيد المخطوطة
وإلى المهندس مازن الغراوي الذي قام بإخراج الكتاب، فجزاهم الله خير الجزاء.

وَقَفْنَا لِلَّهِ جَمِيعاً إِلَى مَا فِيهِ خِدْمَةُ أُمَّتِنَا الْعَرَبِيَّةِ وَلِغَتِهَا الْخَالِدَةِ.

وَاللَّهُمُّ لِمَنْفِقْ

المؤلف

الفصل الأول

«اللغة والهوية»

محتويات الفصل:

أولاً - مدخل تعريفي

ثانياً - الترابط بين اللغة والهوية

ثالثاً - واقع الهوية واللغة العربية

رابعاً - من تجارب الآخرين

خامساً - من أساليب الحفاظ على اللغة والهوية

الفصل الأول

اللغة والهوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحاول في هذا الفصل الموجز أن نقف على مدخل تعريفي للغة والهوية، وأن نبين الترابط بينهما، ثم نسلط بعضاً من ضوء على واقع اللغة العربية والهوية، ونشير إلى بعض من تجارب الآخرين في حفاظهم على لغتهم على أنها عنوان لهويتهم، لنصل أخيراً إلى تقديم عدد من التوصيات الرامية إلى الحفاظ على لغتنا العربية رمز هويتنا القومية.

أولاً- مدخل تعريفي

اللغة أخذت من الفعل «لغا أي تكلم ومضارعه يلغو»، وهي على وزن فُعلة فأصل لغة لُغوة فحذفت واوها وجمعت على لُغات ولُغون، واللغو هو النطق، يقال: هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون، وثمة من يرى أن لفظ «لغة» قد يكون مأخوذاً من «لوغوس» اليونانية ومعناها «كلمة»^(١).

وجاء في لسان العرب أن اللغة «هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(٢)، وفي دائرة المعارف الفرنسية الكبرى ورد أن اللغة هي استطالة للنشاط البدني كله بما فيه من قسامات وتأشيرات بالأعضاء، ولكن هذه الاستطالة تتطور شيئاً فشيئاً لتصل إلى تلك الصور المجردة من الكلام»^(٣).

(١) الدكتور محمود أحمد السيد- في طرائق تدريس اللغة العربية- منشورات جامعة دمشق- ٢٠٠٨ ص ٩.

(٢) ابن منظور المصري- لسان العرب- ج ٢٠- الطبعة الأولى- المكتبة الميرية ببولاق مصر- ١٣٠٠ هـ ص ١١٦.

(3) Encyclopedie la grande (1885-1901) Art: Parole

وجاء في دائرتي المعارف البريطانية والعلوم الاجتماعية أن للغة الأصوات أفضلية عند الأمم على بقية صور الاتصال الأخرى من كتابة وإيماءات وغيرها، وهذه الصور الأخرى تتمم لغة الكلام من غير أن تعوض عنها كلياً»^(١).

أما في المدرسة الروسية فإن لغة الأصوات كانت على الدوام لغة المجتمع البشري الوحيدة القادرة على أن تكون وسيلة مقبولة تماماً للتواصل بين الناس، وأن لغة الإشارات والأيدي ليست لغة تستطيع في شكل أو آخر أن تنوب مناب اللغة الصوتية، ولكنها وسيلة رديفة ذات إمكانات محدودة جداً يتوكأ عليها الإنسان لإبراز هذا المقام أو ذلك من كلامه»^(٢).

ويرى عالم النفس الروسي «بافلوف» أن ثمة إشارات أولية لدى الإنسان والحيوان، إلا أن الإشارات لدى الإنسان تطورت وتكاملت لتغدو إشارات من الدرجة الثانية، وهي إشارات تلك الإشارات الأولية في صورة كلمات منطوقة مسموعة ومرئية»^(٣).

ونخلص من التعاريف السابقة إلى أن اللغة مفهوم منظومي شمولي متكامل يشتمل على الإيماءات والإشارات والأصوات والرموز المكتوبة وجميع صور التعبير من موسيقا ونحت وتمثيل ورسومات.. الخ، وأن التعبير بأصوات مقطعية ما هو إلا أحد أشكال اللغة. والهوية لغة مصدر صناعي نسبة إلى «هو» أو «الهو» الذي هو في اصطلاح الفلاسفة الغيب أو الحقيقة المطلقة أو الله^(٤)، والهوية أيضاً هي باطن الشخص الدال على حقيقته أو حقيقة الشيء من حيث تميزه عن غيره، وفي حياتنا المعاصرة نطلق اسم الهوية على البطاقة التي يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله، وهي البطاقة الشخصية.

(1) Sociol sciences- Encyclopedia, Article, language

(٢) الدكتور ميشال عاصي مترجم كتاب «دراسات لغوية في ضوء الماركسية» - دار ابن خلدون - بيروت - ط ١- ١٩٧٩ ص ٧.

(٣) المرجع السابق ص ٣٥

(٤) الدكتور محمد عابد الجابري - الموسوعة الفلسفية العربية - معهد الإنماء العربي - بيروت ١٩٨٦ مج ٢

وللهوية تعريفات عديدة عند الفلاسفة والمتصوفة وعلماء النفس والرياضيين والمناطقية.. الخ. وثمة من حصرها بالحقيقة والماهية والذات والوحدة والاندماج والانتفاء والتساوي والشابه. والهوية تكون هوية فرد كما تكون هوية جماعة، فعلماء النفس يرون أن الهوية هي وحدة ذات الشخص في مراحلها المختلفة طفلاً وشاباً وكهلاً وشيخاً، وعلماء الاجتماع يرون في اللغة مظهراً من مظاهر الهوية أو الوجود.

والهوية نسيج يتكون من عدة خيوط كل خيط منها يمكن أن يكون نسيجاً، ويتحول إلى هوية، كما أن كل خيط يمكن أن يتآخى مع خيط أو أكثر لتشكيل هوية واحدة، وقد يحظى خيط ما بدرجة أكبر من القوة، ويغطي على ما عداه، ويكون أفصح حضوراً لدى الجماعة نفسها، وفي عقول الجماعات الأخرى عنهم، ويقال: إن هوية هذه الجماعة لغوية أو تاريخية أو دينية أو جغرافية.. الخ مما يعني أن العنصر الطاغية هو هذا أو ذاك، دون أن يلغي ذلك دور العنصر الآخر أو العناصر الأخرى.

وقد تكون الهوية جزئية يسيرة خاصة بشيء أو إنسان بعينه، وقد تكون كلية مركبة خاصة بجماعة أو شعب أو أمة، وكلما اتسعت الهوية لتشمل أفراداً كانت أكثر تعقيداً وتشابكاً وتركيباً.

وثمة من يرى «أن الهوية ليست ثابتة، إنها متحول ومتغير، وهي ليست كاملة دون تغيير باعتبارها معطى سرمدياً ساكناً ونهائياً وغير قابل للتغيير، ولكن ذلك لا يعني إنكار وجود بعض ثوابت الهوية مثل الدين واللغة، مع أن هذه تخضع أيضاً لنوع من التغيير من خلال فهمها وتفسيرها وتأويلها وقدرتها على تقبل الجديد»^(١).

وإذا كانت الهوية كلاً، واللغة مكوّن أساسي في نسيج هذا الكل كان لا بدّ لنا من وقفة مستأنية على العلاقة بين الهوية واللغة.

(١) الدكتور عبد الحسين شعبان - العروبة والدولة المشوذة - مؤتمر العروبة والمستقبل - دمشق ٢٠١٠ ص ١٤٧.

ثانياً. الترابط بين اللغة والهوية

غني عن البيان أن اللغة والهوية خاصيتان إنسانيتان، لأن الإنسان وحده هو الذي يملك الوعي والشعور بالذات وبالأخر، وكل منهما مرتبط بالعقل، وقد وجدتا مع وجود الإنسان على هذه الأرض، وكل منهما مركب يشتمل على أجزاء متداخلة، ولا يمكن فصل بعضها عن بعضها الآخر، وإذا كانت اللغة تشمل طرائق التفكير والتاريخ والمشاعر وإرادة الناس وطموحاتهم وشكل علاقاتهم فإن الهوية هي هذه العناصر في كليتها وتركيبها، فاللغة والهوية وجهان لعملة واحدة، ذلك أن الإنسان في جوهره ليس إلا لغة وهوية، اللغة فكره ولسانه وفي الوقت نفسه انتماؤه، وهذه الأشياء هي حقيقته وهويته وإنيته. وقديماً قال سقراط لمخاطبه: «تكلّم حتى أراك» إذ لا يمكنه أن يتعرف شخصية مخاطبه إلا من خلال كلامه، وهذا ما أشار إليه المتنبّي أيضاً عندما يقول:

أصادق نفس المرء من قبل جسمه وأعرفها في فعله والتكلم
وقديماً قيل: «المرء بأصغريه قلبه ولسانه».

والهوية لا تولد مع الإنسان ولا تتشكل مرة واحدة، كما أنها ليست حراكاً في داخله، بل هي ذات علاقة وثيقة بالمحيط، شأنها في ذلك شأن اللغة والثقافة، إذ إن هوية الإنسان يرسمها ويحدد شكلها وألوانها ما يرد إليه من خارجه، فهي جزء من هوية مجتمعه، أو تحمل على الأقل بعض ملامح هذا المجتمع.

والمجتمع المقصود ليس المجتمع الحاضر فقط، وإنما هو الوسط الاجتماعي الذي يراه المرء ويتفاعل معه، إضافة إلى المجتمع التاريخي أو تاريخ الجماعة التي ينتمي إليها، والتاريخ كل مركب فيه العلوم والمعارف والمواقف والذكريات والمشاعر أفرحاً وأتراحاً والتجارب إيجاباً وسلباً، فذلك كله يسهم في تشكيل هوية الفرد كما يسهم بالقدر نفسه في تشكيل هوية الجماعة كلها^(١).

(١) الدكتور فيصل الحفيان - اللغة والهوية إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات - مجلة التسامح - العدد

الخامس بمسقط - وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

وليس الزمن - ماضياً وحاضراً بما فيه ومن فيه - هو وحده صاحب التأثير في بناء ملامح الفرد والجماعة، فهناك أيضاً المكان (الجغرافيا)، فله دوره أيضاً في صياغة الهوية. وثمة عنصر آخر يفوق تلك العناصر مجتمعة هو عنصر الفكر أو الرؤية أو الفلسفة وما يرتبط بذلك من ثوابت ترى الجماعة نفسها من خلالها، كما ترى علاقاتها والعالم من حولها، ويندرج تحت هذا العنصر الدين، وما الدين إلا رؤية للذات والآخر والكون، كما تندرج اللغة حاملة منظومة القيم والرؤى والتصورات.

وكلما كان الفكر الذي تعبر عنه اللغة عميقاً وقادراً على النفاذ إلى حقائق الأشياء وجوهرها، كان أكثر قدرة على بناء الإنسان وربطه بأولئك الذين يشتركون معه في ثوابته الفكرية وتوحيده معهم وصياغته وصياغتهم في بوتقة واحدة. وثمة عناصر أخرى مثل الإرادة المشتركة والمصالح الاقتصادية وغيرها إذ يرى بعضهم أنها عوامل مهمة في بناء الهوية. ولا يمكننا أن نتخيل مجتمعاً دون هوية ثقافية تميزه، ذلك لأن الثقافة هي المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف، واللغة هي محور الثقافة وحاملتها والمعبرة عنها، وإن تعزيز الهوية الثقافية والمحافظة عليها وتعميق جذورها لا يتنافى مع الانفتاح على الآخر والحوار معه والأخذ من إيجابياته.

ويؤكد «صموئيل هنتنجتون» صاحب كتاب «صراع الحضارات» أن اللغة والدين هما العنصران المركزيان لأي ثقافة أو حضارة، وإذا ما تحقق الانتصار فيهما أصبح من السهل الهيمنة على الحضارة المعادية واستتباعها.

ولما كانت اللغة محور الثقافة ووسيلة من وسائل التفكير الذي يحدد رؤية العالم ونواميسه كانت معرفتها أهم ركيزة لتحسين الهوية والذات والشخصية، والهوية مفهوم ذو دلالة لغوية وفلسفية واجتماعية وثقافية، ويتضمن الإحساس بالانتماء القومي والديني والاثني.

وإذا كانت اللغة هي الأساس الصلب الذي تقوم عليه الأمة فإن الهوية في الواقع هي خاصية اللغة ووظيفتها الأساسية.

وفي المدرسة الألمانية القائمة على فلسفة «هيجل» المثالية ثمة تركيز على أن أساس القومية (الهوية) ومعيارها الصحيح هو اللغة فهي القوة الخفية التي تحرك الأفراد وتوجه المجتمع، وفي هذا الإطار يرى «هردر» أن قلب الشعب إنما ينبض في لغته، وأن روح الشعب تكمن في لغة أسلافه، وهي الوعاء الذي استودعه الشعب كل ما أنجزه من نفائس الفكر وذخائر الأعراف والفلسفات والعقائد».

ويقول «فيخته»: إن الذين يتكلمون بلغة واحدة يشكلون كياناً واحداً متكاملًا ربطته الطبيعة بروابط متينة وإن تكن غير مرئية»^(١).

وإذا كان الألمان يركزون على العرق واللغة فإن الفرنسيين يركزون على الإرادة أو المشيئة التي تقوم على الجغرافيا والاقتصاد، ويركز الماركسيون على الاقتصاد والجغرافيا إلى جانب اللغة والتاريخ والتكوين النفسي الثقافي.

إلا أن هذه المدارس كافة لم تكن لتغفل اللغة، إذ يرى بعضها أن اللغة مكون أساسي في بناء الأمة ووحدها، وقد لجأ إليها في توحيد الكلمة وبناء القومية، فالوحدة الألمانية والوحدة الإيطالية قامت على أساس وحدة اللغة، وعلى أساسها قامت القومية البولونية والبلغارية واليونانية... الخ.

(١) الدكتور محمود أحمد السيّد - اللغة العربية وتحديات العصر - الهيئة العامة السورية للكتاب بوزارة

الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٨ ص ٤٧.

ثالثاً. واقع الهوية واللغة العربية

ألغى بعض المنظرين دور بعض الخيوط في نسيج الهوية على نطاق الساحة العربية، إذ إن دعاة القومية العربية يركزون على اللغة والتاريخ في بناء الأمة، في حين أن القوميون السوريين يركزون على الجغرافيا (الأرض)، وأن الإسلاميين يركزون على الدين.

ويرى المفكر القومي ساطع الحصري أن اللغة هي روح الأمة وحياتها، وأنها محور القومية وعمودها الفقري، وهي من أهم مقوماتها وشخصياتها، وأنها أس الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية إلى جانب التاريخ، إذ يقول: «إن الأمم يتميز بعضها عن بعض في الدرجة الأولى بلغتها»^(١)، وإن حياة الأمة تقوم قبل كل شيء على لغتها، وإن الأمة التي تنسى تاريخها فإنها تفقد شعورها، وتستطيع أن تستعيد وعيها وشعورها بالعودة إلى تاريخها القومي، ولكنها إذا فقدت لغتها فإنها تفقد الحياة وتغدو في عداد الأموات، ولم يبق سبيل إلى عودتها إلى الحياة فضلاً عن استعادتها الواعي والشعور»^(٢).

وإذا ألقينا نظرة على واقع لغتنا العربية عبر التاريخ فإننا نلاحظ أن العرب في جاهليتهم كانوا يستعملون لهجات متباينة، وكان يطلق على كل من هذه اللهجات لغة، إذ إن العرب استعملوا كلمة «لغة» وكلمة «لغات» على اللهجات التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية، وترتبط كل منها بقبيلة أو مجموعة قبائل تعيش في حيز جغرافي «الحجاز، اليمن»، وقد تنسب اللغة إلى القبيلة لا إلى المكان «تميم»، فكانوا يقولون: لغة أهل الحجاز، ولغة أهل اليمن، أو لغة بني تميم، كما يقولون: لغة قريش، ولغة هذيل. وعندما جاء اللغويون الذين عنوا بجمع اللغة وتقييدها استخدموا لفظ «اللغة» الاستخدام عينه،

(١) الحصري - أبحاث مختارة في القومية العربية - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٨٥ ص ٢٩.

(٢) مركز دراسات الوحدة العربية - معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة - ساطع الحصري

ثلاثون عاماً على الرحيل - ص ١٦٤.

فإذا أرادوا التعبير عن اللغة من حيث هي لغة القبائل العربية جميعاً، استخدموا أيضاً «لغة» و«العربية»^(١).

وعندما نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين على قلب الرسول العربي الكريم ﷺ نزل بلغة قريش، وكانت القاسم المشترك للهجات العربية، وكانت أوسع اللغات انتشاراً في الجزيرة العربية، وكان للعامل الديني والعامل الاجتماعي والعامل التجاري في قريش أثر في تهيئة المناخ الملائم لنشوء لغة عربية مشتركة بين القبائل، إضافة إلى العامل الثقافي. ولقد خضعت اللغة العربية للقرآن الكريم وتأثرت به، فاتسعت مادتها، وتشعبت أغراضها ومعانيها بالتعبير عن عقائد الدين الجديد ومقتضيات الحضارة ومصطلحات العلوم، وتهذبت ألفاظها، ورقت أساليبها، وأكسب القرآن الكريم اللغة عذوبة في اللفظ، ورقة في التراكيب، ودقة في الأداء، وقوة في المنطق وثروة في المعاني، ووسع دائرة اللغة باستخدامه الألفاظ الدينية كالصلاة والزكاة والصيام والركوع والسجود والمؤمن والكافر... الخ.

واستطاعت اللغة العربية إبان انطلاقتها وتوسعتها أن تمثل نموذج اللغة التي يحرص المثقفون من غير أبنائها على أن يتحلوا بمعرفتها، بل استعارت حروفها كثير من اللغات الأخرى وخاصة اللغات الإسلامية لكي تكتب كلماتها بها، ومن بينها اللغة الفارسية في إيران وأفغانستان، واللغة الأوردية في الهند وباكستان، فهاتان اللغتان كانتا - وما تزالان - تكتبان بالحروف العربية، لكن لغات إسلامية أخرى كانت تكتب بالحرف العربي وتخلت عن تلك الحروف نتيجة للتخطيط المحكم لمحاربة العربية في القرن العشرين. وفي مقدمة هذه اللغات اللغة التركية التي غيرت حروفها إلى اللاتينية بعد سقوط الخلافة العثمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وتبعتها في ذلك اللغات المنتشرة في سهول آسيا الإسلامية في

(١) الدكتور فيصل الحفيان - العلاقة بين اللغة والهوية - شبكة الألوكة - ٥ / ٩ / ٢٠٠٩.

منطقة تركستان، والتي تقاسم النفوذ عليها الصين والاتحاد السوفيتي السابق بعد الحرب العالمية، وحاولوا بتخطيط محكم وثورة ثقافية على مدى ثلاثين عاماً إزالة الحرف العربي، وتحريم الكتابة به، كما حدث الشيء نفسه في اللغات الإفريقية التي كانت تكتب بالحروف العربية، وعلى رأسها اللغة السواحلية في شرق إفريقيا، والتي ظلت تكتب بحروف عربية، حتى سنة ١٩٦٤ حينما صدر قرار بإزالة الحروف العربية ووضع اللاتينية مكانها^(١).

وإذا كان أبناء الأمم الإسلامية غير العربية يرومون معرفة العربية لأنها لغة الدين الإسلامي، لغة القرآن الكريم، فإن معرفتها من الدين كما يقول ابن تيمية «إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

ومع أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، إلا أنه لم يتوجه إلى العرب وحدهم وإنما إلى الناس كافة، وها هو ذا العقاد يقول في هذا الصدد: «لقد قيل كثيراً إن اللغة العربية بقيت لأنها لغة القرآن، وهو قول صحيح لا ريب فيه، ولكن القرآن الكريم إنما أبقى اللغة لأن الإسلام دين إنسانية قاطبة، وليس بالدين المقصود على شعب أو قبيل، وقد ماتت العبرية وهي لغة دينية أو لغة كتاب يدين به قومه، ولم تمت العبرية إلا لأنها فقدت المرونة التي تجعلها لغة إنسانية، وتخرجها من حظيرة العصبية الضيقة التي وضعها بها أبناؤها منذ قرون»^(٢).

أما العروبة فليست مفهوماً عرقياً أو عنصرياً، بل هي هوية ثقافية موحدة تؤدّي اللغة العربية دور الحاضن والمعبر عنها والحافظ لتراثها، كما أنها تمثل إطاراً حضارياً مشتركاً مرتكزاً

(١) الدكتور أحمد درويش - أهمية اللغة العربية في المحافظة على الهوية وتوطين المعرفة - شبكة الألوكة

٢٠١٠/٧/٣١.

(٢) أحمد محمد جمال - اللغة العربية لسان وكيان - مجلة البحوث الإسلامية - العدد الأول ص ٩١.

على القيم الروحية والأخلاقية والإنسانية، ويعمق جذوره التنوع والتعدد والانفتاح على الثقافات الإنسانية الأخرى دون الذوبان بها، ناهيك عن مواكبة التطورات العلمية والتقنية المتسارعة والرقمي بأدائها إلى مستوى المنافسة وعدم الاستكانة والذوبان وفقدان التميز.

وإذا كانت الثقافة منظومة من الفكر والعقيدة والقيم والأدب والأعراف إلى جانب المكتشفات والآثار المادية فإن القومية أسرة واحدة يسري دمها لغة على ألسنة أبنائها، والهوية هي الرمز المعبر عن الشخصية لغة وثقافة وقومية أي لساناً وعقلاً ووجداناً.

لقد كانت اللغة العربية عروة تجمع الماضي بالحاضر ثقافة وتطبع الناطقين بها هوية، إنها الجيل الذي توصلت به ثقافة أمتنا منذ نشأت، وهي إلى اليوم الحبل الذي يجمع الأمة على تباعد أبنائها مكاناً في وحدة لغوية ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي إذ يقول:

ويجمعنا إذاً اختلفت بلاد بيان غير مختلف ونطق

كما يقول المجمع الدكتور عبد الكريم اليافي رحمه الله:

مهما تقاربت الأقطار أو بعدت فنسبة الضاد عندي أشرف النسب

إن لغتنا العربية هي التي تربطنا عبر الزمان بتاريخ أمتنا الماضي، وهي رابطتنا على امتداد المكان بالناطقين بها فوق كل أرض بلا توقف عند حدود أو سدود، إنها تعلق فوق الزمان والمكان لتترك في كل ناطق بها أنه واحد من جماعة وأنه مواطن من أمة. إنها تملأ العربي إحساساً وانتماءً إلى كل من تكلم بها ماضياً وكل من يتكلم بها حاضراً، وكل من سيتكلم بها مستقبلاً، وما الشعور القومي إلا امتلاء الفرد بروح أمته، والعربية روح من روح الأمة.

ومادامت العربية روح الأمة واللغة الأم لأبنائها، فهل كان الأبناء بررة بأمهم؟

وهل عملوا على رعايتها وصونها؟

يدلنا الواقع المعيش فيه أن الجهات المعادية لوحدة أمتنا العربية تعمل على إبعاد

الطابع العربي الذي يميز الشخصية العربية وتقانتها، ومحور هذه الثقافة اللغة، وتسعى إلى

النيل منها عندما تتهمها بالصعوبة والجمود والتخلف وعدم مواكبة روح العصر، وعندما تروّج للعامة على أنها لغة الحياة وليست الفصيحة لغة الحياة، وعندما تدعو إلى تعليم العلوم باللغات الأجنبية بحجة قصور الفصيحة عن استيعاب النهضة العلمية. ومن الواضح أن الأهداف البعيدة لهذه الدعوات هو تفتيت الأمة العربية وترسيخ التجزئة والانفصال بين أقطارها، وإبعاد ماضيها عن حاضرها كي لا يكون عاملاً إيجابياً لها للمضي في دروب الإبداع والابتكار^(١).

وغني عن البيان أن من أغراض الاحتلال الأمريكي للعراق خلق عراق غير عربي، وهذا ما عبر عنه بصراحة كنعان مكية أحد منظري الاحتلال الأمريكي للعراق. وكانت ثمة تهيئة لهذه الغاية من قبل ففي العام ١٩٩١ أعادت الإدارة الأمريكية تعريف هوية العراق خلال تعيينها المنطقتين الآمنتين في شمال البلاد وجنوبه، وقد عرّفت العراق بصفته ثلاث مناطق مقسمة على أساس اثني ومذهبي، منطقة شمالية كردية، ومنطقة وسطى سنية، ومنطقة جنوبية شيعية، يجمع بين هذه الهويات نفي هوية العراق العربية^(٢).

ومن الملاحظ أن أعداء الأمة يرومون إبعاد الصفة العربية عن المنطقة العربية عبر مشروعاتهم المشبوهة من خلق شرق أوسط جديد ومن شراكة أوروبية متوسطة ومن إبعاد اللغة العربية وتهميشها في التعليم والإدارة، واتهامها بالتخلف.

أن تنطلق هذه الدعوات من أعداء الأمة أمر طبيعي نظراً لأن هؤلاء يدركون كل الإدراك ويؤمنون أعمق الإيمان أن اللغة العربية الفصيحة هي الرابطة التي تجمع بين أبناء الأمة العربية في جميع أصقاعهم، وأن هجران أبناء العربية للغتهم يؤدي إلى تفتيت عرى هذه الأمة وإبعادها عن ماضيها.

(١) الدكتور محمود السيد - أثر اللغة في المكون العربي - مؤتمر العروبة والمستقبل - دمشق ٢٠١٠ ص ٨٧.

(٢) الدكتور فواز طرابلسي - العروبة والإيديولوجيا القومية - مؤتمر العروبة والمستقبل - دمشق ٢٠١٠ ص ٥٤.

وأن نسمع هذه الصيحات من هؤلاء أمر لا يدعو إلى الدهشة والاستغراب. أما أن يحمل لواء هذه الدعوة نفر من أبناء العربية في أهم قطاعين من قطاعات المجتمع العربي الإعلام والتعليم فهذا أمر ممزق ومؤرق ومؤلم، وكأن نفراً من أبناء الأمة ينفذ بيديه ما عجز الاستعمار عن تنفيذه^(١).

إن في إبعاد العربية عن التعليم العالي والبحث العلمي عزلاً للغة العربية عن العلم، وعزلاً للناطقين بها عن العلم، ووأداً للعلم في الوطن العربي، وجعله مستورداً لا نحصل منه إلا على ما يريد أصحابه أن يصل إلينا منه، ولم يبق في الدنيا غير العرب يعلمون في جامعاتهم بغير لغتهم^(٢).

وإن انتشار الجامعات الأجنبية في البلاد العربية من المغرب إلى الخليج حتى بات لا يخلو قطر عربي من عدد من الجامعات الأجنبية من أمريكية وفرنسية وغيرها أمر تفاقمت حدته في السنوات الأخيرة.

وهذه الجامعات الأجنبية مصانع لتخريج أجيال تؤثر الثقافة التي تثقت بها واللغة التي تعلمت بها، إنها بؤر غريبة لغزو عقول الأجيال العربية وستكون لها آثارها البعيدة على أمننا القومي والديني والوطني لتمتعها بالاستقلال في مجال التدريس والمناهج واستقدام الأجانب تحت مظلة جنسية الجامعة.

وخريجو هذه الجامعات في البلاد العربية هم الذين يضعون تحت أيدينا بنزوعهم وميوههم البوصلة التي ترشدنا إلى الطريق الذي تسير فيه الأمة إلى المستقبل الذي ستؤول إليه^(٣).

(١) الدكتور محمود السيد- أثر اللغة في المكون العربي - مؤتمر العروبة والمستقبل - مرجع سابق ص ٨٧.

(٢) الدكتور مازن المبارك- العربية نسب وهوية - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد ٨٥ ج ٢

عام ٢٠١٠ ص ٣٥٨.

(٣) المرجع السابق ص ٣٥٢.

وها هي ذي صيحة تنطلق من دول الخليج ينبه فيها صاحبها الكاتب محمد علي الهرفي على خطورة الوضع قائلاً: «مصيبتنا في بلادنا لا تتوقف عند حدود الجامعات التي تدرس بالإنجليزية، بل تعدتها إلى المدارس، فبعض الدول العربية تعلم الصغار بغير لغتهم فينشأ هؤلاء غربيين عن ثقافتهم لا يكادون يعرفون منها شيئاً، وكل مرتبط بثقافة البلد الذي درس لغته، والابتعاد عن الثقافة ابتعاد عن الدين والهوية والانتماء الوطني الحقيقي، ولك أن تتخيل ماذا سيحصل لبلد أبناؤه أبعد شيء عنه»^(١).

ويتابع قائلاً:

وتكبر المأساة في دول تجعل اللغة الإنجليزية هي الأساس في مكاتباتها وفي شركاتها وفي عقودها الداخلية بين أبنائها مهما صغر حجم هذه العقود مثل عقد استئجار منزل مثلاً كأن لغتهم تعجز عن استيعاب هذه المسائل.

أما الفنادق فحدث ولا حرج، فكل العاملين فيها لا يتكلمون بلغتهم، وجرب أن تتصل بفندق في أي مكان في بلادنا فستستمع إلى محدثك وهو يجيبك بغير لغته ولغتك! أي مصلحة في ذلك؟ وهل رأيتم أي دولة في العالم تفعل مثل ما نفعل في كل بلادنا العربية؟ ثم التفت إلى اللوحات التي تملأ الشوارع فسترى أن الإنجليزية غالباً هي المتصدرة، وكأن كل فرد في المجتمع لا يعرف إلا هذه اللغة، ثم التفت إلى اللوحات المماثلة في أي بلد في العالم فهل سترى كلمة عربية على لوحاتهم؟^(٢).

ولا يسعنا إلا أن نسأل بعد هذا كله: هل لمصلحة العرب استبعاد لغتهم من الحياة واعتماد اللغة الأجنبية مكانها؟ أليست اللغة العربية هي الرابطة التي تربط الفرد العربي بدينه وثقافته وعاداته وتراثه العلمي كله؟ أليس في فقد اللغة فقدان للهوية والانتماء؟

(١) محمد علي الهرفي - صحيفة الوسط البحرينية - العدد ٤٢٦ الثلاثاء ٢٨ نيسان «أبريل» ٢٠٠٩.

(٢) المرجع السابق.

أليست اللغة العربية بما تتسم به من خصائص قادرة على مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة وهي التي ورثت كنوز الأرض علماً وحكمة من قبل؟ وما أجمل قول الباحث أحمد محمد جمال في هذا الصدد: «إن اللغة العربية الولود الودود، الغنية والسخية، ليست عاجزة عن مسيرة ركب العلم الحديث، وإنما أبناؤها العاقون هم العاجزون، وهم الذين يخربون بيوتهم بأيديهم، ويطفئون نور حضارتهم بأفواههم، ويطمسون معالم شخصيتهم العربية الإسلامية الأصيلة بأرائهم المنحرفة»^(١).

وفي الوقت الذي نرى فيه نفرأ من أبناء أمتنا يعملون بوعي أو بلا وعي على إبعاد لغتهم عن الحياة بأيديهم فاسحين في المجال للغات الأجنبية أن تسود في تعليمهم مكان لغتهم، وأن تمتد السيادة إلى سائر مرافق المجتمع فإننا نلاحظ تهميش العربية وانكفاءها لتحتل مرتبة متأخرة في بعض أصقاع الوطن العربي، ففي مدونة «لغتي هويتي» يشير الدكتور وائل عزيز إلى أن ثمة إحصاء أجري في دبي أسفر عن أن اللغة العربية هي اللغة الرابعة من حيث الانتشار: الأولى الأردنية، والثانية الإنجليزية، والثالثة لغة «فيه معلوم» وهي خليط من العربية والأردنية والإنجليزية والروسية ابتكره المقيمون في دبي للتواصل في المحلات وسيارات الأجرة، والرابعة كانت اللغة العربية.

وفي معظم الدول العربية يندر أن تجد إعلاناً عن وظيفة محترمة مكتوباً باللغة العربية، بل وتجد دائماً الشرط الأساسي لمؤهلات المتقدم للوظيفة وترجمتها أن يجيد الإنجليزية تحدثاً وكتابة، ويعد التحدث بالعربية ميزة إضافية.

وثمة من يشير إلى أن من المفارقات أنه في الوقت الذي تتعرض فيه اللغة العربية وحروفها للإهانة في أغلب أقطار الوطن العربي فإن بعض الدول غير العربية ما تزال تتمسك بالحرف العربي في لغتها (إيران، باكستان، أفغانستان) ويسمونه هناك الحرف

(١) الدكتور أحمد محمد جمال - اللغة العربية لسان وكيان - مرجع سابق ص ٩١.

الشريف لأن لغة القرآن كتبت به، وإذا كانت اللغة تعبيراً عن الهوية فإن السؤال: ما هوية أصحاب المدونات على الشبكة «الإنترنت» وهي تزخر بالركاكة والعامية والرموز اللاتينية البعيدة عن العربية؟

إن احترام اللغة من احترام الذات، ومن تجليات الاعتزاز بالانتماء، ولغتنا في بلادنا لم تهزم، لكننا نحن الذين هزمنا فتحلينا عنها وازدريناها، وليس ذلك أعجب ما في الأمر وإنما الأَعْجَب أن السلطات وأغلب مؤسسات المجتمع تقف متفرجة ومحيدة تجاه ذلك «الانتحار اللغوي»^(١).

وثمة من يرى في الوقت نفسه أن تدهور أوضاع اللغة العربية، والازدراء بها ما هو في حقيقته إلا تعبير عن الهزيمة الحضارية، وقديماً قيل: إن اعوجاج اللسان علامة على اعوجاج الحال، الأمر الذي إن صح، فإنه يدلنا على أن المشكلة ليست في ألسنة اعوجت ولغة تدهورت، وإنما هو استسلام للهزيمة والانكسار، وشعور باليأس من الحاضر والمستقبل على حد تعبير المفكر فهمي هويدي^(٢).

ولا بد لنا أخيراً ونحن نرصد واقع اللغة والهوية من أن نشير إلى بعض المشروعات الجديدة الرامية إلى طمس الهوية العربية:

١- المشروعات الرامية إلى استبعاد مصطلح العروبة والعربية والوطن العربي والأمة العربية كمشروع الشرق الأوسط الجديد ومشروع الشراكة الأوروبية المتوسطية.. الخ.

٢- المشروعات العاملة على استبعاد اللغة العربية من بين اللغات العالمية المعتمدة في هيئة الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها، واستبعادها من امتحانات الشهادة

(١) فهمي هويدي- لغتي هويتي- مدونة تعنى بشؤون اللغة العربية- أهوتك إيه؟ مايو ٢٠٠٩.

(٢) المرجع السابق.

الثانوية على أنها لغة ثانية في فرنسا، واعتماد اللهجات العامية للأقاليم العربية «إقليم المغرب العربي، إقليم مصر والسودان، إقليم بلاد الشام والعراق، إقليم الخليج العربي».

٣- المشروعات الرامية إلى تشجيع اللهجات العامية في الوطن العربي وتقديم الدعم للباحثين في تلك اللهجات سيرورة وتقييداً.

٤- المشروعات العاملة على تعليم مواد المعرفة باللغة الإنجليزية في المدارس الخاصة والجامعات الخاصة في دول الخليج العربي واللغة الفرنسية في دول المغرب العربي، والعاملة على تعزيز اللهجات الدارجة في القنوات الفضائية العربية وعلى الشبكة «الإنترنت».

٥- المشروعات الهادفة إلى التعقيم على الحضارة العربية الإسلامية، وتشويه التاريخ العربي وتزويره، والداعية إلى قطع العلاقة مع التراث «قتل الأب على حدّ تعبير دعائها».

٦- الدعوات التي تهاجم اللغة العربية وتتهمها بالصعوبة والتخلف وعدم مواكبة روح العصر واستيعاب العلوم المعاصرة، والدعوة إلى اعتماد اللغات الكونية، ولا يعدون العربية من اللغات الكونية.

٧- المشروعات الداعية إلى تخلص المناهج التربوية في الوطن العربي من القيم التي تحض على الجهاد والنضال والتحلي بالشجاعة والحض على الحرية والاستقلال ومقارعة الأعداء والمحتلين.

٨- الدعوات التي تهاجم عمود الشعر العربي القديم وتخلص المناهج منه ووضع الشعر الحديث مكانه في الكتب المدرسية.

رابعاً. من تجارب الآخرين

أدرك فلاسفة الغرب ومفكروه الدور القومي للغة الأم في حياة الأمم، فهذا هو ذا الفيلسوف الألماني «هيدجر» يقول: «إن لغتي هي مسكني، هي موطني ومستقري، هي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه، ومن نوافذها، ومن خلال عيونها أنظر إلى بقية أرجاء الكون الفسيح»، كما أن الفيلسوف الفرنسي باسكال يقول: «إن لغتي هي وطني» وطالما كان الرئيس «ديغول» معجباً بهذا القول ومردداً له.

وها هي ذي فرنسا حالياً تحرص كل الحرص على سلامة لغتها، وتبادر أكاديميتها اللغوية الفرنسية إلى وضع المصطلحات بالفرنسية للكلمات الجديدة قبل أن تسري بصيغتها الأجنبية على الألسنة والأقلام، ولا يمكننا أن ننسى القرار الذي تبنته الجمعية الوطنية الفرنسية عام ١٩٩٤ والذي ينص على عدم السماح بعقد المؤتمرات العلمية المتحدثة بالإنجليزية على الأرض الفرنسية، كما وضع البرلمان قائمة بالكلمات السود التي يحظر استخدامها في لغة الإعلام والإعلان^(١).

وبعد انتخاب «خوسية لويس ثاباتيرو» رئيساً للحكومة الإسبانية في ١٤ آذار «مارس» ٢٠٠٤ اجتمع أعضاء البرلمان وحاول ممثلو إقليم قطلونيا استخدام اللغة المحلية تحت قبة البرلمان، غير أنهم فوجئوا بالرفض الشديد من «مانويل مارين» رئيس البرلمان الذي منعهم من استخدام اللغة المحلية لما تمثله من خطر من شأنه أن يهدد اللغة الإسبانية الرسمية، وقد احتج بالمادة الثالثة من الدستور التي تنص على أن اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية التي ينبغي لجميع أبناء الشعب استخدامها^(٢).

(١) لجنة تمكين اللغة العربية برئاسة الدكتور محمود السيد - خطة عمل وطنية لتمكين اللغة العربية والحفاظ عليها

والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها - ط١ - دمشق ٢٠٠٨ ص ٨.

(٢) المرجع السابق ص ٩.

ويشير المفكر مولود قاسم نايت بلقاسم في كتابه «إنية وأصالة» إلى أن القضاء في ألمانيا أصدر قراراً برسوب طالبة ألمانية كانت قد رفعت دعوى على لجنة الامتحانات بحجة نجاحها في جميع المواد بالشهادة الثانوية ما عدا اللغة الألمانية، إلا أن المحكمة أكدت قرار لجنة الامتحانات برسوب الطالبة، وصدر قرار المحكمة ينص على أنه «لا شهادة ثانوية مع ضعيف في اللغة الألمانية»^(١).

وعندما قامت الثورة الروسية اتخذ «لينين» قراراً ينص على ضرورة إتقان لغة الشعب من المسؤولين كافة.

وفي الفيتنام يرفع القائد الفيتنامي «هوشي مينة» سلاح الشعور بالكرامة والكبرياء ضد الأعداء قائلاً: «لا انتصار لنا على العدو إلا بالعودة إلى ثقافتنا القومية ولغتنا الأم «الفيتنامية»^(٢). ويخاطب أبناء مجتمعه قائلاً: «حافظوا على صفاء لغتكم كما تحافظون على صفاء عيونكم، تجنبوا أن تستعملوا كلمة أجنبية في مكان بإمكانكم أن تستعملوا فيه كلمة فيتنامية»^(٣).

ولم نذهب بعيداً فهذا هي ذي إسرائيل تقيم كيانها على إحياء اللغة العبرية، إذ كانت لأغلبية المهاجرين اليهود إلى أرض فلسطين لغة في ألمانيا والنمسا وروسيا وبولونيا وأوروبا الشرقية عامة، وكانت لهذه اللغة آدابها، ولكنهم تركوها وآدابها ليحيوا لغة أخرى ماتت عملياً منذ ألفي سنة ألا وهي العبرية^(٤).

(١) مولود قاسم نايت بلقاسم - إنية وأصالة - منشورات وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية - قسنطينة - الجزائر ١٩٧٥.

(٢) المرجع السابق ص ٧٦.

(٣) عثمان السعدي - العبرنة الشاملة والتحكم بالتكنولوجيا المعاصرة في الكيان الإسرائيلي - الكويت - جامعة الكويت - كلية التربية - قسم أصول التربية ص ٥.

(٤) الدكتور محمود أحمد السيد - تعليم اللغة بين الواقع والطموح - دار طلاس بدمشق - الطبعة الأولى ١٩٨٨ ص ٢٥٤.

وغني عن البيان أن اللغة العبرية هي لغة ميتة، ولم يكن لها وجود قبل قيام الكيان الصهيوني، لكن الصهاينة أدركوا أنهم لا شيء دون لغتهم، وكانوا يقولون: إن الرب يتحدث اللغة العبرية فهي حسب اعتقادهم لغة مقدسة، فأحيوا هذه اللغة الميتة على قلة عددهم، وجعلوها لغة التعليم في جامعاتهم، وأنفقوا الكثير لكي يترجموا كل العلوم التي يحتاجون فيها إلى لغتهم، ولم يتجهوا إلى لغة أخرى لتكون بديلاً عن لغتهم، وهذا الموقف جعلهم يرتبطون بهويتهم القومية والدينية، ويتفوقون في علومهم بكل أنواعها، ويتقدمون على كثير من سواهم^(١).

ويمكننا أن نأخذ الدروس والعبر من الأصدقاء والأعداء معاً، فإحياء اللغة العبرية الميتة منذ ألفي عام وإعادة الحياة لتنبوأ المكانة الكبيرة لدى اليهود فيه عبرة لمن يعتبر، فلقد كانت اللغة العبرية توجد في بيوت العبادة وفي بعض عبارات التخاطب والمجاملة عند اليهود الموزعين على أكثر من مئة دولة في العالم حيث كانت كل جماعة منهم تتحدث لغة البلد الذي تعيش فيه وذلك في أواسط القرن التاسع عشر، وكانت العبرية تعد لغة دينية ميتة. وعندما بدأت فكرة إقامة وطن لليهود وضع أحد مفكرهم وهو «أليعاذر بن يهودا» شعاراً مهماً وهو: «لا حياة لأمة دون لغة»، وقرر أن يسعى ليجعل من العبرية لغة حية على مستوى الكتابة وتدوين المعرفة والتخاطب في الحياة اليومية. وبدا هذا الهدف عند اليهود أنفسهم صعباً إن لم يكن مستحيلاً، ولكنه تمسك بفكرته رغم سخريته أصدقائه منه، وقرر الهجرة إلى فلسطين سنة ١٨٨١ مع زوجته وأسرته، وأنشأ أول بيت يهودي تفرض فيه اللغة العبرية لغة للتخاطب والحديث في كل شؤون الحياة، وساعده على ذلك أفراد أسرته رغم سخريته كل الناس منه، ولكنه ظل متمسكاً برأيه، عاملاً على إنجاحه أربعين سنة متصلة، حيث أسس رابطة للمتكلمين بالعبرية في فلسطين وصارت داره متدى يتم الحديث فيه

(١) محمد علي المرقي - اللغة والهوية الوطنية - الوسط البحرينية - العدد ٢٤٢٦ - ٢٨ أبريل ٢٠٠٩.

بالعبرية، وأصدر صحيفة بالعبرية، وجعل جزءاً منها مخصصاً للأطفال، وحرص على أن يسمي أبطال قصصهم بأسماء عبرية، وعكف على تأليف قاموس كبير للغة العبرية بالاستعانة بالتراث اليهودي واللغات السامية وابتكار مصطلحات جديدة في كل مجالات المعرفة، وقد استطاع أن ينجز منه في حياته تسعة أجزاء، وأكمله تلامذته إلى ستة عشر مجلداً، وأثمرت دعوته وانتشرت المدارس العبرية في فلسطين، وامتد التعليم والتأليف بالعبرية إلى المناهج كافة، ثم امتد إلى الجامعات التي تدرس كل موادها بما في ذلك الطب والهندسة والعلوم بمختلف ألوانها باللغة العبرية، وتعقد فيها المؤتمرات على أعلى مستوى بهذه اللغة، مع الاستفادة من تعليم اللغات الأخرى، لأنهم يدركون جيداً الفرق بين تعلم اللغات الأجنبية - وهو أمر مطلوب وضروري لكل حضارة وتقدم - وبين التعليم باللغات الأجنبية وهو أمر يقضي على الشخصية واللغة القومية على المدى البعيد ولا يساعد كما يقول الخبراء على توطين المعرفة لدى الأمة.

وامتدت تجربة اللغة العبرية إلى كل مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والفنية والسياسية، فأصبحت المؤتمرات تعقد بها، وتكتب لافتات المتاجر والأماكن العامة والمنتديات بها، والمسؤولون يلقون كلماتهم في أي دولة أجنبية بها، وبهذا الجهد الخارق استطاع هؤلاء أن يحيوا لغتهم من العدم، وأن يحيوا أمة بهذه اللغة ويشكل بها كيان وهوية^(١).

وألبيعاذر بن يهودا نفسه هو الذي احتج على المندوب البريطاني على فلسطين لأنه صك نقوداً باللغتين الإنجليزية والعربية، وثار في وجهه قائلاً: «أين اللغة العبرية؟». جمعت النقود من الأسواق وأعيد صكها مجدداً باللغات الثلاث الإنجليزية والعربية والعبرية.

(١) الدكتور أحمد درويش - أهمية اللغة العربية في المحافظة على الهوية وتوطين المعرفة - شبكة الألوكة

وهو الذي ركز على أن فلسطين هي أرض إسرائيل، وقام بعبرنة الشاخصات على الطرقات. وبعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ يقول ابن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل: «نحن مضطرون لإزالة الأسماء العربية بما في ذلك التلال والوديان والينابيع واختلاق أسماء عبرية لها لأسباب تتعلق بالهوية والدولة».

خامساً. من أساليب الحفاظ على اللغة والهوية

لما كانت التحديات التي تواجهها لغتنا العربية على الصعيدين الداخلي والخارجي تزداد على نطاق الساحة القومية كان لا بد من اتخاذ إجراءات عملية للتمكين للغة العربية، ومن الإجراءات التي تستلزم الإنفاذ حفاظاً على الأمة ولغتها الدالة عليها والمعبرة عنها:

١ - تعزيز الوعي اللغوي والانتماء إلى الأمة ولغتها الأم «الفصيحة» الموحدة والموحدة، إذ لا شيء يجمع بين العرب سوى لغة فصيحة لأن اللهجات العامية الدارجة عامل تفريق بين أبناء الأمة في حين أن الفصيحة عامل توحيد، ولقد درس المستشرق الفرنسي «كانتينو» أكثر من عشر لهجات عربية في عمق، ويقول عن تجربته: إن الاختلاف اللغوي شر، والوحدة اللغوية خير عظيم، وإني في حال العرب خاصة لأفهم كل الفهم، وأرى من الحق أن يشعر العرب المتباعدة أقطارهم بحاجتهم إلى لغة واحدة هي رمز وحدتهم الروحية، وأن هذه اللغة الموحدة لا يمكن أن تكون سوى الفصيحة».

ويقول الكاتب الإنجليزي «هكسلي»: «إن كتابة العلوم والآداب باللغة العامية يضعف المواهب العلمية أو يقضي على ملكة الإنشاء الفصحى، لذلك ينبغي لنا أن نرقى بعقول العامة إلى فهم لغة العلم والآداب العالمية، لا أن ننزل بالعلماء والآدباء إلى مستوى العامة».

ولا يعنى الوعي اللغوي بتبيان خطر اللهجات العامية المرققة فقط، وإنما يعنى بتبيان

خطر الزحف اللغوي الإنجليزي في دول الخليج العربي والفرنسي في دول المغرب العربي في ظل العولمة. وأن مواجهة هذا الزحف لا تكون إلا بتقوية المناعة اللغوية للغة الأم.

٢- احترام الدستور في البلاد العربية كافة والذي ينص على أن اللغة الرسمية في الدولة إنما هي العربية الفصحى، وعلى السياسيين استعمال العربية في خطاباتهم ولقاءاتهم الصحفية وغيرها.

٣- إصدار التشريعات والقوانين التي تحمي حدود اللغة كما الحفاظ على حدود الوطن.

٤- وضع سياسة لغوية قومية ووطنية وتخطيط لغوي في ضوءها، وعلى رجالات السياسة في الدولة التدخل في هذا الموضوع بكل ثقة لأن لغتهم مهددة باللهجات الدوارج وباللغات الأجنبية وبضعف الإمكانيات المتاحة لتعليمها وتعلمها وبانحسار تداولها في الإعلام والإدارة والاقتصاد.

وعلى السياسة اللغوية أن تعمل على تحديد الموقف من:

أ- اللغات الأجنبية في المنظومة التربوية.

ب- التعليم باللغة الأجنبية في المدارس الخاصة والجامعات الخاصة.

ج- اللغات الفئات الخاصة على الأرض العربية.

د- العامية والشعر النبطي

هـ- وضع اللغة العربية في فروع الجامعات الخاصة الأجنبية على الأرض العربية.

و- اللهجات الآسيوية في السوق والعمل وفي داخل البيوت في دول الخليج العربي.

ز- المؤتمرات المنعقدة على الأرض العربية باللغة الأجنبية.

ح- اعتماد ممثلي الدول العربية اللغة الأجنبية في المحافل الدولية على الرغم من اعتماد

اللغة العربية لغة رسمية بين اللغات العالمية الست في الأمم المتحدة ومنظماتها.

ط - عدم السماح للعاملين على الأرض العربية إلا إذا خضعوا لدورات تعليم اللغة العربية للحد من تأثيراتهم المباشرة السلبية في واقع اللغة داخل الأسر وعلى الأطفال في سنيهم المبكرة.

ي - إلزام الشركات والمصانع الأجنبية التي تتعامل معها على ترجمة أسماء كل السلع والبضائع وما يتعلق بها من كتابات ودعايات وتوضيحات إلى اللغة العربية قبل توريدها وإدخالها إلى الأسواق العربية على النحو المستعمل في بعض الأدوية المستوردة من الخارج.

ك - إزالة الأوهام من صعوبة اللغة العربية إن في نفوس أبنائنا وإن في أذهان الأجانب الراغبين في تعلمها.

ل - إزالة الأوهام المتعلقة بأن طبيعة اللغة العربية تشكل عائقاً يؤخر صناعة المحتوى العربي من حيث شكل الحروف والحركات وغيرها. وللغات الأخرى إشكالات أكبر ولكنها تجاوزت ما يعوق وعززت محتواها على الشبكة «الإنترنت» وطورت برمجيات خاصة بها.

م - تنفيذ الدعوات الرامية إلى تعليم المواد العلمية باللغات الكونية ولا يعدون العربية من اللغات الكونية، وإنما يقصدون بها الإنجليزية والفرنسية، متجاهلين أن اللغة العربية أسهمت أيما إسهام في مسيرة الحضارة الإنسانية، وهي من اللغات الكونية في مسيرة الحضارة البشرية.

وإذا كانت اللغة الإنجليزية تحتاح العالم وتحتل المرتبة الأولى بين اللغات التي تدرس لغة ثانية في مختلف بلاد العالم، ولكننا لا نعرف بلداً واحداً في غير الوطن العربي أقدم أو حتى فكر أو عمل على تدريس مواد العلوم والرياضيات بغير لغته القومية من فرنسا إلى الصين واليابان والبرازيل وكوريا وفيتنام وألبانيا والمجر وإسرائيل... الخ.

ولا صعوبة كتابة اللغة اليابانية أو الصينية أو الفيتنامية ولا صغر حجم بعض الدول الأوربية ولا فقر بعض دول آسيا ولا شح التراثيات في اللغة التركية ولا موات اللغة العبرية على مدى عشرين قرناً، حال ذلك كله دون أن تكون اللغة القومية هي لغة التدريس في هذه المواقع.

- ٥- تفعيل الترجمة من اللغة العربية إلى غيرها من اللغات، ومن الأجنبية إلى العربية.
- ٦- إحياء الماضي الحي من تراث الأمة الذي يوظف في فهم الحاضر وتجاوز مشكلاته توجهاً نحو المستقبل في ضوء نظرة علمية نقدية موضوعية تعزز الإيجابيات وتنأى عن السلبيات.
- ٧- ربط المهاجرين العرب في المغتربات بأمتهم وتراثها وقضاياها، وتعليم أبنائهم اللغة العربية حفاظاً على هويتهم من الضياع وشخصياتهم من الذوبان.
- ٨- حسم موضوع التعريب وكفانا تلكؤاً وتسويقاً.
- ٩- تنفيذ مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة الذي تقدمت به الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة العربي المنعقد في دمشق عام ٢٠٠٨ واعتمده المؤتمر، وقدم الشكر للجمهورية العربية السورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع.
- ١٠- الاستئناس بخطة العمل الوطنية السورية للتمكين للغة العربية والتي تم وضعها بناء على القرار الجمهوري رقم ٤ لعام ٢٠٠٧.



مراجعُ الفِصلِ

- ١- ابن منظور المصري- لسان العرب ج ٢٠ - المكتبة الميرية ببولاق مصر- ط١
١٣٠٠هـ.
- ٢- أحمد محمد جمال- اللغة العربية لسان وكيان - مجلة البحوث الإسلامية-
العدد الأول.
- ٣- الحصري- أبحاث مختارة في القومية العربية - مركز دراسات الوحدة العربية-
بيروت ١٩٨٥.
- ٤- الدكتور عبد الحسين شعبان- العروبة والدولة المنشودة - مؤتمر العروبة
والمستقبل - دمشق ٢٠١٠.
- ٥- عثمان السعدي- العبرنة الشاملة والتحكم بالتكنولوجيا المعاصرة في الكيان
الإسرائيلي - جامعة الكويت - كلية التربية - قسم أصول التربية.
- ٦- الدكتور فواز الطرابلسي- العروبة والإيديولوجيا القومية - مؤتمر العروبة
والمستقبل - دمشق ٢٠١٠.
- ٧- الدكتور فيصل الحفيان- اللغة والهوية إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات -
مجلة التسامح - العدد الخامس - مسقط.
- ٨- الدكتور مازن المبارك- العربية نسب وهوية - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق -
المجلد ٨٥ ج ٢ - ٢٠١٠.
- ٩- الدكتور محمد عابد الجابري- الموسوعة الفلسفية العربية - معهد الإنماء
العربي - بيروت ١٩٨٦.

- ١٠ - محمد علي الهرفي - اللغة والهوية الوطنية - الوسط البحرينية - العدد ٢٤٢٦ - أبريل ٢٠٠٩.
- ١١ - الدكتور محمود السيد - أثر اللغة في المكون العربي - مؤتمر العروبة والمستقبل - دمشق ٢٠١٠.
- ١٢ - الدكتور محمود أحمد السيد - تعليم اللغة بين الواقع والطموح - دار طلاس بدمشق ١٩٨٨.
- ١٣ - الدكتور محمود أحمد السيد - في طرائق تدريس اللغة العربية - جامعة دمشق.
- ١٤ - الدكتور محمود أحمد السيد - خطة عمل وطنية لتمكين اللغة العربية والحفاظ عليها والاهتمام بإتقانها والارتقاء بها - دمشق ٢٠٠٧.
- ١٥ - الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية وتحديات العصر - الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق ٢٠٠٨.
- ١٦ - مركز دراسات الوحدة العربية - معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة - ساطع الحصري ثلاثون عاماً على الرحيل.
- ١٧ - مولود قاسم بلقاسم - إنية وأصالة - منشورات وزارة التعليم الأهلي والشؤون الدينية - قسنطينة - الجزائر ١٩٧٥.
- ١٨ - ميشال عاصي - مترجم كتاب «دراسات لغوية في ضوء الماركسية» - دار ابن خلدون - بيروت ١٩٧٩.

19- Encyclopedie la grande- Art: Parole.

20- Social sciences Encyclopedia. Article language.

الفصل الثاني

العربية والعولمة اللغوية

محتويات الفصل:

- أولاً - مفهوم العولمة.
- ثانياً - العولمة اللغوية.
- ثالثاً - العربية والعولمة.
- رابعاً - من سبل المواجهة.

الفصل الثاني

العربية والعولمة اللغوية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحاول في هذا الفصل الموجز أن نتعرف مفهوم العولمة بصورة عامة، والعولمة اللغوية بصورة خاصة، وواقع اللغة العربية في ظل العولمة، وسبل الارتقاء به.

أولاً- مفهوم العولمة

طالما تردد على نطاق الساحة العالمية مصطلح «العولمة»، وهو مصطلح مترجم عن الكلمة الإنجليزية «Global» واجتهد المفكرون العرب في ترجمة Globalization بعولمة أو كونية. وغالباً ما يذكر هذا المصطلح مرتبطاً بمصطلح «القرية الكونية Global village» فما المقصود بالعولمة؟

وهل ثمة فرق بين العولمة والعالمية؟

سأل أحدهم سقراط: من أين أتيت؟ فلم يجبه سقراط من أثينا، بل قال له: من العالم، ذلك لأن صاحب المخيلة الواسعة والغنية يعدُّ العالم مدينته، ويوسع معرفته ومجتمعه وعاطفته لتشمل البشرية كلها.

ومن هنا كان ثمة فرق بين العالمية والعولمة، فالعالمية مصطلح إنساني وذلك بأن يجسد المرء نزعة الإنسانية واقعاً عملياً وسلوكاً حياً في تعامله مع بني البشر كافة، يقف إلى جانبهم في نضالهم نحو الأفضل، ويمد يد العون والمساعدة إليهم متى كانوا في منأى عن اللون والجنس والهوية والانتماء.

وهذا ما أكدته حضارتنا العربية الإسلامية، «فقد كانت رسالتها الحضارية عالمية موجهة إلى الناس كافة، تساوى لديها بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي، وتمثلت قيمة الإنسان فيها في عمله ونزعتة الإنسانية لا في جاهه ولا في نفوذه ولا في ماله ولا في جنسيته.. الخ، فكانت ذات طابع إنساني عالمي تروم خير الإنسان أتى كان»^(١).

وإذا كانت العالمية انفتاحاً على العالم وعلى الثقافات الأخرى مع الاحتفاظ بخصوصيات تلك الثقافات على النحو الذي صنعتته الحضارة العربية الإسلامية في احترام الثقافات الأخرى والإفادة منها تمثلاً واستيعاباً واختياراً وإبداعاً بعد ذلك، فإن العولمة في حياتنا المعاصرة تعني «نفي الآخر» وإحلال الاختراق الثقافي محل الصراع العقائدي. وتقوم ثقافة الاختراق على جملة أوهاام، هدفها التطبيع مع الهيمنة، وتكريس الاستتباع الحضاري، وإفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، والدفع بها إلى التشتيت والتفتيت لربط الناس بعالم اللا وطن واللا أمة واللا دولة وإغراقهم في أتون الحرب الأهلية»^(٢).

بيد أن أنصار العولمة يرون أن لها تأثيراً إيجابياً كبيراً على الصعيد العالمي، إذ إنها ربطت بين الحضارات والشعوب والبلدان متخطية العامل الجغرافي، وجاعلة من العالم قرية واحدة، ومحركة الإنسان في مختلف أنحاء المعمورة من كثير من القيود بفضل ذبوع الإعلام وانكشاف العالم كله أمام كل إنسان فيه، فبات يطلع على ما يجري في العالم وهو في عقر داره، وباتت الثقافات مكشوفة ومنتشرة ومتفاعلة.

كما أن العولمة عملت -كما يرى مؤيدوها- على إزالة الحواجز بين المجتمعات،

(١) الدكتور محمود أحمد السيد- مقالات في الثقافة- الجزء الأول- منشورات وزارة الثقافة- دمشق ٢٠٠٤ ص ١٧٩.

(٢) الكلام للدكتور محمد عابد الجابري ورد في كتاب ما العولمة؟ للدكتور صادق جلال العظم والدكتور حسن حنفي- دار الفكر بدمشق ٢٠٠٢ ص ٣٦.

وانفتاح الثقافات بعضها على بعضها الآخر، وتدوير الفروق بين المجتمعات الإنسانية عبر ثورة الاتصالات والمعلوماتية، وإشاعة القيم الإنسانية المشتركة التي يراد لها أن تجمع البشر من خلال نظرية شاملة شعارها «المصير الواحد للبشرية» و«العالم كله في سفينة واحدة». وقد يبدو هذا الشعار براقاً من حيث إنسانيته، إلا أن المستفيد من العولمة كما أثبتت الوقائع والأحداث على الصعيد العالمي هو القوي القادر على إملاء مفاهيمه على الآخرين. إنه الغرب، وعلى رأسه أمريكا، الغرب الذي لم يعرف في تاريخه ولا في حاضره إلا العمل لمصلحته وترويج مفاهيمه.

ومن الأشكال الجديدة التي أفرزها الغرب على الصعيد العالمي بقصد هيمنته «العولمة، والعالم ذو القطب الواحد، ونهاية التاريخ، وصراع الحضارات، وثورة الاتصالات، والعالم قرية واحدة، والقرية الكونية.. الخ».

وكلها مفاهيم غير بريئة تكشف عن سيطرة المركز على الأطراف في تاريخ العلم الحديث^(١).

ولا تتجلى العولمة في شكل واحد أو بعد واحد، وإنما لها أبعاد متعددة ووجوه متعددة، فهي عولمة سياسية وعولمة اقتصادية، وعولمة إعلامية، وعولمة علمية وتقنية (تكنولوجية)، وعولمة ثقافية.

والخطر في الأمر كله أنه لا وجه من هذه الوجوه يستقل بنفسه، فلا عولمة ثقافية دون عولمة سياسية واقتصادية تمهد لها السبيل، وتفرضها فرضاً بالترهيب والإجبار تارة، وبالترغيب والتمويه تارة أخرى.

وفي ضوء ذلك كله لا بد من النظر إلى العولمة على أنها منظومة من المبادئ السياسية والاقتصادية، ومن المفاهيم الاجتماعية والثقافية، ومن الأنظمة الإعلامية والمعلوماتية،

(١) الدكتور صادق جلال العظم والدكتور حسن حنفي - ما العولمة؟ - دار الفكر بدمشق ٢٠٠٢ ص ٤٧.

ومن أنماط السلوك ومناهج الحياة، يراد بها إكراه العالم كله على الاندماج فيها وتبنيها والعمل بها، والعيش في إطارها.

وتتباين مواقف الشعوب تجاه العولمة، إذ إن بعضها يدافع عن ذاتيته الثقافية وهويته وأصالته وهو يقف على أرض صلبة، في حين أن بعضها الآخر ليست لديه تلك المناعة القوية، وإذا هو يتخلى عن كثير من خصائصه وألوان ثقافته ليذوب في ثقافة العولمة ذات البعد الثقافي الواحد واللغة الواحدة.

ثانياً. العولمة اللغوية

لما كانت العولمة ذات أبعاد متعددة، وكان البعد الثقافي واحداً منها، وكانت اللغة محور البعد الثقافي والمعبر عنه في جانبيه المادي والمعنوي، كانت الأمم والشعوب قد أدركت من قبل في عصور التاريخ ضرورة الوحدة اللغوية بين الناس، فكان أن نشأت في كل عصر تاريخي لغة مشتركة اصطنعتها عدة شعوب حيناً من الدهر ثم بادت أو اندثرت، فاللغة الأكادية أو لغة بابل وآشور التي سادت في حوض دجلة والفرات قد انتظمت العالم القديم مدة من الزمن، ثم جاءت بعدها الآرامية والإغريقية واللاتينية ثم العربية، وأخيراً في العصور الحديثة الفرنسية والإنجليزية. وكل لغة من هذه اللغات حاولت ما وسعتها المحاولة أن تهيمن وتصبح لغة الناس كافة.

بيد أن اللغات تتصارع وتتغالب كما تتصارع الشعوب، فيغلب القوي منها الضعيف، وها هي ذي كثير من لغات أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية قد تعرضت للاجتياح أمام قوة اللغات الأوربية الغازية في عصر التوسع الاستعماري بعد الثورة الصناعية ممثلة في اللغات الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والبرتغالية والألمانية بصورة عامة وفي اللغتين الإنجليزية والفرنسية بصورة خاصة. وأمام هذا الاجتياح سقطت لغات كثيرة قدرتها المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» بأكثر من ٣٠٠ لغة،

وضعفت أخرى، وتصدعت أركانها، وتتوقع لها مزيداً من الضعف الذي قد يؤدي إلى السقوط إذا ساعدتهم أبناء هذه اللغات أنفسهم على تحقيق الهدف، وقد وضعت اللغة العربية في مصاف هذه الطائفة الأخيرة، بعد أن قدر لها مدى زمني يتوقع أن يتحقق من خلاله الهدف، أي في حال مساعدة أبناء اللغة أنفسهم على تحقيقه!

وفي عالمنا المعاصر ثمة لغات عالمية تتبوأ مكانة على الصعيد العالمي مثل الإنجليزية والفرنسية والإسبانية واليابانية والصينية والألمانية. ومن سمات اللغة العالمية أنها تؤدي وظائف رسمية في عدد من الدول فتعتمدها في شؤون حياتها ما عدا اللغة اليابانية التي لا تؤدي وظيفتها إلا داخل الوطن الأم (اليابان)، والألمانية في قارة واحدة (أوروبا)، والصينية في قارة واحدة (آسيا).

ومن سمات اللغة العالمية أيضاً انتشارها على مستوى جميع قارات العالم، كما هي عليه حال اللغة الإنجليزية، إذ إنها تحتل المرتبة الأولى بين لغات العالم من حيث انتشارها، فهي اللغة الوحيدة بين جميع اللغات العالمية التي تستخدم لغة رسمية في قارات العالم كافة، حيث بلغ عدد الدول التي تستخدم اللغة الإنجليزية لغة رسمية / ٥٩ / تسعاً وخمسين دولة، وهو أكثر من ضعف عدد الدول التي تستخدم اللغة العالمية الثانية وهي الفرنسية، إذ يبلغ عددها / ٢٨ / ثمانية وعشرين دولة^(١).

وتسود الإنجليزية لغة اتصالات دولية في مجال الشبكة «الإنترنت»، إذ إن ٨٠٪ من صفحات المواقع المتوفرة على «الويب» بالإنجليزية، كما تسود في مجالات الإدارة والتسويق، في الوقت الذي تحتل فيه اللغات العالمية الأخرى مراتب تالية للغة الإنجليزية وبفارق كبير، وتسود أيضاً في لغة الدبلوماسية الحديثة وفي داخل المنظمات الدولية.. الخ.

(١) هارالد هارسان (عالم بابلي) - تاريخ اللغات ومستقبلها - ترجمة سامي شمعون ومراجعة محمد

حرب فرزات - المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث - الدوحة ٢٠٠٦ ص ١٦٨.

ومن الملاحظ أن اللغة الإنجليزية تهيمن على مفردات اللغات الأصغر والأكبر في الوقت نفسه، وها هي ذي الأمركة تؤثر في أسلوب الحياة، وذلك في أي محيط ثقافي، وهذا ما دعا بعض الدول الكبرى إلى الإحساس بخطر هيمنة اللغة الإنجليزية وتأثير هذه الهيمنة في لغتها الأم.

وفي العقد الأخير تضاعف انتشار اللغة الإنجليزية على الصعيد العالمي مع الهيمنة الاقتصادية والإعلامية الأمريكية وبسبب تزايد استخدام الشبكة «الإنترنت»، وأدى ذلك إلى اتساع نطاق استخدام كلمات وعبارات إنجليزية تعبر عن الثقافة الأمريكية والقيم الاستهلاكية التي قد لا تتناسب وقيم بعض الأمم التي تعد نفسها عريقة مثل الألمان والصينيين والفرنسيين.

ويعتز الألمان بلغتهم أيما اعتزاز، وقد اتسعت في ألمانيا دائرة المناذاة بوضع قوانين لحماية اللغة الألمانية من تأثير اللغات الأخرى وعلى رأسها الإنجليزية، إذ يعتقد بعض اللغويين الألمان أن المصطلحات الإنجليزية بدأت تشكل خطراً على سلامة لغتهم الألمانية وصفائها.

وفي الصين ثمة قلق من انتشار اللغة الإنجليزية في بلادهم من خلال الأفلام الأمريكية التي يحرص الشباب على متابعتها والتأثر بها، وهذا ما دفع الحكومة الصينية إلى إصدار أول قانون للغة بغية الوقوف أمام الخطر الذي يهدد اللغة الصينية. ويلزم القانون الذي بدأ العمل به اعتباراً من مطلع شهر كانون الثاني (يناير) عام ٢٠٠١ وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة بضرورة التزام الأسس المتعارف عليها باللغة الصينية المعتمدة على الكتابة المبسطة في الصين بعيداً عن الكتابة المعقدة المتبعة في المستعمرة البريطانية السابقة «هونغ كونغ»^(١).

(١) هيثم بن جواد الحداد - العولمة اللغوية - البيان - ملف العولمة مقاومة وتفاعل.

وفي فرنسا ثمة دعوة إلى إقامة تحالف بين الدول التي تعتمد لغات من أصل لاتيني للتصدي بشكل أفضل لهيمنة اللغة الإنجليزية، ودافعت فرنسا في المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) عن مبدأ التعددية اللغوية في المجتمع الدولي وحق التعددية الثقافية.

وإذا كان هذا يحدث في دول متقدمة كفرنسا وألمانيا والصين فما حال العرب تجاه لغتهم العربية؟

ثالثاً. العربية والعولمة

من يلق نظرة على واقع اللغة العربية في الوطن العربي يجد أن موضوع التعريب ما يزال قائماً لم يحسم بعد في معظم الدول العربية على الرغم من أن رجالات النهضة العربية قد دعوا إلى سيادة اللغة العربية على ساحة الوطن العربي في جميع مجالات الحياة منذ النصف الأول من القرن الماضي، وكانت سورية سباقة في إنفاذ ذلك التوجه منذ عام ١٩١٩م، وها نحن أولاء نجد - ونحن في العقد الأول من الألفية الثالثة - تلكؤاً في إصدار القرار السياسي الملزم للتعريب في معظم الدول العربية، كما نجد غياباً للتخطيط اللغوي مادامت السياسة اللغوية غائبة، ونلاحظ في الوقت نفسه أن ثمة تأخراً في وضع مصطلحات عالم التقنية والمعلوماتية وفي بغية الميادين العلمية الأخرى، الأمر الذي أدى إلى شيوع المصطلح الأجنبي حتى إذا وضع البديل العربي كان ثمة عزوف عنه واستمرار في استخدام المصطلح الأجنبي. ومن الملاحظ أيضاً تشتت الجهود وعدم التنسيق بين العاملين في ميدان التخصص نفسه.

وإذا كانت العولمة تحاول ابتعاث كل القيم السلبية التي تفتت بنية المجتمع، ووأد كل القيم الإيجابية التي تعمل على تقدم المجتمع وارتقائه، وكانت اللغة العربية توحد بين أبناء الأمة الواحدة، وفي وحدة العرب قوة لهم، عمل مهندسو العولمة على تفتيت هذا

الرابط الموحد وتهميشه واستبعاده، وذلك باعتماد العامية من جهة لأنها عامل تفريق، ووصم العربية بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا)، وأن الحل يكمن في اعتماد اللغة الإنجليزية من جهة أخرى لغة للتعليم في المدارس الخاصة وفي المعاهد والجامعات وفي مواد العلوم الإنسانية في هذه الجامعات.

ومن الملاحظ مزاحمة اللغة الأجنبية (الإنجليزية في دول الخليج، والفرنسية في دول المغرب العربي) للغة العربية في العملية التعليمية التعلمية، إذ يعد التمكن من اللغة الإنجليزية أساساً للقبول والتدريس والتخاطب الرسمي والنشاطات البحثية في معظم الأقسام العلمية في الجامعات الخليجية، وازدادت المواقف السلبية تجاه اللغة العربية في أوساط المتعلمين في مراحل تعليمهم في التعليم الأساسي والثانوي حتى إنهم استهانوا بدروس العربية وموادها، وغدا ثمة فتور في الإقبال عليها، بحجة أنها من غير المواد الأساسية مقارنة بدروس اللغة الإنجليزية والمواد العلمية التي تدرس بها، والتي يبشر التفوق فيها بمستقبل واعد وأحلام جميلة، لأنه بعد بالقبول في التخصصات الجامعية التي تهيئ الدارس لمناصب وظيفية عالية وعوائد مالية مغرية. وهذا المظهر يلاحظ أيضاً في دول المغرب العربي، إذ غرس في أذهان المتعلمين أن إتقانهم للغة الأجنبية يهيئ لهم مستقبلاً مشرقاً إن في إكمال دراستهم الجامعية أو في تسلّم وظائف ذات عوائد مالية، وهذا ما كوّن دافعية لديهم في الإقبال على اللغات الأجنبية وإهمال لغتهم القومية بعد «أن تبدت نظرة فوقية من الفرانكفونيين إلى المؤهلين بالعربية ووصمهم بالتخلف والرجعية، فغدا هؤلاء المعربون بعيدين عن الوظائف التي يمسك بزمامها أصحاب الفرانكفونية في أعلى هيئات الدولة والمؤسسات التربوية وغيرها»^(١).

(١) الدكتور عمار الطالبي - وضع اللسان العربي في الجزائر - مجلة الحياة الفكرية - وزارة الثقافة السورية -

ومن منعكسات العولمة والترويج لثقافتها القطبية الواحدة ولغتها الإنجليزية ما نلاحظه على الأرض العربية من مدارس وجامعات أجنبية تتبع في مناهجها إلى جهات من خارج الوطن العربي، إذ لا علاقة لهذه المناهج بثقافة المجتمع العربي وتاريخه وحضارته. وهذه المدارس والجامعات تجذب أفضل التلاميذ والطلبة إليها من أبناء الطبقة الاجتماعية العليا والوسطى، وهؤلاء يعيشون غرباء في وطنهم الأم لأنهم لا يستطيعون التفاعل معه عبر الكلمة المقروءة والمسموعة في أجواء تلك المدارس والجامعات^(١). وإذا كان الاستعمار من قبل بمختلف ضروبه قد حارب اللغة العربية إن في دول المغرب العربي أو في بلاد الشام على يد الاستعمار الفرنسي أو في مصر وفلسطين والعراق على يد الاستعمار البريطاني فإن حرب اللغات في ظل العولمة ما يزال مستمراً في بلادنا العربية، وما عجز الاستعمار عن تحقيقه من قبل في إبعاد العربية وتمهيشها نقوم نحن - أبناء العربية - بإنفاذه بأيدينا عندما نستعمل اللغة الإنجليزية في التعليم في جامعاتنا وفي المدارس الخاصة ونبعد العربية، وعندما تستقطب المدارس الخاصة والجامعات الخاصة أبناء الطبقات العليا والمتوسطة، وعندما يفسح في المجال للخريجين فيها بالتوظيف، ويحال دون الخريجين المؤهلين بالعربية.

وها نحن أولاء بعملمنا هذا نكون عوناً لمهندسي العولمة في إنفاذ مشروعهم الرامي إلى فرض لغة العولمة في العملية التعليمية التعلمية مكان اللغة القومية.

وإذا انتقلنا إلى ميدان الإعلام فإننا نلاحظ أن العولمة تعزز استعمال العامية واللهجات المحلية، فإذا البرامج والمسلسلات المؤلفة والمبدلجة والمنوعات تبث بالعامية، وهذه البرامج تنخر في الجسد العربي وتفصل بين أعضائه بتعزيزها تلك اللهجات المحلية المغرقة في عاميتها.

(١) الدكتور يوسف القرضاوي - اللغة العربية في دولة قطر بين العناية والشكوى - مجلة الحياة الفكرية -

ولم يقتصر استعمال العامية على مسلسلات الدراما المؤلفة أو المدبلجة، وإنما امتد إلى الحوارات واللقاءات الثقافية والبرامج الدينية، إذ «تشير الإحصاءات إلى وجود ما لا يقل عن ستين قناة تلفزيونية دينية تسبح في الفضاء العربي تقدم في أحيان كثيرة خطاباً دينياً واعظاً يعتمد العامية بحجة التبسيط والتسهيل والوصول إلى مختلف المستويات كما يزعم أصحابه»^(١).

وثمة ظاهرة انتشرت بين الشباب العربي وهي استخدام الحروف اللاتينية على أنها بديل للحروف العربية في كتابة رسائل الهاتف المحمول، وتسهم القنوات الفضائية العربية أيضاً ولاسيما الغنائية منها في نشر هذه الظاهرة، فهي تعمل على إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي في الكتابة العربية، ويظهر ذلك من خلال الرسائل التي يبعث بها المشاهدون الشباب بعضهم إلى بعضهم الآخر عبر شريط الرسائل التابع للقناة.

وفي ظل هذه الأجواء يمكننا أن نتصور بعد مدة وجود جيل لا يجيد القراءة والكتابة بالعربية إلا من خلال الحروف اللاتينية ليحقق بذلك بوعي منه أو بلا وعي ما حاول الاستعمار أن يقوم به على مدار سنوات الاحتلال لأرجاء من الوطن العربي وأخفق، وكأن القنوات الغنائية العربية وعددها يزيد على الستين أصبحت أكثر قدرة على محاربة الفصيحة من الاستعمار^(٢).

وإذا كانت اللغة العربية على نطاق الساحة القومية تنأى عن السلامة اللغوية في أغلب البرامج التي تبثها أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية في المسلسلات التلفزيونية وفي المسرحيات واللقاءات والحوارات والأغاني.. الخ فإن ظاهرة الإعلانات هي الأخرى

(١) الدكتور محمود أحمد السيد- أثر اللغة في المكون العربي - من بحوث مؤتمر العروبة والمستقبل - دمشق

١٥-١٩ أيار ٢٠١٠ ص ٨٨.

(٢) المرجع السابق ص ٨٩.

تنأى عن استعمال العربية السليمة حيث «تشغل لافتاتها أسطح المباني والساحات العامة ومنعطفات الطرق وواجهات الأبنية الكبيرة والمركبات العامة وواجهات المحال التجارية، ولا تخلو منها أغطية المشروبات وأغلفة المأكولات وجدران الملاعب وملابس الأطفال وكل ما يمكن أن تقع عليه العين في الحياة العامة المدنية»^(١).

وهذه الإعلانات مصوغة بالعامية أو بالعربية المحشوة بالأخطاء أو بالكلمات الأجنبية، وهذا كله يسهم في تشويه اللغة العربية، ويعد عاملاً سلبياً في اكتساب المهارات اللغوية لدى أبنائنا، إذ إنها تهدم ما تبنيه المدارس إذا افترضنا أن هذه المدارس تدرس فيها اللغة السليمة بصورة وافية.

وفي ظل الهيمنة الاقتصادية تروج الشركات الأجنبية في البلاد العربية للغة الأجنبية، فأصبحت اللغة الإنجليزية لغة الأعمال التجارية والمصرفية والسياحية، وأقصيت العربية عن مجالات العمل الاقتصادية بل حوربت حرباً شعواء، وأصبح اجتياز امتحان اللغة الأجنبية محادثة وكتابة بنجاح شرطاً من شروط التعيين في القطاعين العام والخاص، وأصبحت اللغة الإنجليزية لغة طبيعية مطلوبة في كثير من الأنشطة في الحياة العامة في المجتمع كالوظائف الطبية والمؤسسات التجارية والشركات السياحية.. الخ.

ومن الملاحظ تسرب المئات من ألفاظ اللغة الإنجليزية وصيغها وتراكيبها إلى العاملين في المجالات الاقتصادية، وقد تضاعف هذا التسرب واتسعت مجالاته مع ازدياد حركة التجارة والاستيراد، حيث امتلأت الأسواق بمختلف أنواع البضائع والسلع والأدوات والأجهزة والمعدات الأجنبية وألعاب الفيديو والحاسوب وغيرها حاملة معها أسماء وصفاتها وعناوينها وتعريفاتها بلغات البلدان التي أنتجتها وصدرتها، وأغلبها من البلدان الناطقة بالإنجليزية.

(١) الدكتور أحمد درويش - التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة - الجمعية العربية لضمان الجودة في

وثمة ظاهرة أخرى في دول الخليج العربي تتمثل في انتشار اللهجات العامية واختلافها في النطق والأداء والتصريف لدى العمالة الآسيوية، وهذه اللهجات لم تعد لتهدد العربية في السوق ومجالات العمل فقط، بل حتى داخل البيوت نفسها، حتى إنك لتجد في البيت الواحد عدة جنسيات تتكلم عدة لغات وتختلط بالأطفال في سن التأثر والتلقي، فينشأ الطفل بعيداً عن لغة أمه العربية التي قلما تتفرغ له، وعن لغة أبيه المشغول عنه بعمله وتجارته ومهنته وأصدقائه^(١).

وإذا أضفنا إلى ذلك انتشار الشعر النبطي على حساب الشعر العربي الفصيح حيث تقام له المهرجانات، وتخصص له الجوائز الكبيرة، أدركنا حجم التحديات التي تواجهها اللغة العربية في دول الخليج العربي.

وليست دول المغرب العربي في منأى عن هذه التحديات، فهناك عدة لغات متنوعة إلى جانب العامية كالأمازيغية والفرنسية والإسبانية والإنجليزية، وهذا يشكل خليطاً لغوياً هجيناً ناتجاً عن استعمال لغة على حساب أخرى.

وفي الجزائر والمغرب يعتقد الناس أن الفرنسية هي اللغة الراقية التي تتيح فرص العمل والرقي الاجتماعي والاقتصادي لمن يتقنها، وأن اللغة الوطنية عائق دون هذه الميزة المهمة، فتهيمن الفرنسية على السوق اللغوي، وتكون عنصراً ضاعطاً يعمق هيمنة النخبة الناطقة بها، ويرسخ التبعية واللامساواة الاجتماعية والثقافية واللغوية، وغدت الفرنسية أداة لسيطرة النخبة المتقنة لها، وعنصراً طبقياً ذا قيمة اقتصادية تتولى الأعمال المهمة في المجتمع على حساب العربية، وما يزال المؤهلون بالعربية يعانون التهميش في سوق العمل في حين أن سوق العمل مفتوح للمؤهلين بالفرنسية في الإدارة والاقتصاد.

(١) الدكتور يوسف القرضاوي - اللغة العربية في دولة قطر بين العناية والشكوى - مجلة الحياة الفكرية -

ونخلص إلى القول إن العولمة بمراميها الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية والإعلامية قد أثرت بصورة سلبية في مكانة اللغة العربية إن من حيث هيمنتها السياسية والحؤول دون وحدة العرب ومحاربة لغتهم القومية وفرض لغة العولمة الإنجليزية في التعليم مكان العربية، وإن من حيث تشجيع العاميات ولغة الأقليات، والسعي إلى سيرورة العامية في الإعلام والتواصل، وإن من حيث اعتماد اللغة الأجنبية في الشؤون الاقتصادية والتجارية وفتح باب التوظيف لأبناء الطبقات الاجتماعية العالية، وإن من حيث نشر الإنجليزية في التقانة «التكنولوجيا» وعبر الشبكة «الإنترنت»... الخ.

رابعاً. من سبل المواجهة

إن العولمة واقع لا يجدي معه أسلوب الرفض، بل هي تيار بدأ بالاقتصاد وامتد إلى السياسة والثقافة، وأصبح واقعاً نعيش فيه، ولا نرى أن تضيق الخناق على قنوات التواصل بين ثقافتنا وأي ثقافة أخرى وافدة سيكون حلاً ناجحاً، فلم يعد ثمة مجال للانعزال والتفوق، ولا يصح بالمقابل إطلاق العنان لكل ما هو وارد بعجره وبجره بدعوى الانفتاح.

وفي ضوء ذلك كان لابد من اتخاذ عدد من الإجراءات لمواجهة الآثار السلبية للعولمة، واختيار الجوانب المضيئة منها بما يلائم مناخنا وأرضنا وتربتنا ويحافظ على هويتنا. ومن هذه الإجراءات:

١- حسم موضوع التعريب بإصدار القرار السياسي الملزم، ووضع سياسة لغوية وتخطيط لغوي في ضوءها على الصعيدين القومي والوطني.

٢- تفعيل الترجمة إلى اللغة العربية في جميع ميادين المعرفة ولاسيما ميادين العلوم والتقانة (التكنولوجيا)، ذلك لأن الترجمة العلمية وتعريب التعليم يعدان من وسائل إغناء اللغة العلمية والتقانية للقوى العاملة، ولهذه اللغة الأم دور في

تحسين مردود القوى العاملة، ويتنامى دورها مع التوجه نحو الاقتصاد المبني على المعرفة.

٣- نشر اللغة العربية بين الأقليات غير العربية التي تعيش في البلاد العربية، وبين الجاليات العربية والجاليات المسلمة التي تعيش في البلدان الغربية، وبين الناطقين بغير العربية ممن يرغب في تعلم العربية.

٤- السعي إلى إحداث عولمة للغة العربية في أوساط المسلمين من غير العرب، إذ باستطاعة العرب تقديم مواد وبرامج علمية وفكرية وقرآنية وشرعية مكتوبة أو مسموعة، وكلها مصوغة بالعربية الفصيحة والسليمة، وأخذة بالحسبان العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى يمكن أن يؤدي ذلك إلى تقليل شأن اللهجات المحلية لصالح الفصيحة.

٥- اعتماد الوسطية والاعتدال على أنه منهج علمي وعملي سليم لإخراج المجتمع من أزمتة الخانقة في ظل العولمة وانعكاساتها السلبية، ونبذ التطرف والعنف في الخطاب الديني، وتجاوز خلافات الماضي الفكرية والسياسية والاجتماعية، والعمل على التقريب بين المذاهب تحقيقاً للوحدة الوطنية.

٦- الاستفادة من تراثنا العربي في تعزيز القيم الإنسانية في عملية التواصل والحوار بين الثقافات من مثل (المحبة، الحوار، التسامح، قبول الآخر، السلام.. الخ) من جهة، والاستفادة منه أيضاً في مد التعريب بالمصطلحات في مختلف مجالات العلوم من جهة ثانية.

٧- التركيز على أساليب التفكير العلمي في جميع مراحل التعليم حتى يتمكن أبناء الأمة بما يملكونه من مهارات التفكير الناقد الموضوعي من أن يميزوا بين الزيف والحقيقة، والغث والسمين في ظل العولمة.

- ٨- التركيز على الثقة بالنفس واستئصال الشعور بالدونية والانهار تجاه الثقافة الأجنبية، واستئصال عقدة التصاغر من حياتنا الثقافية، وعقدة التشكيك في تاريخ الأمة وتراثها، وتبيان ما قدمته الأمة العربية الإسلامية من أفانين المعرفة في مسيرة الحضارة البشرية.
- ٩- إيلاء الإعلام الأهمية واعتماد اللغة السليمة في القنوات الفضائية وفي الإعلام المقروء والمسموع والمرئي.
- ١٠- السعي الحثيث لإثراء المحتوى الرقمي العربي على الشبكة، وتخصيص الجوائز لأفضل المواقع التي تعتمد العربية الفصيحة.
- ١١- تعزيز التعاون بين الجهود الرسمية وجهود المجتمع المدني في مجال النهوض بالواقع اللغوي والارتقاء به.
- ١٢- السعي إلى إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب إتقان اللغة الأم «العربية الفصيحة»، وهذا من شأنه إغناء عملية التعريب.
- ١٣- إنفاذ مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة الذي تقدمت به الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة العربي المنعقد بدمشق في آذار (مارس) عام ٢٠٠٨، واعتمده المؤتمر وقدم الشكر للجمهورية العربية السورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع الرائد.



مَرَجِعُ الْفَصْلِ

- ١ - الدكتور أحمد درويش - التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة - الجمعية العربية لضمان الجودة في التعليم - القاهرة ٢٠٠٩.
- ٢ - الدكتور صادق جلال العظم والدكتور حسن حنفي - ما العولمة؟ - دار الفكر بدمشق ٢٠٠٢.
- ٣ - الدكتور عمار الطالبي - وضع اللسان العربي في الجزائر - مجلة الحياة الفكرية - وزارة الثقافة السورية ٢٠٠٩.
- ٤ - الدكتور محمود أحمد السيّد - أثر اللغة في المكون العربي - مؤتمر العروبة والمستقبل - دمشق ٢٠١٠.
- ٥ - الدكتور محمود أحمد السيّد - مقالات في الثقافة - ج ١ منشورات وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٠٤.
- ٦ - هارالد هارسان (عالم بابلي) - تاريخ اللغات ومستقبلها - ترجمة سامي شمعون ومراجعة محمد حرب فرزات - المجلس الوطني للثقافة والفنون والدراسات - الدوحة ٢٠٠٦.

الفصل الثالث

اللغة العربية في الثقافة والإعلام

أولاً - أبعاد اللغة العربية.

ثانياً - اللغة العربية في الثقافة.

١ - انحسار العربية في العملية التعليمية التعلمية.

٢ - العزوف عن القراءة.

٣ - القصور في ثقافة الأطفال.

٤ - غلبة اللهجات العامية في بعض مصادر الثقافة من جهة، واللغة الأجنبية

في بعضها الآخر من جهة ثانية.

٥ - ضالة الترجمة في صرحنا الثقافي.

٦ - ضالة المحتوى الرقمي باللغة العربية على الشبكة «الإنترنت».

٧ - القصور في عملية تنسيق المصطلحات بالعربية.

٨ - التلكؤ في مواكبة مستجدات روح العصر.

٩ - التلوث اللغوي في البيئة.

١٠ - تعدد المشروعات الرامية إلى طمس الهوية العربية وإبعاد العربية.

ثالثاً - اللغة في الإعلام.

رابعاً - من سبل النهوض.

الفصل الثالث

اللغة العربية في الثقافة والإعلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحاول في هذا الفصل الموجز أن نبين أبعاد اللغة العربية وواقعها في الثقافة والإعلام، لتتوصل أخيراً إلى رسم بعض الصوى للنهوض بذلك الواقع، آخذين بالحسبان أن معالجة هذا الموضوع تحتاج إلى بحوث مستفيضة تسلط الأضواء عليه، ولا يمكن لبحث واحد أن يحيط به كلياً، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله.

أولاً. أبعاد اللغة العربية

إن الإنسان في جوهره ليس إلا لغة وهوية، اللغة فكره ولسانه، وفي الوقت نفسه انتهاؤه، وهذه كلها هي هويته وحقيقته وإنيته، ولا يمكننا أن نتصور إنساناً ولا مجتمعاً من غير هوية، ولا هوية من غير لغة، وثمة ارتباط بين اللغة والهوية، والمحافظة على إحداهما محافظة على الأخرى، وفي إنقاذ إحداهما إنقاذ للأخرى. فاللغة هي هوية الأمة، وأمانة على شخصيتها، وذاتيتها الثقافية، تحافظ على الهوية من الضياع، وعلى الشخصية من الذوبان والاستلاب، وما من أمة أضاعت لسانها إلا أضاعت تاريخها، وسوف تضيع حاضرها ومستقبلها، ولا يمكن لأمة أن تبتدع علماً إلا بلغتها الأم، ولا تنمية إلا باستعمال اللغة الوطنية.

وها هي ذي الشواهد العالمية تثبت أن ثمة دولاً تبوأَت مراحل متقدمة في سلم التنمية البشرية كانت تستخدم لغتها الوطنية في مجالات تقدمها وارتقائها، فها هي ذي

كوريا تحتل المرتبة السابعة والعشرين في سلم التنمية البشرية، وقد وصلت إلى هذه المرتبة بلغتها الوطنية لا بالأجنبية، وها هي ذي باكستان، وهي دولة صناعية نووية، بنت نهضتها بلغتها لا بالإنجليزية، وها هي ذي إسرائيل العنصرية أحييت لغتها العبرية الميتة منذ ألفي سنة لتستعملها في مجالات الحياة كافة، إذ إنها أعادتها إلى الحياة في تعليمها الرسمي والخاص وفي جميع شؤون حياتها، وها هي ذي جامعاتها تدرس بالعبرية، وسمت الجامعة الأولى لديها الجامعة العبرية نسبة إلى اللغة والثقافة التي تريد إحياءها وتطويرها من خلال التدريس بها، والبحث العلمي بوساطتها، ولا توجد في إسرائيل مدرسة واحدة تدرس بغير العبرية.

وإن وظائف اللغة عامة تتمثل في التفكير والتواصل والتعبير، ذلك لأن اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، ولا تنقل الأفكار إلا بوساطة الرموز اللفظية، وباللغة يطلع المرء على ثقافة مجتمعه ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، ويطلع على تجارب الآخرين، كما أنه يُطلع الآخرين على تجاربه وثقافة أمته، وباللغة يفكر، ويعلم، ويتعلم، ويبلغ، ويرفّه، وبها يعبر عن مشاعره وعواطفه وأحاسيسه، ويطوّر تجارب حياته، ويتواصل مع الآخرين.

بيد أن للغتنا العربية، فضلاً عن ذلك كله، أبعاداً أخرى تتمثل في البعدين الديني والقومي، فهي لغة القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين على قلب الرسول العربي الكريم ﷺ آيةً لنبوته، وتأييداً لدعوته، ودستوراً لأُمَّته.

أما البعد القومي للغة العربية فيتمثل في أن العربية الفصيحة هي اللغة الموحّدة والموحّدة على الصعيد العربي، في حين أن اللهجات العامية تفرّق بين أبناء الأمة، لا بل إنها تفرّق بين أبناء القطر الواحد، ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي إذ يقول:

ويجمعنا إذا اختلفت بلادٌ بيانٌ غير مختلفٍ ونطقٌ

ولغتنا العربية هي حاملة أفانين الحضارة العربية الإسلامية، وهي الثقافة العربية،

وروح الأمة العربية وذاكرتها، وحصنها الدافع الحنون، وحصنها الأخير في لم الشمل،
وتوحيد الفكر بين أبناء الأمة، والحفاظ على كيائها وذاتيتها.

ومادامت العربية على هذا النحو فما واقعها في الثقافة والإعلام؟

ثانياً. اللغة العربية في الثقافة

إذا كانت دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة الرسمية في الدولة هي العربية
الفصيحة فإننا نلاحظ أن ثمة هوة بين ما تنص عليه الدساتير وما يطبق على أرض الواقع
أمام نظر المسؤولين وبرعايتهم، لأنهم لو رغبوا في أن تتبوأ العربية المكانة الجديرة بها في
ضروب الثقافة كافة كانوا أصدروا القرار السياسي اللازم للتعريب المتضمن سيورة اللغة
العربية، وانتشارها على جميع الصعد، وفي المنظومات كافة، ومنها المنظومة الثقافية.

وإذا ألقينا نظرة على واقع العربية في المنظومة الثقافية لألفينا ما يلي:

١- انحسار العربية في العملية التعليمية التعليمية:

إن ثمة انحساراً للعربية الفصيحة في العملية التعليمية التعليمية، إذ تسيطر اللغة
الفرنسية في جامعات المغرب العربي ومعاهده، وتهمين اللغة الإنجليزية في جامعات
الخليج العربي ومعاهده، وأن الجامعات الخاصة لابل المدارس الخاصة أيضاً تدرّس أغلب
موادها بالأجنبية حتى في مواد العلوم الإنسانية.

ففي التعليم العالي في دول المغرب العربي والخليج العربي يشرف على هذا التعليم
أساتذة وإداريون لم يتخلصوا من هيمنة الأجنبية، وهم يقفون في وجه العربية وينظرون
نظرة فوقية إلى المؤهلين بها، ويصفونهم بالتخلف، وغدا التعليم العالي قلعة حصينة للتعليم
بالفرنسية في دول المغرب العربي، وبالإنجليزية في دول الخليج العربي^(١)

(١) الدكتور محمود أحمد السيد- اللغة العربية واقعاً وارتقاء- وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠١٠ ص ٤٤

ففي دولة قطر، تعلّم المواد العلمية في مراحل التعليم العام بالإنجليزية، وحيث
بمدرسين بريطانيين وأمريكيين لتدريس اللغة الإنجليزية والعلوم والرياضيات
والمعلوماتية. وفي التعليم العالي تدرّس مواد المعرفة بالإنجليزية حتى في كلية الشريعة
والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

وفي الإمارات العربية المتحدة، تدرّس العلوم والرياضيات بالإنجليزية أيضاً من
الصف الأول حتى الصف الثاني عشر، وتهيمن الإنجليزية على التخصصات كافة في
التعليم العالي، وامتدت إلى قسم اللغة العربية حيث تدرّس بعض المقررات بها.
وفي السعودية ثمة قرار من وزارة التربية يسمح للمدارس الخاصة بتدريس العلوم
والرياضيات باللغة الأجنبية.^(١)

وليس ثمة حوافز لمدرسي اللغة العربية من حيث الرواتب والترقية والتدريب،
ويفضل مدرسو اللغة الإنجليزية عليهم، وهناك نظرة فوقية من ذوي الثقافة الإنجليزية
إلى المؤهلين بالعربية.

وفي اجتماعات أولياء الأمور في المدارس الخاصة في بعض الدول العربية يطلب
المشرفون إلى الأهلين التحدث مع أبنائهم في البيوت باللغة الأجنبية.^(٢)

ويعد التمكن من اللغة الإنجليزية أساساً للقبول والتدريس والتخاطب الرسمي
والنشاطات البحثية في معظم الأقسام العلمية في الجامعات الخليجية حتى إن أقسام الطب
والعلوم الطبية المساندة والعلوم الطبيعية والبحثية لا يقبل فيها إلا المتفوقون في معرفة
الإنجليزية بمختلف مهاراتها. أما مهارات اللغة العربية فلا يذكر منها شيء، لأنها لا

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية واقعاً وارتقاءً - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠١٠ ص ٤٥.

(٢) الدكتور أحمد درويش - التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة - الوثيقة الإقليمية لمناهج تعليم

وتعلم اللغة العربية - الجمعية العربية لضمان الجودة في التعليم - القاهرة ٢٠٠٩ ص ١٨٥.

تستعمل في مثل هذه الأقسام إلا في حدود ضيقة من التعامل، وفي تدريس قليل من المواد التكميلية المهمشة، وهذا ما يقلل من ممارستها بين المنتسبين إلى هذه الأقسام من أفراد المجتمع، ويؤدي بهم في النهاية إلى نسيان الكثير مما تعلموه من قواعدها ومهاراتها، ويدفع بهم في نهاية الأمر إلى الانصراف عنها بدافع الإحساس بقلة فاعليتها، على اعتبار أنها مواد غير أساسية، ولن تكون مهمة مستقبلاً مقارنة بالإنجليزية التي يبشر التفوق فيها بمستقبل واعد، وأحلام جميلة، ومناصب وظيفية عالية، وعوائد مالية مغرية، وهذا ما يضعف ولاءهم للعربية ولثقافتها في كثير من الأحيان^(١).

وهذه الإجراءات والممارسات كافة تشير إلى أن ما عجز الاستعمار عن تحقيقه في إبعاد اللغة العربية وتهميشها قد تحقق على أيدي أبناء اللغة أنفسهم بوعي منهم أو بلا وعي، عندما فتر الانتماء لديهم، وإذا فتر الانتماء وضعف يتحلل المرء من قيمه، ويتخلى عن كثير من دعائم إنسانيته إلى جانب تخليه عن قوميته. والتحلل من الانتماء سلسلة متى بدأت تلاحت تأثيراتها وتضاعفت، والنتيجة واحدة هي أن يخسر الإنسان نفسه، وتخسر الأمة هويتها.

أما في بعض المواقع التي تستخدم العربية الفصيحة فيها في العملية التعليمية التعليمية فإنك تجد جنوحاً نحو استخدام العامية والألفاظ الأجنبية أيضاً، وكثرة في الأخطاء اللغوية في المحادثة والقراءة والكتابة، وقصوراً في التعبير اللغوي، كما أن اللغة تؤدي بأردأ المناهج، ويتولى تعليمها مدرسون ليسوا على مستوى كافٍ من التأهيل، وتعرض على التلاميذ بأبشع الوسائل، ويفصل فصلاً تاماً بين التلميذ وهذه اللغة بمختلف الحواجز، فهي لغة ميتة في حياته اليومية، لا يجد التشجيع على إجادتها، ولا

(١) الدكتور أحمد محمد المعنوق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها

في دول الخليج العربي - المملكة العربية السعودية نموذجاً - اللغة العربية والتعليم - رؤية مستقبلية

للتطوير - أبو ظبي ٢٠٠٨ ص ٣٤٤.

النصوص الجيدة التي تجعله يتعلق بها^(١)، وجاءت نصوص الحداثة متدثرة بالغموض واللامعقول والتفكك السياقي لتجعل من نصوص الشعر على وجه الخصوص نصوصاً بهلوانية هزيلة ومعزولة عن الذائقة الفنية، وأصبح التركيز على رصف الكلمات المتنافرة^(٢).

٢- العزوف عن القراءة:

لم يفلح النظام التربوي العربي في تخريج القارئ الجيد المتمثل للمقروء، والمزود بالفهم لما بين السطور وما وراء السطور، وبالتحليل والنقد الموضوعي، كما أنه لم يفلح في إكساب الخريجين مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة. ولا يعد المواطن مواكباً لروح العصر إلا إذا كان قارئاً جيداً ليس في مجال تخصصه فقط، وإنما في المجال الثقافي عامة.

ومن الملاحظ أن ثمة عزوفاً عن القراءة لدى المتخرجين في مدارس التعليم العام والجامعي، وهذا الأمر لا نلاحظه لدى الأقوام الأخرى، إذ تشير الإحصاءات إلى أن الغربي يقرأ أربعين كتاباً في العام، وأن الإسرائيلي يقرأ خمسة وثلاثين كتاباً، وأن السنغالي يقرأ أربعة كتب، في حين نجد في الوطن العربي أن كتاباً واحداً لكل ثمانين شخصاً، ونحن ويا للأسف أمة «إقرأ»!!

٣- القصور في ثقافة الأطفال:

أطفال الأمة هم مستقبلها، وبقدر ما نعنى بهم نضمن مستقبلاً مشرقاً لأمتنا، وتدل الدراسات والبحوث على أن العصر الذهبي لاكتساب اللغة بصورة عفوية تلقائية إنما هو في الطفولة المبكرة (رياض الأطفال).

(١) الدكتور أحمد ضبيب- أزمة اللغة العربية في التعليم- مجلة الحياة الفكرية- العدد (٢)- وزارة الثقافة

السورية- دمشق ٢٠٠٩ ص ٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧.

والواقع يدل على أن هذه الشريحة العمرية مهملة في وطننا العربي، إذ لا يتجاوز نسبة الملتحقين بالرياض من الأطفال ١٣٪، كما أن مربيات هذه المرحلة لسن معدات إعداداً تربوياً على مستوى جامعي. كما أن ثمة فقراً وفاقاً في مواد الثقافة الموجهة إلى الأطفال بصورة عامة^(١)، إذ تشير الإحصاءات إلى أن في الوطن العربي نحواً من ٥٢٠ صحيفة يومية وأسبوعية، يوازي عدد المطبوعات في دولة نامية مثل باكستان، حيث يصل عدد الصحف اليومية فيها إلى ١٩٥ صحيفة، وعدد الصحف الأسبوعية إلى ٣٥٦ صحيفة.

أما المجالات المخصصة للأطفال في الوطن العربي فهي ٦٢ مجلة، ومنها ١٠-١٢ مجلة فقط توزع عبر أقطار الوطن العربي، والبقية محلية التوزيع، وهذا العدد أقل من نصف عدد المجالات المخصصة للأطفال في دولة صغيرة مثل الدانمارك التي لا يزيد عدد سكانها على خمسة ملايين نسمة حيث يصل عدد المجالات المخصصة للأطفال إلى ١٨٠ مجلة أسبوعية وشهرية.

ومن الملاحظ أن المناخ الثقافي العام يشكو قلة الوسائل التثقيفية المتوفرة للأطفال من مكتبات ودور سينما وأجهزة وكتب ومجلات، إضافة إلى أن بعض المجلات الصادرة عربية في لغتها، ولكنها أجنبية في عناوينها ومحتوياتها وأبطال قصصها «ميكى - تان تان - سوبرمان.. الخ».

وإذا ألقينا نظرة على لعب الأطفال في الوطن العربي فإننا نلاحظ أنها مستوردة من الغرب أو من الشرق الأقصى، وأن لغتها هي الإنجليزية في الأعم الأغلب، وأن كثيراً من هذه الألعاب مشبع بالرموز والنماذج التي تمجد قوة الغرب وأبطاله «اللعب الحربية». ولا تقل الألعاب غير الحربية في تأثيرها الثقافي التخريبي عن الألعاب الحربية، فالدمى

(١) الدكتور محمود السيد - في قضايا الطفولة - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٥ ص ٢٢.

والحيوانات، والبيوت والأدوات كلها تحمل رموزاً ومميزات تجعل من الغرب نموذجاً ومثالاً «الدمى الشقراء ذات العيون الزرق والثياب الغربية.. الخ»^(١).

والذي يدعو إلى الأسف أن اللعب اعتمدت في أغلبها لغة المجتمع الذي وضعت فيه على حساب اللغة الأم «العربية الفصيحة» مادام البديل العربي غير موجود، وأن كثيراً من هذه الألعاب ينقل قيماً غربية أبرزها قيمة الاستهلاك السهل في مقابل قيمة الجهد والبناء، وأن الكثير منها لا يمثل أي تحد ذهني، ولا يتطلب أي مهارة.

٤ - غلبة اللهجات العامية في بعض مصادر الثقافة من جهة، واللغة الأجنبية في بعضها

الآخر من جهة ثانية:

تعد المسرحيات والأفلام السينمائية وسيطاً جيداً في نقل الثقافة الهادفة والملتزمة. ومن يلق نظرة على المسرحيات التي تقدم إلى الجمهور وعلى الأفلام السينمائية التي تعرض في دور السينما يجد أن اللهجات العامية هي التي تهيمن عليها، وطالما عزف بعضهم عن متابعتها بسبب الإغراق في استعمال العامية فيها حتى إن كثيراً من المفردات والتعبيرات فيها تحتاج إلى شرح، وقد رافق العرض ذلك الشرح.

أما المؤتمرات التي تعقد على الأرض العربية ويناقش بعضها قضايا عربية فيستخدم المشاركون فيها اللغة الأجنبية بدلاً عن العربية، وعلى هذا النحو يعمد ممثلو الدول العربية في الأمم المتحدة والمنظمات التابعة لها على استعمال اللغة الأجنبية مكان لغتهم الأم «العربية الفصيحة» مع أن لغتهم معتمدة بين اللغات الست الرسمية في تلك المواقع، ويسأل أحدنا: كيف نريد من الآخرين أن يحترمونا ما دمنا لا نحترم هويتنا وثقافة أمتنا متمثلة في لغتنا الأم؟

(١) المرجع السابق ص ٣١

٥- ضالة الترجمة في صرحنا الثقافي:

طالما شكونا ضالكة ما يترجم من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وما ينقل من العربية إلى اللغات الأجنبية، وطالما تردد على نطاق الساحة القومية أن عدد الكتب التي ترجمت من عصر المأمون حتى الآن هو في حدود عشرة آلاف كتاب، وهذا العدد يقل عما ترجمه إسبانيا حالياً في عام واحد، وما ترجمه البرازيل في أربع سنوات. أما اللغة الواردة في الترجمة فيغلب على بعضها التسرع، والعجلة، واضطراب المصطلحات، وارتكاب الأخطاء اللغوية.

ويمكن أن تؤدي الترجمة الآلية دوراً كبيراً في ميدان الترجمة إلى العربية، ومنها إلى اللغات الأخرى، على أن تخضع اللغة المستخدمة فيها إلى المراجعة والتنقيح قبل اعتمادها.

٦- ضالة المحتوى الرقمي باللغة العربية على الشبكة «الإنترنت»:

تشير الإحصاءات المتعلقة بوضع اللغات المختلفة على الشبكة «الإنترنت» إلى أن اللغة الإنجليزية تحتل المرتبة الأولى بين اللغات، إذ تصل نسبتها إلى ٨٠٪ في حين أن نصيب العربية لا يزيد على ٢٪، كما أن عدد المستخدمين العرب للشبكة هو أقل من ٢٪، مع أن عدد الناطقين بالعربية يصل إلى ٥٪ من سكان العالم^(١).

ومن الشواهد على ضعف المحتوى بالعربية أن محتوى الموسوعة العربية الحرة من حيث الحجم لا المضمون يماثل تقريباً ربع محتوى مقابلتها السويدية، علماً بأن متكلمي السويدية لا يزيد على تسعة ملايين في حين أن متكلمي العربية يزيدون على ٣٠٠ مليون، وكان عدد المقالات المنشورة على الموسوعة العربية الحرة ٧٧.٠٠٠ مقال مقابل ١٩٠.٠٠٠ مقال باللغة السويدية^(٢).

(١) الدكتور منصور فرح - اللغة العربية على الإنترنت - المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي بدمشق - حزيران ٢٠٠٩.

(٢) الدكتور نور الدين شيخ عبيد - المحتوى الرقمي العربي صورة حقيقة - المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي - دمشق - حزيران ٢٠٠٩.

٧- القصور في عملية تنسيق المصطلحات بالعربية:

وهذه ثغرة في واقع استعمال اللغة العربية، إذ إن المصطلحات الموحدة تساعد على إيجاد اللغة المشتركة ووضوح الرؤية فهماً وتمثلاً وأداءً، وطالما شكّا الدارسون من الفوضى في استخدام المصطلحات، وغياب المنهجية الموحدة لوضع المصطلحات وتوليدها، وغياب التنسيق بين الجهات المعنية بوضع المصطلحات، والعقوبة لدى بعض واضعيها، وجهلهم لها، إضافة إلى تعدد الواضعين، وتعدد مناهجهم، والجهل بالمصطلحات التراثية الحديثة، واختلاف الخلفية الثقافية واللغوية للمتريجين، وغياب الالتزام الصارم والدقيق من المؤلفين والمتريجين بما تم وضعه من مصطلحات نسقتها بعض الجهات على المستوى القومي.

٨- التلكؤ في مواكبة مستجدات روح العصر:

إن العصر الذي نحيا فيه هو عصر العلم والتقانة، وهو عصر التفجر المعرفي، وإذا كانت المعرفة من قبل تحتاج إلى مئات السنين حتى تتضاعف فإنها في عالمنا تتفجر وتتضاعف في شهور قليلة.

ومن الملاحظ على الصعيد العربي أن ثمة تلكؤاً وتباطؤاً في عملية مواكبة روح العصر، وإذا كان للغتنا العربية أن تواكب مستجدات العصر في جميع ميادين المعرفة فما على الجامعات العربية ومجامع اللغة العربية ومراكز البحوث والمنظمات العربية والإقليمية إلا أن تواكب تلك المستجدات، وأن تضع التسميات بالعربية مقابل المصطلحات الأجنبية مع الأخذ بالحسبان أن لغتنا العربية الأم ولود تؤهلها خصائصها وسماها لوضع المصطلحات بكل سهولة.

٩- التلوث اللغوي في البيئة:

إذا كنا قد لاحظنا أن البيئة التعليمية التعلمية لا تتسم بالنقاء اللغوي، وأن فيها تلوثاً فإن التلوث يتجلى تجلياً واضحاً في البيئة العامة، إذ إن ثمة جنوحاً إلى استخدام

العامية والألفاظ الأجنبية في مختلف مجالات الحياة، وتفاقت ظاهرة إطلاق التسميات الأجنبية والعامية على واجهات المحال التجارية وفي العلامات التجارية على المنتجات الوطنية، وفي المصانع والمعامل والمطاعم والفنادق والمقاهي والشركات والنوادي، وفي الإعلانات التي توضع في الشوارع والمحال العامة، وفي المطويات والنشرات والإعلانات واللافتات... الخ، إذ إن العامية المهجينة تسري كالنار في الهشيم على الألسنة.

١٠ - تعدد المشروعات الرامية إلى طمس الهوية العربية وإبعاد العربية:

ويتجلى بعض هذه المشروعات فيما يلي:

- أ- استبعاد مصطلح العروبة والعربية والوطن العربي والأمة العربية من مشروع الشرق الأوسط ومن الشراكة الأوروبية المتوسطية.
- ب- السعي إلى استبعاد اللغة العربية من بين اللغات العالمية المعتمدة في هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها، واستبدال اللهجات العامية على أنها لغة ثانية في امتحان الشهادة الثانوية لأبناء الجالية العربية في فرنسا باللغة العربية الفصيحة.
- ج- تشجيع اللهجات العامية في الوطن العربي وعلى الشبكة «الإنترنت» وفي القنوات الفضائية، وتقديم الدعم المادي للباحثين في تلك اللهجات.
- د- التعتيم على الحضارة العربية الإسلامية، وتشويه التاريخ العربي وتزويره، والدعوة إلى قطع العلاقة مع التراث «قتل الأب».
- هـ- مهاجمة العربية واتهامها بالصعوبة، والتخلف، وعدم مواكبة روح العصر، والدعوة إلى اعتماد اللغات الكونية «الإنجليزية، الفرنسية» في التدريس، ولا يعدون العربية من بين اللغات الكونية.
- و- تخليص المناهج التربوية من القيم التي تحض على النضال ومقارعة الأعداء والمحتلين.
- ز - مهاجمة عمود الشعر العربي القديم، وتخليص المناهج منه ووضع الشعر الحديث مكانه.

ح - تقعيد العامية والكتابة بها في بعض ضروب الأدب.

ط - إحياء بعض اللغات القديمة لبعض الأقليات الاثنية ونشرها في المجتمع منافسة

للعربية بحجة حقوق الإنسان.

تلك هي إشارات فقط إلى بعض من جوانب القصور في بنیان لغتنا العربية، ولسنا هنا في مجال الحصر. وإذا كنا قد أشرنا إلى عدد من الثغرات المتعلقة بموقع اللغة العربية في منظومتنا الثقافية فلا يمكننا إغفال بعض البقع المضيئة في رحاب العربية على الصعيد القومي، إذ إن ثمة جهوداً طيبة بذلت، بعضها فردي، وبعضها جماعي، بعضها قامت به وزارات ثقافة في الدول العربية، وبعضها قامت به مؤسسات خاصة ومراكز كالمعهد العالي للعلوم التطبيقية في دمشق، ومؤسسة عبد العزيز بن سعود الباطين للإبداع الشعري في الكويت، ومؤسسة جمعة الماجد في دولة الإمارات العربية المتحدة، ومبادرة الملك عبد العزيز للمحتوى العربي في المملكة العربية السعودية، ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم في دولة الإمارات أيضاً.

وبعض تلك الجهود قامت به مؤسسات قومية كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس، ومنها ما قامت به مجامع لغوية، ومنها ما قامت به الجامعات. ومن هذه الجهود ما تم في الوطن العربي، وجهود تمت خارجه.

بيد أن تنوع هذه الجهود يرسم أمامنا بصورة عفوية خريطة زاخرة الخطوط، ولكنها خطوط متداخلة ومتشابكة تمثل تكامل الجهود وتقاطعها وانقطاعها، إقليميتها وقوميتها، مشكلاتها الجزئية ومشكلاتها الكلية، اتساعها وضيقها، حذرنا واندفاعها حتى ليتعذر أن تهتدي إلى الوحدة بينها^(١)، وهذا إن دل على شيء فإننا يدل على غياب السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي في ضوءها على الصعيد القومي.

(١) الدكتور شكري فيصل - المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب

التعليم الجامعي في مجالات المصطلح والترجمة والتأليف - عرض ودراسة ١٩٨٢ ص ٥٠.

ثالثاً. اللغة في الإعلام

غني عن البيان أن وسائل الإعلام هي أدوات محايدة، قد تستعمل لبناء العقل والذوق، وقد تستخدم بصورة سلبية لتشويه العقل والذوق، وأن الدور الذي تقوم به في الحالتين يرتبط بطبيعة الظروف والسياقات السياسية والاجتماعية والثقافية والحضارية التي تعمل فيها.

ولقد كان للصحافة العربية في القرن الماضي أثر بارز في تطوير اللغة العربية على يد رجيل من الصحفيين كانوا أدياء في الوقت نفسه. إلا أن الأمر اختلف مع ظهور التلفزة على الخريطة العربية في خمسينيات القرن الماضي، ومن ثم كان الانفجار الذي وقع في دنيا الفضاء العربي مع مطلع عام ١٩٩٠، ومنذ ذلك التاريخ حتى الآن تضاعف عدد القنوات الفضائية العربية ليزيد على ٦٠٠ قناة تنتشر على أقمار اصطناعية مختلفة.

ومن الملاحظ أنه كان للفضائيات التلفزية العربية دور شديد السلبية في الإضرار باللغة العربية، وتجلى ذلك في اختيار أسماء بعضها، ففي عام ١٩٩١ ظهرت قناة MBC، وفي عام ١٩٩٤ ظهرت باقة قنوات ART ومجموعة قنوات Orbit، وكان اختيار الأسماء هنا دالاً على مواقف من اللغة العربية سيطر على عقل المسؤولين عنها ووجداناتهم تمشياً مع الحداثة أو ما بعد الحداثة، ومع متطلبات العولمة وإفرازاتها وهيمنة اللغة الإنجليزية.

وتجلى الإضرار بالعربية في اعتماد اللهجات المحلية المعرقة في عاميتها. ومن المعروف أن العاميات أداة تفكيك لنسيج الأمة الثقافي في حين أن الفصيحة عامل توحيد كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل، وها هي ذي أغلب البرامج والمسلسلات المؤلفة والمبدلجة والمنوعات تبث بالعامية، وكأنها تثبت للمواطن العربي عمق فكرة أن العرب يتحدثون بلغة واحدة على حدّ تعبير الإعلامي الدكتور محمود خليل: وهذه البرامج تنخر في الجسد العربي وتفصل بين أعضائه بتعزيزها اللهجات المحلية واعتمادها.

وإذا انتقلنا إلى الخطاب الديني على القنوات الفضائية فإن الإحصاءات تشير إلى وجود ما لا يقل عن ستين قناة تلفزيونية دينية تسبح في الفضاء العربي، وتقدم في أحيان كثيرة خطاباً دينياً وعظيماً يعتمد العمومية بحجة التبسيط والوصول إلى مختلف المستويات كما يزعم أصحابه، وكان متوقفاً أن يكون الخطاب الديني بالفصيحة، والقرآن الكريم ذروتها وحارسها.

وثمة ظاهرة انتشرت بين الشباب العربي وهي استخدام الحروف اللاتينية على أنها بديل للحروف العربية في كتابة رسائل الهاتف المحمول. وتسهم القنوات الفضائية العربية أيضاً ولاسيما الغنائية منها في نشر هذه الظاهرة، فهي تعمل على إحلال الحرف اللاتيني محل الحرف العربي في الكتابة العربية. ويظهر ذلك من خلال الرسائل التي يبعث بها المشاهدون الشباب بعضهم إلى بعضهم الآخر عبر شريط الرسائل التابع للقناة.

وفي ظل هذه الأجواء يمكننا أن نتصور بعد مدة وليست ببعيدة وجود جيل لا يجيد القراءة والكتابة بالعربية إلا من خلال الحروف اللاتينية ليحقق بذلك ما حاول الاستعمار أن يقوم به على مدار سنوات احتلاله لأرجاء الوطن العربي وأخفق، وكأن القنوات الغنائية العربية وعددها يزيد على الستين أصبحت أكثر قدرة على محاربة الفصيحة من الاستعمار.

ولا يمكننا أن ننسى في الوقت نفسه الذي نشير فيه إلى جوانب القصور في المجال الإعلامي بعض الجهود الطيبة التي أنجزت في مجال العناية باللغة العربية الفصيحة إن في الندوات الثقافية في الإذاعة والتلفزة التي تستخدم العربية في حواراتها ومناقشاتها، وإن في مجال ترجمة بعض المسلسلات والأفلام إلى العربية، وإن في دبلجة بعض هذه الأفلام، وإن في إنجاز بعض البرامج الثقافية الموجهة إلى الأطفال والمصوغة بالعربية السهلة الميسرة، وإن في بعض البرامج والمسلسلات التاريخية والتوثيقية، وإن في نشرات الأخبار... الخ.

إلا أن من حق لغتنا علينا أن نعزز الأمور الإيجابية، وأن نتلافى الأمور السلبية في ضوء استراتيجية واضحة.

رابعاً. من سبيل النهوض

إذا كانت الدول العربية جادة في النهوض بلغتها، والارتقاء بها، والمحافظة على حدودها، فما عليها إلا أن تكون حريصة على تنفيذ مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة الذي تقدمت به الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة العربي الذي عقد بدمشق عام ٢٠٠٨ ووافق عليه، وقدم الشكر لسورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع، وكلف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تنفيذه بالتنسيق مع اللجان المشكلة لهذه الغاية في الدول العربية، وهو مشروع شامل لجميع مكونات النهوض باللغة.

ومادمننا في صدد البحث في اللغة العربية في الثقافة والإعلام فيمكن أن نقدم باقة من التوصيات الرامية إلى الارتقاء بواقع اللغة في هذين الميدانين، وفيما يلي بعضها:

- إصدار القرار السياسي اللازم للتعريب أسوة بالأمم الحية التي تعنى بلغاتها القومية وكفانا تسويقاً وتلكؤاً.
- وضع سياسة لغوية على الصعيد القومي وتخطيط لغوي في ضوءها.
- التنسيق بين جميع الجهات المعنية بوضع المصطلحات والالتزام باستعمال المصطلحات الموحدة.
- تفعيل الترجمة إلى العربية ومنها إلى اللغات الأجنبية في ضوء خطة عامة للترجمة ودعم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر على أنه الجهة المعنية على الصعيد القومي للاضطلاع بدور الترجمة ولاسيما ترجمة أمهات الكتب العلمية ورفد الجامعات العربية بها.
- تفعيل المكتبات المدرسية ومدّها بالكتب الملائمة والمتنوعة في مختلف جوانب المعرفة، تلبية لرغبات الناشئة وحاجاتهم، وإرضاء لميولهم واهتماماتهم، على أن يكون المعلمون قدوة أمامهم في محبة الكتاب، والحث عليه، وتقديم الجوائز للمجّلين في المطالعة الحرة.

- إعادة النظر في مناهج إعداد المعلمين والإعلاميين، وفي برامج تدريبهم، بحيث تكون وظيفية وعملية تركز على الجوانب التطبيقية أكثر من تركيزها على الجوانب النظرية.
- معالجة الشؤون اللغوية وقضاياها بالأساليب العلمية والتجارب الميدانية، وكفانا الاعتماد على الخبرات الذاتية والانطباعات الشخصية في المعالجة.
- العمل على زيادة المحتوى الرقمي العربي على الشبكة «الإنترنت»، وتقديم الجوائز والمكافآت لأصحاب أحسن المواقع وأفضل الباحثين الذين يستخدمون العربية السليمة في هذا المجال.
- الإكثار من البرامج الموجهة إلى الأطفال والمصوغة بالعربية السليمة والسهلة الميسرة عبر وسائل الإعلام المختلفة والمتنوعة، والإكثار من الأناشيد والأغاني المصوغة بالفصيحة.
- الالتفات إلى الطفولة المبكرة (رياض الأطفال)، وضرورة الاهتمام بمربياتها ومناهجها وألعابها اللغوية على أن يكون تأهيل هؤلاء المربيات على مستوى جامعي.
- تعزيز الانتماء والتوعية اللغوية في جميع جوانب حياتنا انطلاقاً من أن العربية هي الوطن الروحي لأبناء الأمة.
- وضع الخطط الرامية إلى ربط أبناء الجاليات العربية المهاجرة بثقافة أمتهم ولغتها وتقديم كل دعم مادي لازم لتحقيق ذلك على غرار ما تفعله الأمم الأخرى.
- الإكثار من تقديم المسرحيات والأفلام السينمائية والمسلسلات الإذاعية والتلفزيونية بالعربية السليمة.
- الحؤول دون تقديم البرامج الدينية والتوجيهية عبر وسائل الإعلام بالعامية، والعمل على الارتقاء بلغة الجمهور لا على أن يتخلى الدعاة عن لغة القرآن الفصيحة إلى اللهجات العامية بحجة القرب من مخاطبته.

- تفعيل أداء المجامع اللغوية العربية في مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة، ووضع التسميات العربية مقابل المصطلحات الأجنبية والتفجر المعرفي في مختلف الميادين.
- ضرورة الالتزام باستعمال المصطلحات الموحدة على الصعيد العربي تجنباً للبلبلة والاضطراب في هذا المجال.
- دعم جمعيات حماية اللغة العربية في الوطن العربي، وإنشاء جمعيات ولجان للمحافظة على اللغة، على أن يقوم المجتمع المدني بدوره إلى جانب الجهات الرسمية المعنية بالنهوض باللغة والارتقاء بها.
- تفعيل العمل التطوعي في تنقية البيئة من التلوث اللغوي، على أن يكون كل مثقف مصححاً لغوياً وحريصاً في الالتزام باستعمال لغته على السلامة اللغوية في منأى عن الأخطاء الصارخة، وأن ينبه في الوقت نفسه على الاستعمال الصحيح للأداء اللغوي.

والواقع أن عمق الانتماء إلى أمتنا العربية ولغتها العربية عنوان هويتها وذاكرتها ووطنها الروحي يساعد على تخطي الصعاب، ويحول دون الذوبان والاحياء، مع الأخذ بالحسبان أن مسؤولية النهوض باللغة إنما هي مسؤولية جميع أبناء الأمة مادامت العربية لغتهم الأم، وجميل جداً أن يكون الأبناء بررة بأمهاتهم وأوفياء لهن، إذ لا شيء أمر من العقوق!

وإن لغتنا العربية الأم الولود الحنون الغنيّة والسخيّة ليست بعاجزة عن مساندة ركب العلم الحديث، وإنما أبنائها العاقون هم العاجزون، وهم الذين يخربون بيوتهم بأيديهم، ويطفئون نور حضارتهم بأفواههم، ويطمسون معالم شخصيتهم بآرائهم المنحرفة. لقد جاء في فقه اللغة للشعالبي «من أحب الله أحب نبيه المصطفى ﷺ العربي، ومن أحب نبيه العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية، ومن أحب اللغة العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها».

إلا أن حب العربية والتعلق بها لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يتحول إلى
عصبية لغوية، فنحن نحترم اللغات كافة على غرار ما انتهجته أمتنا العربية من قبل في
منأى عن أي تشنج أو تعصب، ولكننا في الوقت نفسه لا نعمل على التفريط بحق لغتنا
الأم والدفاع عن حدودها، إذ إن لها حدوداً كما للوطن حدود، لا تترك للمعتدين
عليها والمتجاوزين لها، وإذا كانت العصبية مرفوضة فإن التفريط في اللغة غير مقبول
على الإطلاق!.



مَرَجِعُ الْفَصْلِ

- ١- الدكتور أحمد درويش - التحديات اللغوية العامة للعربية المعاصرة - الوثيقة الإقليمية لمناهج تعليم وتعلم اللغة العربية - الجمعية العربية لضمان الجودة في التعليم - القاهرة ٢٠٠٩.
- ٢- الدكتور أحمد الضبيب - أزمة اللغة العربية في التعليم - مجلة الحياة الفكرية - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٩.
- ٣- الدكتور أحمد محمد المعتوق - التحديات التي تواجهها اللغة العربية المعاصرة في تعلمها والتعليم بها في دول الخليج العربي - اللغة العربية والتعليم - رؤية مستقبلية للتطوير - أبو ظبي ٢٠٠٨.
- ٤- الدكتور شكري فيصل - المؤتمرات والندوات التي عقدتها المنظمات والهيئات العربية حول تعريب التعليم الجامعي في مجالات المصطلح والترجمة والتأليف - عرض ودراسة - دمشق ١٩٨٢.
- ٥- الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية واقعاً وارتقاءً - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠١٠.
- ٦- الدكتور محمود أحمد السيد - في قضايا الطفولة - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٥.
- ٧- الدكتور منصور فرح - اللغة العربية على الإنترنت - المؤتمر الوطني الأول لصناعة المحتوى الرقمي العربي بدمشق - ٢٠٠٩.

الفصل الرابع

« الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي »

محتويات الفصل:

أولاً - مفهوم الكفاية

ثانياً - الكفايات الخاصة باللغة العربية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي:

كفاية القراءة.

كفاية التعبير الشفهي والكتابي.

كفاية الاستماع.

كفاية النقد.

كفاية التذوق الأدبي.

كفاية النحو.

كفاية حفظ الشواهد الشعرية والنثرية.

كفاية التعلم الذاتي.

ثالثاً - واقع الكفايات اللغوية في ضوء استطلاع الرأي

- ١ - الواقع المتعلق بميول الطلبة واتجاهاتهم نحو اللغة العربية.
- ٢ - الواقع المتعلق باللغة المعتمدة في العملية التعليمية التعلمية.
- ٣ - القصور في كفاية الفهم.
- ٤ - القصور في كفاية القراءة.
- ٥ - القصور في كفاية التعبير الوظيفي.
- ٦ - القصور في الكفاية النحوية.
- ٧ - القصور في التذوق الأدبي.
- ٨ - القصور في استعمال المعاجم.
- ٩ - النقص في كفاية الحفظ.
- ١٠ - النقص في المناشط اللاصفية.
- ١١ - النقص في الكشف عن الموهوبين في مجال اللغة والأدب.
- ١٢ - القصور في التعلم الذاتي.
- ١٣ - القصور في بناء المناهج اللغوية.
- ١٤ - النقص في الدورات التأهيلية للمعلمين.
- ١٥ - القصور في كفاية استخدام التقنيات التربوية.
- ١٦ - القصور في نقاء البيئة المحيطة بالمتعلمين.

رابعاً - سبل النهوض بالواقع والارتقاء به.

الفصل الرابع

الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحاول في هذا الفصل أن نتعرف مفهوم الكفاية، وأن نقف على الكفايات الخاصة باللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، وأن نسلط الأضواء على مدى توفر هذه الكفايات عند طلاب ما قبل التعليم الجامعي، لتتوصل أخيراً إلى تقديم عدد من المقترحات للنهوض بالواقع والارتقاء به.

أولاً- مفهوم الكفاية

تهدف العملية التعليمية التعلمية إلى إكساب المتعلم معلومات تزيد من خبراته، وتساعد على معالجة شؤون حياته، وفهم للبيئة التي يتفاعل معها، والتأثير فيها، على أن يتم التركيز فيها على البناء والتنظيم والترتيب لتيسير معالجة المعلومات، وعلى أن ينظر إلى مخرجات التعلم لا على ما يقدم المعلم فقط، ولكن على ما يفعله المتعلم من أجل تلك المعالجة.

وتتجلى أهم سمات التعامل في العملية التعليمية التعلمية في ضوء منحنى الكفايات في الأمور التالية:

- ١- التركيز في العملية التعليمية التعلمية على المتعلم وليس المعلم.
- ٢- العمل على أن يتمحور التعلم حول الاستعدادات الذهنية للمتعلم، وحول ما يمكن أن يكون قادراً عليه في المستقبل بدلاً من التمحور حول المكتسبات السابقة.

٣- العمل على أن يتجه التعلم نحو المهارات العملية، ومهارات التفكير، واختيار الاستراتيجيات والمسارات، بدلاً من تعلم المعرفة الجاهزة، بحيث يركز في طرائق التعلم على الجهود التي يبذلها المتعلم، وصولاً إلى الحقائق والأحكام، بدلاً من أن تقدم النتائج إليه تقديماً مباشراً^(١).

وطالما تردد في أدبياتنا التربوية مفهوم الكفاية، فما هذا المفهوم؟

إن ثمة تعريفات متعددة للكفاية، إذ يرى «دينو D'hainaut» أن الكفاية تتمثل في القدرة على القيام بعمل عقلي معرفي، ومن ثم فهي أمر داخلي وغير مرئي، في حين يرى «جيلي Gilly» أن الكفاية هي نظام من المعارف المفهومية (الذهنية) والمهارات العملية التي تتشكل في إجراءات تمكّن من تعرف إشكالية محددة وحلها بفعالية، وللكفايات أنواع ثلاثة:

١- كفاية عامة: وتعرّف الكفاية العامة بالقدرة على تعبئة مجموعة مندمجة من المعارف والمهارات والاتجاهات بغض النظر عن اختلاف حقول المعرفة واختلاف المواد الدراسية والأنشطة التعليمية، فهي كفاية أفقية تشترك فيها كل حقول المعرفة ولا سقف لها.

ولقد أشار «كري Curry» إلى تسع كفايات عامة لا بد أن تتوفر لدى طلاب ما

قبل التعليم الجامعي، وهذه الكفايات هي:^(٢)

(١) الدكتور محمد بن فاطمة والأستاذ محمود وناس- دليل مرجعي لتدريب الأطر التربوية المعنية بالكفايات العامة اللازمة لخريج التعليم الثانوي العام في الوطن العربي- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس ٢٠١٠ ص ١٣.

(٢) المرجع السابق ص ٤٢.

- التحليل بمختلف أساليبه.
 - المرونة القائمة على تعدد المهارات.
 - التواصل مع الغير.
 - التواصل بلغات مختلفة شفهاً وكتابياً ورمزياً وتشكيلياً وموسيقياً... الخ.
 - التخطيط للمشروعات.
 - إدارة الوقت.
 - التحلي بالدافعية عند الإقدام على إنجاز عمل.
 - المبادرة.
 - العمل ضمن فريق أو مجموعة.
- ويرى «فوريز Fourez» أن ثمة كفايات سبعة عامة ينبغي لها أن تتوفر لدى هؤلاء الطلاب، وهذه الكفايات هي:

- التعبير باستعمال الوسائل الأكثر تناسباً من أجل ضمان التواصل.
- تحليل البيانات.
- اعتماد طريقة العمل المثلى لضمان فاعلية أفضل.
- استخدام الوسائل والتقنيات التقانية (التكنولوجية) الحديثة.
- كفاية إنجاز المشروعات.
- التواصل من أجل الحياة مع الآخرين والعمل معهم.
- توظيف التفكير الناقد^(١)

وإذا أخذنا كفاية عامة ولتكن التربية على المواطنة، فإننا نلاحظ أن هذه الكفاية

تتجلى في أن يتمكن الطالب من أن:

(١) المرجع السابق ص ٤٢.

- يؤدي واجباته ويتمسك بحقوقه.
 - يؤمن بالوحدة الوطنية على أنها ضرورة حتمية للتقدم.
 - يقدر المصلحة العامة، ويقدمها على مصلحته الخاصة، ويضحى من أجل الصالح العام.
 - يؤمن بالتعددية في إطار الوحدة الوطنية.
 - يعتز بانتمائه إلى وطنه.
 - يتحمل المسؤولية، ويمارس الأساليب العقلانية في التفكير والحوار.
 - يعمل بروح الفريق، ويمارس العمل الجماعي والتطوعي في حياته.
 - يمارس النقد، ويشارك في اتخاذ القرار.
 - يتقبل الآخر، ويقدر رأيه، ويحترم وجهات النظر الأخرى في منأى عن أي تزمّت.
 - يتقن عمله^(١).
- ٢- كفاية متعلقة بحقل معرفي معيّن أو ميدان معيّن كحقل العلوم وحقل اللغات وحقل الجماليات... الخ.
- ويرى «تشومسكي Chomsky» أن الكفاية اللغوية ليست سلوكاً وإنما هي مجموعة من القواعد تسيّر السلوكات اللغوية وتوجهها دون أن يكون الفرد واعياً بها. وهي نظام ثابت من المبادئ يمكن من إنتاج عدد لا نهائي من الجمل وتعرّف تلقائي على عدد منها، ولو لم يكن قد مرّ بها المتعلم من قبل^(٢).
- ٣- كفاية خاصة متعلقة بمادة دراسية واحدة كمادة اللغة العربية أو الرياضيات أو التاريخ... الخ.

(١) الدكتور محمود السيّد- التربية على المواطنة- محاضرات الموسم الثقافي في مجمع اللغة العربية بدمشق

لعام ٢٠٠٨- مطبوعات المجمع - ٢٠٠٩ ص ١٢٥

(٢) المرجع السابق ص ١٤.

ثانياً. الكفايات الخاصة باللغة العربية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي

تشارك الكفايات الخاصة باللغة العربية مع الكفايات الخاصة بحقل اللغات كافة في العملية التعليمية التعلمية، وإذا كان من الأهداف العامة لتعليم اللغة العربية وتعلمها إشاعة استعمال اللغة العربية الفصيحة والميسرة على الألسنة والأقلام، وتيسير العمل اللغوي، وتجنب التعسير والتعقيد فهماً وتفهماً وممارسة، كتابة ومشاهدة، والحرص على تماسك النظام اللغوي أصولاً وفروعاً وعميماً وتخصيصاً على اختلاف مستوياته الكتابية والصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية والبلاغية والمعنوية والدلالية^(١)، فإن الكفايات الخاصة باللغة العربية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي تتمثل في:

كفاية القراءة: وهي أن يكون الطالب قادراً على:

- النطق الصحيح للحروف والكلمات، والاستقلال في تعرفها.
- الدقة في القراءة (الخلو من الأخطاء).
- السرعة المناسبة والانطلاق في القراءة الجهرية.
- تلوين القراءة بحسب المواقف.
- الفهم بمستوياته المختلفة (فهم معاني المفردات، فهم المقاطع وال فقرات، فهم ما بين السطور، فهم ما وراء السطور، إدراك المغزى والهدف).
- تعرف الفكر الأساسية والفرعية والتميز بينها.
- الموازنة بين الفكر الجديدة والخبرات السابقة المتعلقة بها.
- تعرف الاتجاهات والقيم التي تشتمل عليها النصوص المقروءة.

(١) محمد صالح بن عمر - فرحات الدريسي - دليل مرجعي لتنمية الكفايات اللغوية لدى مدرسي اللغة

العربية بالتعليم العالي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ٢٠١١ ص ١٨.

- إدراك نواحي الجمال وتذوقها.
- توظيف المقروء في الحياة العملية والانتفاع به في مواقف التعبير.
- الشغف بالقراءة، والميل إليها، والإقبال على المطالعة الحرة.
- انتقاء المادة الصالحة للقراءة.
- كفاية الكتابة: وهي أن يكون الطالب قادراً على:
 - الكتابة بخط واضح ومتناسق.
 - الكتابة الصحيحة السليمة، وتجنب الأخطاء الإملائية والنحوية.
 - إيضاح الفكر بأسلوب سليم.
 - التنظيم المنطقي للفكر وتسلسلها دون انقطاع فيها.
 - توظيف الشواهد والاقبسات في مواضعها.
 - استخدام علامات الترقيم استخداماً سليماً (الفاصلة، النقطة، النقطتان، علامة التعجب، علامة الاستفهام، المعترضة، التنصيص).. الخ.
 - مراعاة الهوامش والتقسيم إلى فقرات.
- كفاية التعبير الشفهي والكتابي: وهي أن يكون الطالب قادراً على:
 - التعبير عن مشاعره وأحاسيسه وعمّا يقع تحت حسه مشافهة وكتابة بأسلوب واضح منظم.
 - التعبير عن خبراته وآرائه الخاصة بأسلوب سليم يتسم بوضوح الأفكار وصحتها وتنظيمها.
 - التعبير الوظيفي الشفاهي والكتابي لقضاء حاجاته وتلبية متطلباته في تفاعله مع مجتمعه (المحادثة والمناقشة، سرد الأخبار، إعطاء التعليقات والتوجيهات والإرشادات، إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، كتابة محاضر الجلسات

وإعداد ملخصات عنها، تقديم التقارير، كتابة المذكرات، كتابة الرسائل
الديوانية، كتابة النشرات والإعلانات واللافتات، كتابة بطاقات الدعوة
والاعتذار، ملء الاستمارات والاستبانات، أصول تقديم الطلبات... الخ.

- التعبير عما يقرؤه بأسلوبه الخاص.
- التعبير الأدبي عن خصائص أديب أو عصر... الخ.
- كفاية الاستماع: وهي أن يكون الطالب قادراً على:
- إدراك معاني الكلمات واستنتاج معاني الكلمات غير المفهومة من السياق
والمحتوى عند الاستماع.
- إدراك هدف المتحدث.
- فهم الفكر وإدراك العلاقات فيما بينها.
- تنظيم الفكر وتبويبها.
- تحليل كلام المتحدث والحكم عليه.
- تلخيص الفكر المطروحة.
- اصطفاء المعلومات المهمة.
- توظيف بعض الفكر في مواقف التعبير.
- كفاية النقد: وهي أن يكون الطالب قادراً على:
- تحديد هدف الكاتب وإدراك ما بين السطور وما وراءها.
- ربط الفكر بعضها ببعضها الآخر وإدراك العلاقة بينها.
- التمييز بين الحقائق والآراء.
- التمييز بين الحقائق الوثيقة الصلة بالموضوع وغير الوثيقة به.
- ربط السبب بالنتيجة واستخلاص النتائج من المقدمات المعروضة.

- التمييز بين أوجه الشبه والاختلاف في الفكر والعبارات.
- إدراك كيفية تعامل الكاتب مع موضوعه من مثل قدرته على اختيار الموضوع وترتيبه للفكر، وتركيزه على المعلومات الأساسية، ودرجة موضوعيته.
- إدراك ما إذا كان في النص ما يسوّغ النتائج التي توصل إليها الكاتب:
- إدراك أهم مقومات الجمال في المقروء.
- تفسير دوافع الكاتب
- تحديد مدى منطقية الأحداث ومعقوليتها.
- إدراك اللغة المجازية داخل النصوص المقروءة والوعي بالكلمات التي تثير العاطفة.
- اكتشاف المبالغات والادعاءات غير الحقيقية.
- تقويم كفاية المعلومات الواردة وتبيان فائدتها.
- كفاية التذوق الأدبي: وهي أن يكون الطالب قادراً على:
- تمثل المتعلم الجو النفسي والحركة النفسية في النص.
- اختيار العنوان المعبر عن أحاسيس الأديب.
- استخراج البيت الذي يتضمن الفكرة الأساسية في القصيدة.
- اختيار أقرب الأبيات معنى إلى بيت معين.
- إدراك ما بين الأبيات من وحدة عضوية وما بين الأفكار من ترابط.
- فهم مكونات الصورة الشعرية ومدى قدرتها على التعبير عن أحاسيس الشاعر.
- إدراك مكونات الصورة الشعرية ومدى نجاحها في رسم الشخصيات.
- استخراج الصفات التي يصف بها الأديب نفسه أو يصف بها الآخرين.
- تحديد القيم الاجتماعية التي تشيع في النصوص المقروءة.

- اختيار أصدق الأبيات تعبيراً عن إحساس الشاعر وأقربها إلى الواقعية.
- إدراك ما في الأبيات من نشاز موسيقي.
- إدراك أثر القافية في جمال البيت.
- إدراك جمال التشبيه والصور البيانية في النصوص والغرض البلاغي منها.
- ترتيب القصائد والمقطوعات الشعرية بحسب جودتها.
- الموازنة بين قصيدتين في غرض واضح وتوضيح أيهما أجود.
- تعرف التراث الأدبي في عصوره المختلفة بما يحويه من قيم اجتماعية وخلقية وجمالية وظروف تاريخية.
- تعرف الفنون الأدبية من قصة وشعر ومقالة وخطبة ومسرحية.. الخ وتذوقها.
- كفاية النحو: وهي أن يكون الطالب قادراً على:
- معرفة المصطلحات النحوية.
- تطبيق المباحث النحوية في الكلمات والجمل.
- إدراك الترابط بين المبحث النحوي والدلالات (المعنى الذي يعبر عنه).
- الضبط بالشكل.
- الإعراب.
- ربط المباحث النحوية بكلياتها.
- تمثل النظام النحوي من حيث إنه يشتمل على ضبط أواخر الكلام والصرف والأصوات والأداء والتراكيب اللغوية وبنى الجمل الفرعية والأساسية والمعنى.
- كفاية حفظ الشواهد الشعرية والنثرية: وهي أن يكون الطالب قادراً على:
- الاستشهاد بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تأييداً لرأي وموقف أو تبياناً للحاسة الجمالية.

- الاستشهاد بأبيات شعرية على الصعيدين العربي والعالمي يتوفر فيها الجمال.
- الاستشهاد بنماذج نثرية على الصعيدين العربي والعالمي يتوفر فيها الجمال.
- الاستشهاد بنماذج شعرية تتوفر فيها الحكمة، وذلك على الصعيدين العربي والعالمي.
- الاستشهاد بنماذج نثرية وأمثال تتوفر فيها الحكمة، وذلك على الصعيدين العربي والعالمي.

كفاية التعلم الذاتي: وهي أن يكون الطالب قادراً على الاعتماد على نفسه في:

- حلّ التدريبات والتمرينات والأسئلة.
- المقارنة بين إجاباته والإجابات الصحيحة.
- تصحيح الأغلط اللغوية النحوية والإملائية.
- البحث في المعاجم عن معاني الكلمات.
- اختيار المادة الصالحة لقرائه.
- الإقبال على المطالعة الحرة.
- مواكبة المستجدات على الصعيد المحلية والقومية والعالمية.

ثالثاً. واقع الكفايات اللغوية في ضوء استطلاع الرأي

بلغ عدد الاستبانات التي وجهتها مؤسسة الفكر العربي إلى الطلاب في نهاية مرحلة ما قبل التعليم الجامعي ٤٧٤٧ استبانة وشمل التوزيع الجغرافي لاستطلاع الرأي كلاً من لبنان، سورية، الأردن، فلسطين المحتلة، المملكة العربية السعودية، مصر، تونس، المغرب، قطر، موريتانيا، السودان، الصومال، العراق^(١)

(١) مؤسسة الفكر العربي - استطلاع رأي طلاب ما قبل التعليم الجامعي - بيروت ٢٠١١.

وكانت النسبة المئوية للعيينة المستجوبة من كل دولة على النحو المبين في

الجدول التالي:

الجدول رقم (١)

النسبة المئوية للعيينة المستجوبة من كل دولة

الدولة	عدد الطلاب في العينة	نسبتها المئوية
لبنان	٣٤٨٧	٧٣.٤٦
الأردن	٣١	٠.٦٥
فلسطين	٣١٥	٦.٦٤
العراق	١	٠.٠٢
سورية	٢	٠.٠٤
المغرب	٣٥٦	٧.٥٠
تونس	١٤٥	٣.٠٥
مصر	٥	٠.١١
موريتانيا	٢٤٠	٥.٠٦
الصومال	٢	٠.٠٤
السودان	٤	٠.٠٨
السعودية	١٣٤	٢.٨٢
قطر	٢١	٠.٤٤
لا جواب	٤	٠.٠٨
حجم العينة	٤٧٤٧	١٠٠

ولما كانت النسبة المئوية لعدد الطلاب في العينة المستجوبة في الدولة لا يصل إلى ١٪ فيمكن إغفاله لأنه لا يعد ممثلاً، وفي هذه الحالة يمكن ترتيب الدول ترتيباً تنازلياً في ضوء حجم العينة المستجوبة فيها على النحو التالي:

الجدول رقم (٢)

النسبة المئوية للعينة المستجوبة مرتبة ترتيباً تنازلياً

الدولة	عدد الطلاب في العينة	نسبتها المئوية
لبنان	٣٤٨٧	٧٣.٤٦
المغرب	٣٥٦	٧.٥٠
فلسطين	٣١٥	٦.٦٤
موريتانيا	٢٤٠	٥.٠٦
تونس	١٤٥	٣.٠٥
السعودية	١٣٤	٢.٨٢

ويلاحظ أن ما يقرب من ثلاثة أرباع حجم العينة إنما هو من لبنان، في حين أن الربع الباقي لها من خمس دول هي المغرب وفلسطين وموريتانيا وتونس والسعودية، كما يلاحظ أن ثمة ثلاث دول من المغرب العربي هي تونس والمغرب وموريتانيا، ودولتين من بلاد الشام هما لبنان وفلسطين ودولة من دول الخليج العربي هي السعودية.

ولو ألقينا نظرة على واقع القطاع التعليمي من حيث نوعيته «حكومي أو خاص» فإننا نلاحظ أن النسبة المئوية للطلاب التابعين لكل قطاع على النحو المبين في الجدول رقم (٣).

الجدول رقم (٣)

النسبة المئوية للعينة المستجوبة من حيث نوعية القطاع الذي تتبع له

النسبة المئوية	عدد الطلاب في العينة	القطاع التعليمي
٦٢.٦٣	٢٩٦٠	حكومي (رسمي)
٣٢.٦٣	١٥٤٩	خاص
٥.٠١	٠٢٣٨	لا جواب
١٠٠	٤٧٤٧	حجم العينة

ويتضح من خلال الجدول أن ما يزيد على ثلث العينة المستجوبة هو من القطاع الخاص وتجدر الإشارة إلى أن الأنظمة المطبقة في المدارس الخاصة تختلف أحياناً عن الأنظمة المطبقة في المدارس الرسمية الحكومية. وهذا الاختلاف يؤثر في اتجاهات الطلبة وميولهم، وهنا لا بد من أخذ هذا الجانب بالاعتبار عند تحليل الاستبانات.

وبعد تحليل الاستبانات، والوقوف على الإجابات فيها تبين ما يلي:

١ - الواقع المتعلق بميول الطلبة واتجاهاتهم نحو اللغة العربية:

أشار ٥٦.٢٪ من طلبة المرحلة الثانوية إلى أنهم اختاروا الفرع العلمي لا الأدبي في دراستهم للحصول على الشهادة الثانوية، وأن السبب في هذا الاختيار هو الرغبة في متابعة الاختصاص في الجامعة كما أفاد بذلك ٤٩.٨٪ منهم.

وأبانت الإجابات أن ما يقرب من نصف الطلبة لا يحب اللغة العربية، إذ إن ٥٣.١٪ من الطلبة فقط أبدوا محبتهم للغة الأم «العربية الفصحى»، وهذه أمانة بالغة الخطورة على واقع أبنائنا الطلبة تجاه لغتهم القومية.

وذكر ٦٥.١٪ من الطلبة أنهم لا يرغبون في تعلم مواد العلوم والرياضيات وسائر المواد في المرحلة الثانوية باللغة العربية، كما أشاروا إلى أنه لو ترك لهم الخيار في الإجابة

عن أسئلة مواد العلوم والرياضيات في الكتابي والشفهي فإنهم يختارون اللغة الأجنبية أكثر من اختيارهم للعربية، إذ بلغت نسبة من يختار الأجنبية ٦٥.٤٪ في حين أن نسبة من يختار العربية ٣١.٣٪.

٢- الواقع المتعلق باللغة المعتمدة في العملية التعليمية التعلمية:

تبين أن اللغة المعتمدة في المدرسة في تدريس مواد العلوم والرياضيات هي اللغة الأجنبية، حيث أشار ٤١.٤٪ من الطلبة إلى أن اللغة الإنجليزية هي المعتمدة، وأشار ٣٣.٥٪ منهم أن الفرنسية هي المعتمدة، في حين أن نسبة من أشاروا إلى ثنائية اللغة بلغت ٦.٨٪.

وتبين أيضاً أن امتحانات مواد العلوم والرياضيات تجري باللغة الإنجليزية بنسبة قدرها ٤٣.٩٪ وبالفرنسية بنسبة قدرها ٣٣.٥٪ وبالعربية في المرتبة الثالثة بنسبة قدرها ١٩.٩٪.

وأبان ٩٣.٤٪ من الطلبة أنه لا يسمح لهم بالإجابة عن أسئلة مواد العلوم والرياضيات في الكتابي والشفهي باللغة العربية.

أما اللغة المعتمدة في المدرسة في شرح دروس العلوم والرياضيات فقد كانت مزجاً بين العامية والأجنبية بنسبة قدرها ٤٧.٥٪ وبالأجنبية بنسبة قدرها ١٥.٨٪ وبالعامية بنسبة ٨.٧٪ وجاءت اللغة العربية الفصيحة في المرتبة الأخيرة بنسبة قدرها ٤.٣٪.

وتدل هذه النسب على أن واقع الأنظمة المطبقة في المدارس يساعد أيما مساعدة على إقبال الطلبة على استعمال اللغة الأجنبية مادامت الدروس تشرح بها، والامتحانات تؤدي بها، وأنه لا يسمح للطلبة بتأدية امتحاناتهم بالعربية.

ولو ألقينا نظرة على المستخدمة في التواصل اللغوي والنقاش بين المدرسين والطلبة لألفينا أن العربية الفصيحة تستخدم أحياناً بنسبة قدرها ٤٤.٨٪ في حين أن ٣٤.٤٪ من الطلبة أشاروا إلى أن الفصيحة لا تستخدم في التواصل بين الجانين.

أما السبب في عدم التواصل مع الأساتذة بالفصيحة فقد أرجعه ٣١.٤٪ من الطلبة إلى خوف الوقوع في الخطأ و٣٠.٣٪ منهم إلى صعوبة العربية وتعقيدها، وتجدد الإشارة إلى غياب القدوة الحسنة في استعمال اللغة السليمة إن من المعلمين أو المتعلمين، وأن ثمة أخطاء يرتكبونها عند ممارستهم العربية الفصيحة. وتسود العامية في لغة التخاطب بين الطلاب في المدرسة والصفوف، إذ وصلت نسبة استخدامها إلى ٨١.٣٪ في حين بلغت نسبة استخدام ازدواجية اللغة (فصيحة وعامية) ٦.٢٢٪ وبلغت نسبة استخدام ثنائية اللغة (أجنبية وفصيحة) ٦.٣٪، وجاءت الفصيحة في المرتبة الأخيرة حيث بلغت نسبة الاستخدام ٣.٥٪.

٣- القصور في كفاية الفهم:

تتمثل كفاية الفهم في إدراك معاني المفردات، وتحديد الفِكر الأساسية والفرعية، وتعرف ما بين السطور، وما وراء السطور، والمغزى والهدف. ولقد ذكر أكثر من نصف الطلبة المستجوبين أنهم يجدون صعوبة في فهم كثير من الكلمات في النصوص القديمة كالمعلقات، إذ بلغت النسبة ٥٣.٦٪ وأن ٥٧.٧٪ من الطلبة أيضاً يجدون صعوبة في فهم بعض المفردات في الشعر العربي الحديث، كما أن ٣٠.٩٪ يجدون صعوبة في فهم المصطلح العلمي باللغة العربية في حين أن ٤٥.١٪ يجدون هذه الصعوبة أحياناً.

ولا يقتصر القصور في الفهم على النصوص المقروءة في القراءتين الجهرية والصامتة، وإنما يمتد إلى النقص في فهم ما يستمع إليه الطالب في المحاضرات والدروس، وأن ثمة نفرًا من الطلبة ينجلون أن يسألوا المعلم عن نقطة لم يفهموها، ويحسون بالحرج في السؤال أمام زملائهم.

ومن الملاحظ أن ثمة نقصاً في قراءة الاستماع في المدارس، إذ لم يدرّب المعلمون عليها التدريب الكافي على الرغم من الحاجة إليها في واقع الحياة.

٤ - القصور في كفاية القراءة:

إذا كان ثمة قصور في كفاية القراءة يتمثل في النقص في إدراك المقروء وفهمه واستيعابه مفردات وفكرًا وأهدافاً فإن ثمة نقصاً آخر يتمثل في النقص في الدقة في القراءة، إذ غالباً ما ترتكب الأخطاء في القراءة، كما ترتكب الأخطاء في عدم تلوين القراءة بحسب المواقف (مواقف التعجب والاستفهام والإباء والضراعة... الخ).

٥ - القصور في كفاية التعبير الوظيفي:

إذا كان التعبير الوظيفي شفهيًا كان أو كتابياً يؤدي خدمة للخريج من هذه المرحلة «مرحلة ما قبل التعليم الجامعي» في تفاعله مع مجتمعه قضاءً لحاجاته وتنفيذاً لمتطلباته، فإننا نلاحظ أن ثمة قصوراً واضحاً في هذه الكفاية لدى خريجي هذه المرحلة لا بل لدى خريجي الجامعات والمعاهد أيضاً، ويرجع السبب في هذا القصور إلى عدم التدريب الكافي على ممارسة ضروب هذا التعبير ضمن جدران المدارس والمعاهد والجامعات نظراً لهيمنة الطريقة الإلقائية التلقينية والحؤول في الأعم الأغلب دون المناقشة والمحادثة، وعدم إيلاء المواقف الوظيفية في الحياة التدريب عليها في المناهج «توجيه التعليمات والإرشادات، إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، كتابة المذكرات، إعداد محاضر الجلسات وملخصات عنها، كتابة النشرات والإعلانات، واللافتات، كتابة بطاقات الدعوة والاعتذار، تحرير الرسائل الدبلوماسية، ملء الاستمارات، إجراء المقابلات، أصول تقديم الطلبات... الخ.

ومن الملاحظ أن ثمة التفتاتاً إلى الموضوعات الوصفية أكثر من الالتفات إلى الموضوعات الوظيفية التي يتطلبها المجتمع وتتطلبها الحياة، كما أن ثمة أخطاء لغوية نحوية وإملائية يرتكبها الطلبة في تعبيراتهم.

٦- القصور في الكفاية النحوية:

ويتجلى هذا القصور لدى الطلبة في ارتكابهم الأخطاء النحوية في تعبيراتهم الشفهية والكتابية، فقد أجاب ٥٣.١٪ منهم أنهم يرتكبون الأخطاء أحياناً وأن ١٩.٨٪ منهم لا يجيدون الإعراب فضلاً عن الأخطاء اللغوية في القراءة.

وأشار الطلبة المستجوبون إلى أن ثمة صعوبة في بعض المباحث النحوية واجهوها في أثناء دراستهم وهذه المباحث مرتبة ترتيباً تنازلياً «نائب المفعول المطلق، لا النافية للجنس، المفعول المطلق، المسند والمسند إليه، نائب الفاعل، إسناد الفعل الصحيح، الاسم الموصول، المجرور بالإضافة، الظرف، نصب المضارع، المجزوم بلم، جزم المضارع، الحال، إن وأخواتها، نوعا الجملة، كان وأخواتها، أدوات الربط، حروف العطف، أنواع الضمير، النعت، المبتدأ والخبر، اسم الإشارة، الضمير».

أما المباحث النحوية التي ما يزال الطلبة يرونها صعبة وقد رتب ترتيباً تنازلياً فهي: «الاستثناء، إسناد الفعل، العلامات الفرعية، البناء للمجهول، إسناد الفعل الصحيح، المفعول لأجله، الأسماء المبنية، الجزم بأدوات الشرط، أقسام الكلمة، النفي وأدواته، الجملة والتركيب، الصحيح والمعتل، إعراب الأسماء الخمسة، أنواع الخبر، العلم، المعرف بأل والإضافة، إعراب الأفعال الخمسة».

٧- القصور في التذوق الأدبي:

كان أكثر من نصف الطلبة لا يستمتعون بألوان الأدب المختلفة من قصة قصيرة ورواية ومقالة ومسرحية إذ بلغت النسبة ٥٧.٧٪، وتبين أيضاً أن ٧٦.٣٪ من الطلبة لا يدركون الجانب البلاغي في الصور والأساليب، كما أن ٧٣.٢٪ لم يتعرفوا الفنون والمدارس الأدبية الحديثة ومكان الأدب فيها، وأن ٦١.٢٪ لم يدركوا حظ النصوص من الفن والجمال وطرق تركيب الكلام، إضافة إلى أن معظم الطلبة لا يحسنون العروض، ولا يتعرفون أوزان البيوت الشعرية، ولا يحسون باختلاف الوزن والنشاز الموسيقي.

٨- القصور في استعمال المعاجم:

ثمة نقص كبير في استخدام المعاجم والبحث عن معاني الكلمات فيها، مع أن هذا البحث متوفر في المناهج، إذ إن المناهج تشتمل عليه، ولكن التدريب عليه بحيث يصبح عادة لدى المتعلمين ما يزال ناقصاً، حتى إننا لنجد خريجاً جامعياً لا يستطيع البحث عن الكلمة في المعجم.

ومن الملاحظ أن ٤٠٪ من المعلمين فقط أشاروا إلى وجود معجم في المدرسة، في حين أشار ٨٣.٨٪ من المعلمين إلى أن المكتبة بحاجة إلى مثل هذه المعاجم.

٩- النقص في كفاية الحفظ:

طالما كان طلاب المرحلة الثانوية من قبل يحفظون بعضاً من روائع الشعر والنثر، أما الطلبة المستجوبون فقد أفاد أكثر من نصفهم أنهم لا يحفظون الشعر أو النثر إذ بلغت النسبة ٥٥.٢٪، وقد امتد هذا الداء إلى الخريجين الجامعيين، حتى إن المتخرجين في أقسام اللغة العربية وآدابها في الأعم الأغلب لا يحفظون شعراً من الأدب العربي في عصوره المختلفة.

١٠- النقص في المناشط اللاصفية:

غني عن البيان أن للمناشط اللاصفية دوراً كبيراً في تعزيز اكتساب المهارات اللغوية، فضلاً عن دورها الكبير في الكشف عن المواهب الأدبية ومن ثم تنميتها وتوظيفها في مواقف الحياة، وطالما رأينا موهوبين إن في المسرح أو في الخطابة، أو في الصحافة.. الخ كان للمناشط اللاصفية فضل في إبراز مواهبهم.

ولقد تبين أن ثمة نقصاً في ممارسة المناشط اللاصفية فقد أجاب نصف الطلبة فقط أنهم يشاركون في الكتابة في مجلة المدرسة ٥٠.٧٪ وأجاب ٤١.١٪ أنهم يسهمون في إعداد البرامج الإذاعية، و ٣٨.٣٪ يكتبون الخواطر والمذكرات اليومية، و ٤٢.٢٪ يشتركون في مسابقات إلقاء الشعر أو الخطابة أو الأداء المسرحي و ٣٥.٨٪ فقط يشتركون في حلقات نقاشية.

١١ - النقص في الكشف عن الموهوبين في مجال اللغة والأدب:

إذا كانت المناشط اللاصفية تكشف عن ميول الطلبة واهتماماتهم ورغباتهم كما تكشف عن مواهبهم فإن للمسابقات والمناظرات والمقابلات التي يجريها المعلمون دوراً في الكشف عن المواهب اللغوية والأدبية ودوراً في تنميتها. ولقد أجاب ٤٨.١٪ من المعلمين أنهم لا يجرون مسابقات خطية أو مقابلات أو ما شابه لاختيار الطلبة المتفوقين أو ممن يتمتعون بمواهب أدبية ولغوية.

١٢ - القصور في التعلم الذاتي:

أشرنا إلى أن طبيعة العصر تحتم على المتعلمين الاعتماد على أنفسهم لمواكبة المستجدات والمتغيرات مادمننا نعيش في عصر التفجر المعرفي، وأن على النظام التربوي أن يكسب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة.. بيد أن مهارات التعلم الذاتي لا بد من التدريب عليها في مجال اكتساب المهارات اللغوية كافة من تكليف المتعلمين تصحيح أغلطهم معتمدين على أنفسهم في هذا التصحيح، وتكليفهم البحث في المعاجم، والقراءة الحرة وتلخيص قراءاتهم.. الخ. ولقد أجاب ٦٢.٥٪ من الطلبة أنهم يعتمدون على معلم اللغة العربية في تصحيح أخطائهم، وأن الذين لا يمارسون القراءة الحرة بلغت نسبتهم ٥٤.٣٪ وأنهم يرغبون في التنزه والتسلية ومشاهدة السينما والتلفزة، ويفضلون ذلك على القراءة.

١٣ - القصور في بناء المناهج اللغوية:

إن واضعي هذه المناهج يعتمدون المادة الدراسية من دون النظر إلى حاجات المتعلمين ومراعاة ميولهم واهتماماتهم في ضوء استبانات توجه إليهم لتعرف تلك الميول والحاجات، وتخيّر المحتوى بناء عليها، وهذه ثغرة في بناء المنهاج، كما أن هذه المناهج لا تراعي المنحى الوظيفي في تخيّر المحتوى في الأعم الأغلب، ولا تعتمد على

معيار الشيوخ والتواتر في مواقف الحياة بعد رصد تلك المناشط اللغوية المستخدمة في هذه المواقف، إذ إن البناء الصحيح للمنهاج يعتمد النظرة الشمولية المتكاملة في النظر إلى المنهج على أنه عبارة عن حصيلة تفاعل عضوي مستمر لمجموعة متشابكة من العوامل تشمل المجتمع بثقافته وفلسفته ومشكلاته، والمتعلم من حيث النظر إلى طبيعة وفهم خصائص نموه وأساليب تعلمه وحاجاته وميوله واهتماماته، كما تشمل العصر الذي يجيا فيه باتجاهاته ومناشطه، فيختار من أساسيات المادة أكثرها فائدة للمتعلم من حيث مساعدته على الإسهام في تفاعله مع المجتمع بنجاح.^(١)

إلا أن الاعتماد على مصدر واحد في بناء المنهج لا يعد عملاً سليماً، ذلك لأن كلاً من المادة الدراسية والمتعلم والمجتمع يعد أساساً من الأسس التي يمكن أن تسهم في بناء المنهج من دون أن يكون ثمة تعارض فيما بينها، فإذا ظهر مثلاً أن ثمة تناقضاً بين موقع المتعلم الفعلي في مستواه من جهة والمستوى المرتقب الذي نطمح إليه في عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا) كان الحل يكمن في البدء بموقع المتعلم وصولاً إلى الهدف المطلوب، فإنكار الموقع الفعلي الحالي للمتعلمين في تعبيراتهم واهتماماتهم وحاجاتهم معناه أننا قد انسلخنا عن الواقع، ولم تعد ثمة فائدة فيما نصل إليه لأننا لن نصل بمتعلمينا إليه، كما أن البدء بواقع المتعلمين وحاجاتهم من أجل هدف غير محدد لا على أساس المادة وتطورها العالمي، ولا على أساس المجتمع ومتطلباته في المستقبل، معناه بداية صحيحة ولكن إلى ضياع^(٢).

ومن الملاحظ أن ثمة نفوراً من اللغة التي يتفاعل معها المتعلمون في المنهاج لبعدها

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - دراسات تربوية - وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق ٢٠١٠ ص ١٢٧.

(٢) الدكتور محمود أحمد السيد - في طرائق تدريس اللغة العربية - منشورات جامعة دمشق ٢٠١٠ ص ٢٠٥.

عن الحياة النابضة الزاخرة، وأن ما يدرس من اللغة فيه شيء غريب لا صلة بينه وبين الحياة، ولا صلة بينه وبين عقل الطالب وشعوره وعاطفته^(١).

وإذا كان لا اعتماد النظرة الشمولية المتكاملة دور في بناء المناهج المعاصرة فإن لاختيار المحتوى من النصوص الشائقة الجذابة المليئة لحاجات المتعلمين وميولهم واهتماماتهم والمستثيرة لعواطفهم ومشاعرهم ووجداناتهم دوراً هو الآخر في إنجاح هذه المناهج.

١٤ - النقص في الدورات التأهيلية للمعلمين:

إن تحقيق الأهداف المرسومة للعملية التعليمية التعليمية متوقف على المدرس الكفي المعد إعداداً جيداً، إذ إن لتمكّن المدرس من مادته أثراً كبيراً في نجاح العملية، كما أن لطريقة التدريس أثراً كبيراً أيضاً، ذلك لأن المدرس لا يدرس بمادته فحسب وإنما يدرس بطريقته وأسلوبه وشخصيته وعلاقاته مع ناشئته، وما يضره لهم من قدوة حسنة ومثل أعلى.

ولما كانت المستجدات إن في المادة أو في طرائق التدريس ترخر بها طبيعة العصر، عصر التفجر المعرفي والمتغيرات الكبيرة، كان إخضاع المدرسين إلى دورات تدريبية مستمرة عملاً تقتضيه طبيعة العصر بغية النجاح في الأداء.

ولقد تبين من استطلاع رأي المعلمين في مشاركتهم للدورات التدريبية أن ٤٤.٢٪ منهم لم يشتركوا في أي دورة تدريبية، وأن الذين اشتركوا من المعلمين في دورات تدريبية كانت مدة الدورة فيها أقل من عشرة أيام، وأن ٨٦.٥٪ من المعلمين يرغبون في تكرار تعميق الدورة التأهيلية مرة كل سنة أو سنتين، وأن ٥٤.٢٪ يرون أن الدورات التأهيلية تحتاج إلى تقويم مستمر لجدواها حتى يكتب لها النجاح والتطور.

(١) الدكتور طه حسين - في الأدب الجاهلي - طبعة مصر - القاهرة ص ٧.

١٥ - القصور في كفاية استخدام التقنيات التربوية:

على الرغم من أن العصر الذي نحيا فيه هو عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا) فإن التقنيات التربوية شقت طريقها إلى المناهج في الدول المتقدمة، وأصبح الاعتماد عليها كبيراً في العملية التعليمية التعلمية.

ومن الملاحظ أن تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها يعتمدان اعتماداً كبيراً على استعمال التقنيات، في حين أننا نلاحظ أن ثمة نقصاً في هذا الاستعمال في تعليم اللغة العربية وتعلمها، ويتجلى هذا النقص في المواد التعليمية «المصادر والمراجع ودوائر المعارف، الصحف والمجلات، المواد المطبوعة، المواد المبرمجة، الصور المتحركة، برامج التلفزة، برامج الإذاعة، التسجيلات الصوتية، اللوحات المصورة، الرسوم والأشكال، الشرائح والشفافيات، الأفلام الثابتة، الخرائط، الملصقات، الرسوم المتحركة، النماذج والمجسمات... الخ».

وثمة نقص أيضاً في الأجهزة التعليمية «جهاز الإسقاط، المسجلات، جهاز العرض السينمائي، الأفلام التعليمية، التلفزيون، المختبرات اللغوية، الحواسيب، الحقايب التعليمية.. الخ».

١٦ - القصور في نقاء البيئة المحيطة بالمتعلمين:

لما كانت البيئة المحيطة بالمتعلمين ملوثة لغوياً كان ذلك عاملاً هدمياً في اكتسابهم للمهارات اللغوية على الرغم من العناية التي يبذلها المدرسون في تيسير عملية الاكتساب، إذا ما أحسنا الظن بأنهم يمارسون اللغة السليمة في عملهم، ويتجلى القصور في هذا المجال في سيرورة العامية في البيت والشارع والباحة وانتشارها في مختلف المناشط الحياتية، كما أن المتعلمين يتسمرون أمام المسلسلات التلفزية ساعات وهي تبث بالعامية وأمام العروض المسرحية وقد أخرجت ومثلت بالعامية أيضاً.

ويتجلى القصور أيضاً في الكتابة الزاخرة بالأغلاط اللغوية وبالعامية والكلمات الأجنبية في الإعلانات واللافتات وعلى واجهات المحال التجارية والخدمية والسياحية. كما يتجلى في قلة البرامج التلفزيونية الموجهة إلى الأطفال بالعربية السهلة الميسرة، وفي نقص الصناعات الثقافية الموجهة إلى الناشئة، وفي وجود الأخطاء اللغوية في بعض القرارات والبلاغات المصادرة عن بعض الجهات الرسمية وفي المراسلات بين دوائر الدولة ومؤسساتها^(١).

رابعاً. سبل النهوض بالواقع والارتقاء به

إن النهوض بالواقع والارتقاء به يقتضي الانتقال من التنظير إلى الأداء العملي وذلك بـ:

- ١- وضع خريطة لمشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها وتبيان القصور في الكفايات اللغوية.
- ٢- إجراء بحوث علمية ميدانية لمعالجة مشكلات تعليم اللغة العربية وتعلمها بالأساليب العلمية والتجارب الميدانية.
- ٣- توظيف نتائج البحوث الميدانية في مجال تعليم اللغة العربية وتعلمها.
- ٤- عقد ورشات عمل تناقش قضايا تعليم اللغة العربية وتعلمها في الوطن العربي عمودياً وبعمق على أن تقوم هذه الورش العملية بوضع أدلة وبرامج ومعايير. ومن المقترحات التي من شأن هذه الورش أن تعنى بها بغية النهوض بالواقع اللغوي والارتقاء به:

أ- رصد المباحث النحوية الأكثر شيوعاً واستخداماً في ميادين المعرفة وفي أساليب الكتاب العرب القدماء والمعاصرين بغية التركيز عليها في المناهج اللغوية التربوية في

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية واقعاً وارتقاءً - منشورات وزارة الثقافة - الهيئة العامة

السورية للكتاب ٢٠١٠ ص ١٤٣.

الوطن العربي، والإفادة من الدراسة التي أنجزتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وعنوانها «تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي»^(١)، وقد ورد فيها أن المباحث النحوية التي زاد تواترها على ١٪ في عينة من أساليب الكتاب القديما، وقد رتبت ترتيباً تنازلياً هي: «الفعل، المضاف إليه، حروف الجر، الفاعل، المجرور بالحرف، حروف العطف، المفعول به، المبتدأ والخبر، النعت، فاء الإستئناف، الظرف، الاسم الموصول، إن وأخواتها، اسم إن وخبرها، الممنوع من الصرف، لا النافية».

وجاءت المباحث النحوية التي انخفضت النسبة المئوية لتواترها عن ١٪ في أساليب الكتاب القديما مرتبة ترتيباً تنازلياً على النحو التالي: اسم كان وخبرها، أسماء الإشارة، حروف النصب، البدل، حروف الجزم، أدوات الشرط غير الجازمة، قد، نائب الفاعل، أدوات الشرط الجازمة، الأسماء الخمسة، واو الحال، الحال، التمييز، المنادى، نون الوقاية، الاستثناء، ما النافية، الاستفهام، الفاء الرابطة لجواب الشرط، إلا للحصر، المفعول المطلق، اتصال إن بـ«ما»، أي التفسيرية، التوكيد، إن الوصلية، لام المرحلة، حتى الابتدائية، اللام في جواب القسم، إذا الفجائية، اللام في جواب لو، المفعول لأجله، لكن الاستدراك، لام الابتداء، المفعول معه، اللام في جواب لولا، ألا الاستفاحية، أسماء الأفعال، أحرف الجواب، هلا، ضمير الفصل، لاسيما، إن التفسيرية، كذا، أسلوب المدح والذم.

أما المباحث النحوية التي زادت نسبة شيوعها وتواترها على ١٪ في عينة من أساليب الكتاب المعاصرين فهي: الفعل، حروف الجر، المجرور بالحرف، الفاعل،

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام

في الوطن العربي - مطبوعات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٧ .

المضاف إليه، حروف العطف، النعت، المفعول به، المعطوف، المبتدأ والخبر، الظرف، إن وأخواتها، اسمها وخبرها، كان وأخواتها، اسمها وخبرها، اسم الإشارة، حروف النصب، الاسم الموصول، البدل».

وجاءت المباحث النحوية التي انخفضت النسبة المئوية لتواترها عن ١٪ في أساليب الكتاب المعاصرين، وقد رتبت ترتيباً تنازلياً على النحو التالي:

حروف النصب، العدد، نائب الفاعل، قد، أدوات الشرط غير الجازمة، حروف النفي، المفعول المطلق، فاء الاستئناف، التمييز، حروف الجزم، الممنوع من التنوين، أدوات الاستفهام، الفاء الرابطة لجواب الشرط، التوكيد، المفعول لأجله، إلا للحصر، أدوات الشرط الجازمة، المنادى، الأسماء الخمسة، اتصال إن وأخواتها بـ«ما»، أي التفسيرية، لام الابتداء، لكن الاستدراك، إذ، حروف الجواب، إن الوصلية، الاستثناء، إذن، اللام في جواب لو ولولا، التنازع، غير أن، إلا أن، ما الزائدة، أسلوب التعجب، إذا الفجائية، المفعول معه، ألا الاستفاحية، كم الخبرية، مع أن، بما أن، همزة التسوية، طالما، بيد أن، الندبة، التحذير، بله، على أن، هلا، ما إن.

ومن الملاحظ أن مناهجنا التربوية في الأعم الأغلب لم تتخير الموضوعات والمباحث النحوية الوظيفية في ضوء الاستعمال والشيوع والتواتر في مواقف الحياة. ومن معايير الوظيفية اختيار المباحث التي يكثر استعمالها وترتيبها ترتيباً تنازلياً في ضوء الشيوع والتواتر، فما كثر استعماله ووروده عدّ وظيفياً، وما قل استخدامه لا يعد وظيفياً، بحيث يركز على الأساسيات واستبعاد المباحث والتأويلات والاستثناءات التي تنفر المتعلمين من اللغة والإقبال عليها.

ب- رصد الأخطاء اللغوية التي يرتكبها المتعلمون في التعبيرين الشفاهي والكتابي وترتيبها تنازلياً، وإيلاء المباحث النحوية المتعلقة بها الأهمية في التدريب والمعالجة. ومن

المباحث النحوية التي زادت فيها الأخطاء على ٥٪ في التعبير الكتابي: همزتا الوصل والقطع، الفعل، استعمال حروف الجر، الضمير، المفعول به. وكانت المباحث التي زادت فيها الأخطاء على ١٪ وكانت أقل من ٥٪: الفعل مع الفاعل، النعت، اسم كان وخبرها، المبتدأ والخبر، التذكير والتأنيث، العدد، فتح همزة إن وكسرها، الاسم الموصول، اسم إن وخبرها، الفاعل. أما المباحث النحوية التي انخفضت النسبة فيها عن ١٪ فهي: المنقوص في حالتي الرفع والجر، المضاف إليه، العطف، أسلوب الشرط، المجرور بالحرف، الحال، جمع التكسير، اسم الإشارة، المفعول المطلق، الأسماء الخمسة، الظرف، التمييز، المصدر القياسي، صوغ اسم الفاعل، صوغ اسم المفعول، المنادى، الممنوع من الصرف، المفعول لأجله.

ومن الموضوعات التي زادت فيها النسبة المئوية للأخطاء على ٥٪ في التعبير الشفاهي: الفعل، المفعول به، اسم كان وخبرها، الضمير، النعت.

وكانت المباحث التي تراوحت النسبة المئوية فيها بين ١٪ وأقل من ٥٪ هي: الفاعل، المجرور بالحرف، المضاف إليه، اسم إن وخبرها، العدد، الأسماء الخمسة، المبتدأ والخبر، المفعول المطلق، الحال، الاسم الموصول.

وجاءت المباحث التي انخفضت فيها النسبة المئوية عن ١٪ على النحو التالي وقد رتبت ترتيباً تنازلياً: اسم الإشارة، حذف ياء المنقوص، الممنوع من التنوين، فتح همزة أن وكسرها، همزة الوصل، الظرف، التعدية بالحرف، جمع المؤنث السالم، نائب الفاعل، البدل، المفعول لأجله، التوكيد.

ج- رصد الأخطاء المتسربة إلى الفصيحة من العامية، وإجراء التدريبات والتطبيقات العلاجية التي من شأنها التوعية بتلك الأخطاء والتبصير بها وتلافيها. ومن هذه الأخطاء: إسناد الفعل المعتل إلى الضمائر، الأمر المعتل الوسط، أفراد الفعل أمام

الفاعل المثنى والجمع، إسناد الفعل إلى نون النسوة، تأنيث الفعل وتذكيره، الأفعال الخمسة في الرفع والنصب والجزم، الأسماء الخمسة... الخ.

د- وضع دليل يبين ضروب التعبير الوظيفي، وعقد دورات تدريبية للمعلمين على كيفية تطبيق هذه الضروب في ضوءه.

هـ- وضع دليل للمناشط اللغوية اللاصفية على أن يكون من معايير هذه المناشط التنوع تلبية لميول المتعلمين «إعداد صحف حائطية ومجلة مدرسية، إذاعة مدرسية، تمثيل مسرحيات هادفة، إلقاء كلمات في المناسبات الوطنية والاجتماعية المختلفة، مناقشة مضامين مسلسلات وأفلام تلفزيونية وسينمائية، تلخيص كتب ومناقشتها، إقامة معارض، مناظرات ومساجلات، مقابلات.. الخ. على أن تتسم هذه الأنشطة المتنوعة بالتشويق واستثارة الدافعية تلبية لحاجات المتعلمين (الحاجة إلى المعرفة، الحاجة إلى البحث، الحاجة إلى العمل.. الخ) وعلى أن تدفع المتعلمين إلى العمل الجماعي والتعاوني في تنفيذها، وإلى تحمل المسؤولية والتفكير المبدع في إنجاز العمل، والكشف عن الموهوبين واستثمار أوقات الفراغ، وإقامة ورش عمل للتدريب في ضوءه.

و- وضع دليل لاستعمال التقنيات التربوية في تعليم اللغة وتعلمها والتدريبات في ضوءه.

ز- وضع دليل لتدريب المعلمين على صوغ الاختبارات الموضوعية في القراءة والنصوص والقواعد والإملاء والتذوق الأدبي لقياس المهارات اللغوية ومدى تحقيق الأهداف المرسومة لها. ويمكن الاستئناس بالدراسة التي أنجزتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في هذا المجال^(١)

(١) الدكتور محمود أحمد السيد والدكتور مطانيوس ميخائيل - نماذج من الاختبارات الموضوعية في اللغة

العربية للمرحلة الإعدادية- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس ١٩٨٩.

ح- وضع دليل لتدريب المتعلمين على أساليب التعلم الذاتي «التفتيش في المعاجم، تصحيح الأخطاء، المطالعة الحرة، البحث في الشابكة (الإنترنت) عن البيانات والمعلومات..الخ.

ط- وضع دليل لتقويم المناهج «أهدافاً ومحتوى، وكتباً، وطرائق تدريس، ومناشط، وأساليب تقويم...الخ» وذلك في ضوء معايير لكل مكون من مكونات المنهج.

ي- تحويل محتوى الكتب جزئياً أو كلياً إلى صيغ أخرى غير الصيغة التقليدية المكتوبة كأن تكون مبرمجة أو سمعية على شكل أشرطة سمعية أو الكترونية على الحاسوب، أو أفلام أو حقائب تعليمية...الخ.

ك- وضع دليل لتدريب المعلمين على استخدام الطرائق الفعالة في العملية التعليمية التعليمية بغية الانتقال من التعليم إلى التعلم، والتركيز على كيفية التعلم، والانتقال من التلقين إلى المشاركة الإيجابية في الوصول إلى المعرفة، ومن تحصيل المعرفة إلى توظيفها، ومن الجمود إلى المرونة، ومن الحفظ والتسميع إلى التمهير، ومن النمطية في التفكير إلى التنوع فيه (الابتكاري، المفهومي، النقدي، العلمي، الاستشراقي، المبادر، البدائي، الشمولي...الخ). ووضع معايير للقراءة الناقدة.

ل- وضع كتيبات تتضمن أساسيات اللغة في القواعد والإملاء واستخدام علامات الترقيم وتعميمها على الدورات التدريبية التي ينفذها المعلمون والعاملون في الإذاعة والتلفزة وفي جميع مرافق المجتمع انطلاقاً من أن تعليم اللغة مسؤولية مجتمعية.

م- اختيار نصوص في المناهج التربوية تمسح وصوغها بأساليب شائقة على أن تعمم على الصعيد العربي.

ن- وضع دليل يعنى بالحكايا الشعبية الملائمة وإخراجها بالصور الملونة والعربية السليمة وتعميمها على الصعيد العربي.

س- وضع مختارات من النصوص تتوفر فيها جماليات اللغة العربية ونشرها عبر الكلمة المسموعة والمرئية والمطبوعة، على أن يعنى بضبط النصوص المتخيرة إن من التراث أو من المعاصرة بالشكل، ويعنى بإخراجها وطباعتها تمهيداً لتعميمها على الصعيد العربي. على أن يتم الاختيار ليمتد في نسقين زماني ومكاني، إذ يحرص في النسق المكاني على الامتداد من الدائرة المحلية إلى الدائرة القومية. ومن ثم إلى الدائرة الإنسانية، بحيث يكتسب المنهاج ملامح الواقع المحلي دون أن ينعزل عن الواقع القومي، ثم ينطلق من ذلك كله إلى الأفق الإنساني الواسع ليلتحم بالتجربة الإنسانية في قيمها الجمالية العليا وإنجازاتها الحضارية المشتركة^(١)

ع- وضع مختارات من النصوص العالمية تتوفر فيها الذائقة الجمالية والقيمية وتعريف طلبتنا بها في التعليم العام ما قبل الجامعي.

ف- إجراء مسابقات في حفظ الشعر وممارسة الخطابة والتعبير والقواعد النحوية والإملائية في المدرسة الواحدة وبين المدارس في المحافظة الواحدة، ومن ثم بين المحافظات، وعلى مستوى الدولة، وتقديم المكافآت للفائزين تشجيعاً للمواهب.

ص- وضع دليل وبرامج تعنى بتربية الأسرة (الآباء والأمهات) للتعامل مع الأطفال في المجال اللغوي.



(١) الدكتور نهاد موسى - استعراض تجربتي عمان واليمن في تعليم اللغة العربية - اللغة العربية والتعليم

رؤية مستقبلية للتطوير - مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية - أبوظبي ٢٠٠٨ ص ٤٠٥.

مَرَجِعُ الْفَصْلِ

- ١ - الدكتور طه حسين - في الأدب الجاهلي - طعيه مصر - القاهرة.
- ٢ - محمد صالح بن عمر - فرحات الدريسي - دليل مرجعي لتنمية الكفايات اللغوية لدى مدرسي العربية بالتعليم العالي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ٢٠١١.
- ٣ - الدكتور محمد بن فاطمة والأستاذ محمود وناس - الكفايات العامة اللازمة لخريج التعليم الثانوي العام في الوطن العربي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ٢٠١٠.
- ٤ - الدكتور محمد بن فاطمة والأستاذ محمود وناس - دليل مرجعي لتدريب الأطر التربوية المعنية بالكفايات العامة اللازمة لخريج التعليم الثانوي العام في الوطن العربي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ٢٠١٠.
- ٥ - الدكتور محمود أحمد السيّد - دراسات تربوية - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠١٠.
- ٦ - الدكتور محمود أحمد السيّد - في طرائق تدريس اللغة العربية - منشورات جامعة دمشق ٢٠١٠.
- ٧ - الدكتور محمود السيّد - التربية على المواطنة - محاضرات الموسم الثقافي في مجمع اللغة العربية بدمشق لعام ٢٠٠٨ - مطبوعات المجمع ٢٠٠٩.

٨- الدكتور محمود أحمد السيد- اللغة العربية واقعاً وارتقاءً - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠١٠.

٩- الدكتور محمود أحمد السيد- تطوير مناهج القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٧.

١٠- الدكتور محمود أحمد السيد والدكتور مطانيوس ميخائيل - نماذج من الاختبارات الموضوعية في اللغة العربية للمرحلة الإعدادية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس ١٩٨٩.

١١- مؤسسة الفكر العربي- استطلاع رأي طلاب ما قبل التعليم الجامعي - بيروت ٢٠١١.

١٢- الدكتور نهاد موسى - استعراض تجرتي عمان واليمن في تعليم اللغة العربية - اللغة العربية والتعليم رؤية مستقبلية للتطوير - مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية - أبوظبي ٢٠٠٨.



الفصل الخامس

مفاهيم ورؤى منهجية في تعليم العربية لأبنائها
في المرحلة الجامعية

محتويات الفصل:

أولاً - اللغة مفهوماً واكتساباً وكفاية.

ثانياً - رؤى منهجية في تعليم العربية لأبنائها في المرحلة الجامعية.

١ - توفير البيئة اللغوية النقية في العملية التعليمية التعلمية.

٢ - اعتماد وحدة اللغة والمنهج التكاملي في تعليمها.

٣ - التركيز على المنحى الوظيفي والنفعية الاجتماعية في المحتوى والتدريبات.

٤ - توحيد المصطلحات.

٥ - اعتماد المرونة في طرائق التدريس.

٦ - اعتماد تعدد أساليب التقويم.

ثالثاً - تدريس العربية على أنها من متطلبات الجامعة.

رابعاً - توصيات.

الفصل الخامس

مفاهيم ورؤى منهجية في تعليم العربية لأبنائها في المرحلة الجامعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحاول في هذا الفصل الموجز أن نتعرف مفهوم اللغة عناصر واكتساباً، وأن نقف على بعض الرؤى المنهجية في تعليم اللغة العربية لغير المختصين من أبنائها في المرحلة الجامعية، ومن هذه الرؤى اعتماد وحدة اللغة والمنهج التكاملي في تدريسها، والتركيز على اللغة النابضة بالحياة في اختيار المحتوى وعلى المنحى الوظيفي والنفعية الاجتماعية في ذلك الاختيار، وإيلاء المحادثة الاهتمام في التدريبات والمناشط، واعتماد المرونة في استعمال طرائق التدريس، والأساليب الشائعة في إكساب الدارسين مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة، والاستعانة بالتقنيات التربوية في ذلك الاكتساب، والتركيز على تعدد أساليب التقويم التي تقيس مستوى الاكتساب والأداء وبخاصة التعبير منه. وأخيراً نقدم نموذجاً من جامعات الخليج العربي التي تدرس العربية متطلباً جامعياً، لتتوصل إلى عدد من التوصيات.

أولاً. اللغة مفهوماً واكتساباً وكفاية

اللغة هي على وزن فُعلة من الفعل لغوت أي تكلمت، وأصلها لغوة على وزن فُعلة فحذفت واؤها وجمعت على لغات ولغون، ويقال هذه لغتهم التي يلغون بها أي ينطقون. وورد في دائرة المعارف الانسيكلوبيديا الفرنسية الكبرى أن اللغة أول الأمر «هي استطالة للنشاط البدني كله بما فيه من قسامات وتأثيرات بالأعضاء، ولكن هذه الاستطالة

تتطور شيئاً فشيئاً لتصل إلى تلك الصور المجردة من الكلام فتغدو كلاً قائماً بذاته»^(١).
وفي دائرتي المعارف البريطانية والعلوم الاجتماعية ورد «أن للغة الأصوات أفضلية
عند الأمم على بقية صور الاتصال الأخرى من كتابة وإيماءات وغيرها، وهذه الصور
الأخرى تتمم لغة الكلام من غير أن تعوض عنها كلية»^(٢).

وجاء في لسان العرب أن «اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»^(٣).
وعرّف «ميللر Miller» في أمريكا اللغة بأنها استعمال رموز صوتية مقطعية يعبر
بمقتضاها عن الفكر، وعلى هذا النحو عرّفها «جون كارول Carroll John» في جامعة
هارفارد في أمريكا عندما أشار إلى أن اللغة هي ذلك النظام المتشكل من الأصوات اللفظية
الاتفاقية وتتابعات هذه الأصوات المستخدمة في الاتصال المتبادل بين جماعة من الناس.
وإذا كان كل من ميللر وكارول قد قصر اللغة على الأصوات فإن «هيرلوك
Hurlock» رأّت أن اللغة تشمل جميع صور التعبير، وأن التعبير بأصوات مقطعية ما هو
إلا أحد أشكال اللغة»^(٤).

والواقع أن مفهوم اللغة مفهوم واسع وشامل، ولا يقتصر على اللغة المنطوقة، بل
يشمل الإشارات والإيماءات والتعبيرات الوجهية التي تصاحب عادة سلوك الكلام،
واللغة المكتوبة. إلا أن اللغة المنطوقة أو المتحدث بها تتبوأ الأهمية الكبرى بين سائر
الجوانب المشار إليها، وما اللغة المكتوبة سوى لغة منطوق بها دونت في نظام مكتوب

(1) Encyclopedia La Grande (1885-1901) Art: parole

(2) Social Sciences, Encyclopedia, Article, Language.

(٣) ابن منظور المصري- لسان العرب- ج ٢٠ الطبعة الأولى- المطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر-
١٣٠٠هـ ص ١١٦.

(٤) الدكتور محمود أحمد السيد- في طرائق تدريس اللغة العربية- منشورات جامعة دمشق- ٢٠٠٨ ص ١٠.

مصطلح ومتعارف عليه، والاقتران عليه يغفل النظام الصوتي في هذه اللغة وآثارها الممكنة على التركيب والمعاني، وتبقى اللغة الصوتية هي وسيلة الاتصال الأكثر ملاءمة، والأكثر شيوعاً واستعمالاً. ومن هنا أولاها اللسانيون المعاصرون الأهمية بين جوانب اللغة المشار إليها.

ولقد حاول «تشارلز هوكت Charles Hockett» الأمريكي دراسة الخصائص التي تتميز بها اللغة الإنسانية فألقى أن أهم سماتها أنها اصطلاحية أو تواضعية، وأن مفرداتها تشير إلى أشياء محسوسة في عالم الواقع، وإلى الأفعال التي يؤديها الإنسان أو غيره من المخلوقات، كما أنها تعبر عن الأفكار الذهنية المجردة، وأن الخلف يتوارثها عن السلف، وتشير إلى أشياء وأحداث بعيدة عن المتكلم زماناً ومكاناً، يضاف إلى ذلك كله سمة هامة، ولعلها من أهم تلك السمات، وهي مقدرة لغة البشر على الخلق أو الابتكار⁽¹⁾.

أما مفهوم اللغة في اكتسابها وتعليمها فينظر إليه على أنه عادة كسائر العادات التي يكتسبها المرء في حياته. ولما كانت العادات لا تكتسب إلا بالممارسة المستمرة كان اكتساب اللغة لا يختلف عن اكتساب أي عادة أخرى مثل المشي والرمي والنوم وقيادة السيارة.. الخ.

وهذا المفهوم نسخ ما كان سائداً في مطلع القرن الماضي من حيث النظر إلى اللغة في تعليمها على أنها مجموعة من الحقائق، على المعلم أن يلقتها للمتعلم تلقيناً، وما على الأخير إلا أن يحفظها ويستظهرها، وبقدر درجة حفظه لها يعد متمكناً من اللغة.

إلا أن التربية المعاصرة ترى أن الوصول إلى أن تغدو اللغة عادة، لا بد أن يسبقه اكتساب المهارة اللغوية، إذ إن من الأخطاء الشائعة في تعليم اللغة وتعلمها أن يظن أن

(1) Charles Hockett: the problem of universal in language (Cambridge, Mass: mit press) 1968 p1-29

تزويد المتعلم بمجموعة من المفردات، والقواعد النحوية، والمصطلحات البلاغية، يؤدي إلى أن تصبح اللغة عادة لديه، كسائر العادات التي يكتسبها من محيطه.

أما مفهوم المهارة اللغوية فيتمثل في أنه الأداء المتقن، القائم على الفهم والاقتصاد في الوقت والمجهود معاً. ومن هنا انتقل تعليم اللغة من التلقين إلى التمهير، أي إكساب المتعلم المهارات اللغوية محادثة واستماعاً وقراءة وكتابة، ومما يساعد على اكتساب المهارة:

١ - الممارسة والتكرار على أن يكون التكرار مبنياً على الفهم، وعلى الممارسة في مواقف الحياة بصورة طبيعية.

٢ - التوجيه: وذلك أن توجه أنظار المتعلمين إلى أخطائهم في ممارسة الأداء، وتبيان نواحي قوتهم وضعفهم، وتعريفهم بأفضل أساليب الأداء.

٣ - القدوة الحسنة: وذلك بأن يشاهد المتعلمون من يتقنون المهارات في أثناء الأداء من معلمهم أو زملائهم أو بطريق التسجيلات والمخبر اللغوية... الخ.

٤ - التشجيع والتعزيز الإيجابي يؤديان إلى التقدم، وأفضل أنواع التعزيز التعزيز الداخلي الذي يدفع بالمتعلم إلى ممارسة الأداء لا خوفاً ولا طمعاً وإنما محبة وسعادة. وللقوف على مدى اكتساب المتعلم للمهارات اللغوية، كان لابد من قياس الكفايات اللغوية، التي توفرت لديه بعد العملية التعليمية التعليمية. وثمة من يفرق بين الكفاءة اللغوية، وهي القدرة على القيام بوظائف اللغة، وهو مفهوم نظري لا يمكن ملاحظته مباشرة، ولا بد من تعرفه من أداء معين لقياس الكفاءة؛ وبين الكفاية اللغوية، وهي المهارة التي اكتسبها المتعلم بعد تفاعله مع برنامج معين، وتقاس من خلال السلوك اللغوي أو الأداء اللغوي^(١).

(١) الدكتور مهدي العشي - مفهوم الكفاءة اللغوية واستخدامه في تعليم العربية للناطقين بها وبغيرها وفي تقييمها -

ورشة «تدريس اللغة العربية لأبنائها» - جامعة جورجتاون - قطر - الدوحة - نيسان «أبريل» ٢٠١١.

تلك هي بعض المفاهيم المتعلقة باللغة مفهوماً واكتساباً ومهارة وكفاية، وستتناول
الرؤى المنهجية في تعليم العربية لأبنائها في المرحلة الجامعية في ضوء تلك المفاهيم.

ثانياً- رؤى منهجية في تعليم العربية لأبنائها في المرحلة الجامعية

ثمة رؤى منهجية في تعليم العربية لأبنائها لغير المتخصصين في المرحلة الجامعية،
ويمكن إيجازها فيما يلي:

١- توفير البيئة اللغوية النقية في العملية التعليمية التعلمية:

يرى المربون المعاصرون أن اكتساب مهارات أي لغة يتطلب وضع المتعلم في حَمَام
لغوي، بمعنى أن يكون الجو المحيط بالمتعلم عاملاً مساعداً ومشجعاً على سرعة
اكتساب اللغة.

ومن هنا كان على مدرسي اللغة أن يتحدثوا بالفصيحة، وأن يسود جو الفصيحة
في مختلف الأجواء التي يتفاعل معها المتعلم من صحف ومجلات وندوات
ولقاءات... الخ، وأن يسعى المعلمون إلى تهيئة الظروف المناسبة أمام المتعلم لكي
ينشط ويعمل ويفكر وابتكر، ويشعر بالرضى والارتياح عند تحقيق غاياته.

والتزام الفصيحة في أجواء المحاضرات، وتحدث الطلبة بها بإشراف المدرس
وتوجيهه وتشجيعه، وممارسة المناشط المختلفة بالفصيحة في نطاق العملية التعليمية
التعلمية، يساعد ذلك كله على توفير الحَمَام اللغوي، كما أن المناشط التي يقوم بها
الطلبة في ممارسة اللغة واكتسابها تفتح الجامعة على العالم المحيط بها، فتؤثر في الواقع
وتتأثر به.

وتجدر الإشارة إلى أن المكتبة المزودة بأمهات الكتب والمراجع العربية تسهم في
إشباع حاجات الدارسين وتلبية متطلباتهم، وفي تعزيز مهاراتهم اللغوية.

٢- اعتماد وحدة اللغة والمنهج التكاملی فی تعلیمها:

تعد اللغة وحدة متكاملة، ولم يكن الفصل بين فروعها في العملية التعليمية التعليمية إلا من باب التيسير، إلا أن سوء التطبيق رسَّخ الفصل، وغابت وحدة اللغة في تلك العملية، ذلك لأن الفصل لا يخدم ممارسة اللغة في المواقف الحية، كما أن تطبيق المنهج التكاملی يستلزم بناء المناهج اللغوية على أساس الوحدة والترابط، ذلك لأن المنهج ما هو إلا حصيلة تفاعل عضوي مستمر لمجموعة متشابكة من العوامل، تشمل المجتمع بثقافته وفلسفته ومشكلاته، والمتعلم من حيث النظر إلى طبيعته وفهم خصائص نموه وأساليب تعلمه، والعصر الذي يحيا فيه ويتفاعل معه.

وفي عملية بناء المناهج ينظر إلى هذه المكونات كلها في إطار علاقاتها المتشابكة، إذ يتم بناء المناهج في خطوات تبدأ بتحديد أساسيات المادة تحديداً علمياً، ثم يختار من هذه الأساسيات أكثرها فائدة للمتعلم من حيث مساعدته على الإسهام في حل مشكلات مجتمعه، ومواجهة مشكلات حياته الخاصة، وإشباع حاجاته، وتنمية ميوله، ثم تهيأ له الظروف والإمكانات المناسبة لتحقيق الأهداف التي وضعت هذه المناهج من أجلها. ومن الملاحظ أن ثمة عزلة بين المواد اللغوية والأدبية في مناهج إعداد مدرسي اللغة الأم، وتبدو هذه العزلة بين علوم اللغة نفسها كفصل النحو عن المعاني، وليس ثمة صلة بين مناهج الأدب والعلوم الإنسانية المختلفة كالتحليل النفسي وعلم الاجتماع الأدبي، وعلم النفس اللغوي، وعلم اللغة الحديث.... الخ.

إن وحدة اللغة تلمي على معلّمها أن يحققوا التوازن والانسجام بين مهارات اللغة وفروعها، إذ من الخطأ أن يكون الاهتمام منصباً على جانب واحد فقط على أنه غاية وعلى حساب بقية الجوانب، ذلك لأن فروع العربية ترتبط فيما بينها ارتباطاً عضوياً، وأنها جميعاً تتجه نحو تحقيق هدف واحد هو تأمين التواصل اللغوي.

ولقد أدرك سلفنا هذه النظرة الكلية المتكاملة للغة واتبعوا المنهج التكاملي في تعليمها، إذ عملوا على أن يكون النص الأدبي مركزاً لدراسة عدة فروع في ضوءه ومن خلاله، فكان تعليم القواعد والبلاغة في ضوء النصوص لا من خلال تعريفاتها المجردة.

وحتى في مجال التخصص في المرحلة الجامعية يبقى المنهج التكاملي أسلوباً في التدريس، ففي تدريس الأدب وتحليل ظواهره، لم يعد الأدب يدرس وفقاً للفنون وحدها، ولا وفق الأقاليم وحدها، ولا وفق العصور الزمنية وحدها، وإنما ينظر إلى هذه جميعاً في إطار من الشمولية والنظرة الكلية.

ولم يعد الأدب يحلل وفق المنهج البلاغي وحده، ولا وفق المنهج النفساني وحده، ولا وفق المنهج الاجتماعي وحده، ولا وفق المنهج الهيكلاني وحده، وإنما وفق هذه المناهج جميعاً في إطار من الوحدة والتكامل فيما بينها.

٣- التركيز على المنحى الوظيفي والنفعية الاجتماعية في المحتوى والتدريبات:

إذ لا فائدة من تعلم أي مادة ما لم يكن لها نفع اجتماعي وفائدة للمتعلم في تفاعله مع المجتمع تلبية لحاجاته وإرضاء لاهتماماته، وفي ضوء ذلك كان التركيز على اللغة النابضة بالحياة في اختيار المحتوى، تلك اللغة التي يتفاعل معها المتعلمون في منأى عن التقعر اللغوي من جهة، والتشدد اللغوي من جهة ثانية، والاستثناءات والشذوذات والمحاكات والتأويلات من جهة ثالثة.

وجميل جداً أن تكون اللغة التي يتفاعل معها المتعلمون من اختصاصاتهم في الجامعة، وأن تتم التدريبات والمناشط في ضوءها، فتقدم نصوص في علم النفس في ذلك الاختصاص، ونصوص في علم الاجتماع في الاختصاص نفسه، ونصوص طيبة في هذا العلم... الخ.

على أن يركز على الأساسيات التي تساعد المتعلم على التفاعل معها، ذلك لأن التركيز على الأساسيات يسهل دراسة المادة وتذكرها، ويناسب عصر تزايد المعرفة وسرعة تغيرها، كما أنه يساعد على إدراك العلاقات بين الحقائق والمفاهيم والمجالات بصورة أفضل مما يعين على حسن الانتفاع بها، وهو بذلك يعد خطوة في سبيل تكامل المعرفة ووحدتها.

ومن هنا كانت الدعوة إلى إعادة النظر في المادة النحوية التي تدرس في الجامعات العربية لتخليصها من المباحكات والتأويلات التي أدت إلى عزوف الأبناء عنها، وللتركيز على الأساسيات التي يحتاج إليها المتعلم في مواقف الحياة كلاماً وقراءة وكتابة، ويستلزم ذلك الوقوف على المواقف الأكثر شيوعاً واستخداماً في الحياة حتى يتم التدريب عليها في المناهج، والوقوف على الموضوعات النحوية المستخدمة في تلك المواقف.

ومن الملاحظ أن ثمة إهمالاً للمحادثة على الرغم من أن اللغة المنطوق بها أكثر شيوعاً واستخداماً في مواقف الحياة، إذ إن التدريب على المحادثة لا يلقى الاهتمام حتى إذا ما تخرج الطالب في الجامعة بدا عليه الارتباك عندما يطلب إليه إلقاء كلمة في مناسبة أو إدارة اجتماع، أو توجيه تعليمات وإرشادات.. الخ.

ومن الملاحظ أيضاً أن ثمة قصوراً لدى المتخرجين في الجامعة من حيث امتلاكهم مهارات التعبير الوظيفي في شؤون حياتهم (أصول تقديم الطلبات، ملء الاستمارات، كتابة الرسائل، كتابة محاضر الجلسات، كتابة تقارير علمية ومذكرات... الخ).

وما كان ذلك القصور حاصلًا إلا بسبب عدم التدريب الكافي لا في التعليم ما قبل الجامعي ولا في التعليم الجامعي على امتلاك مهارات التعبير الوظيفي إن في التعبير الكتابي أو في التعبير الشفهي.

ولما كانت العملية التعليمية التعلمية تقوم على الدافعية كانت استثارة دافعية المتعلمين أمراً ضرورياً للإقبال على تعلم المادة، ولا تستثار الدافعية إلا إذا كانت النصوص المتخيرة من اختصاصات الدارسين.

ومن العقبات التي تواجه تعليم اللغة في جامعات الخليج العربي أن ٥٠٪ من الطلبة قادمون من مدارس خاصة، تطبق مناهج أجنبية، ولا تهتم بتدريس اللغة العربية، كما أن بعض الطلبة يدرسون العربية لغة ثانية، كما أن عدد الساعات المعتمدة للمواد التي تدرس باللغة العربية في الجامعات لا يتجاوز ١٠٪ من مجموع الساعات التي يدرسها الطلبة^(١).

ومن الملاحظ أن ثمة عدم رغبة لدى بعض الطلبة في تعلم اللغة العربية اعتقاداً منهم بصعوبتها وعدم قدرتهم على إتقانها من جهة، إضافة إلى إيمانهم بأنهم لن يستخدموا العربية في مجالات عملهم بعد التخرج، إذ إنهم يستعملون اللغة الإنجليزية في تعاملهم، وإتقانهم للغة الأجنبية يوفر لهم مستقبلاً عملياً مضموناً، ويساعدهم على إتمام دراساتهم العليا في الجامعات الأجنبية على حدّ زعمهم.

٤- توحيد المصطلحات:

إذا نحونا منحى آخر في تعليم لغتنا العربية لأبنائنا في جامعاتنا العربية فإننا نلاحظ أن ثمة اضطراباً في بعض المصطلحات واختلافاً بينها، الأمر الذي ينعكس بلبلة وتشويشاً في أذهان المتعلمين، وأكثر ما يتجلى هذا الاختلاف في ميادين العلوم البحتة والتطبيقية، حيث تعدد التسميات والمصطلحات للمفهوم الواحد بين قطر

(١) الدكتور صلاح الدين درواشة- تدريس اللغة العربية في مرحلة التعليم العالي- جامعة زايد نموذجاً- ورشة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية- جامعة جورجتاون بقطر- الدوحة- نيسان ٢٠١١.

عربي وآخر، فجامعة دمشق تستخدم مصطلح «وسيط» على حين أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة يستخدم مصطلح «حفّاز»، وأقر مجمع اللغة العربية بدمشق هذا المصطلح ترجمة لـ «Catalyseur»، فاستُخدم المصطلح «حفّاز»، وعامل «حفّاز»، وعرفّها المجمع بأنها كل مادة تزيد عادة في سرعة التفاعل.

وفي سورية استخدم مصطلح «قرينة الانكسار» مقابلاً للمصطلح الأجنبي «Ludice de réfraction» ثم دليل الانكسار أحياناً، وأخيراً اقترح المعجم الطبي كلمة «منسب». واستخدم مقابل المصطلح الأجنبي «Rétrogression» كل من التسميات التالية: «تقهقر ونكوص وارتداد وإدبار» وأخيراً أقر المعجم الطبي استخدام «رجوع»^(١).

٥- اعتماد المرونة في استعمال طرائق التدريس:

إذا كان لتمكن المعلم من مادته أثر كبير في نجاح العملية التعليمية التعلمية فإن لطريقة التدريس أثراً كبيراً هو الآخر في تحقيق الأهداف المرسومة للمادة، ذلك لأن المعلم لا يعلم بمادته فحسب، وإنما يعلم بطريقته وأسلوبه وشخصيته وعلاقاته مع متعلميه، وما يضر به لهم من قدوة حسنة ومثل أعلى.

ومن هنا كان لا بد لنجاح المعلم في عمله أن يكون متمكناً من مادته، واثقاً من نفسه، ومستخدماً الطريقة الملائمة والمشوقة لعرض المادة، وأخيراً أن يكون مرناً في استخدام الطريقة مكيّفاً لها وفق الأجواء التي يتفاعل معها.

وغني عن البيان أن المعلم الذي يقولب نفسه في إطار طريقة واحدة يلتزم بها في دروسه كلها، وأسلوب معين ينتهجه في المواقف كافة، محكوم عليه بالإخفاق، ذلك لأن الطريقة لا تصنع المعلم، وإنما هو الذي يبتكرها ويكيفها وفق المادة والوسيلة والمستويات التي يتفاعل معها.

(١) الدكتور محمود أحمد السيد- تعليم اللغة بين الواقع والطموح- دار طلاس- دمشق ١٩٩٢ ص ٢٠٩.

ومن الملاحظ في تعليم العربية لأبنائها في جامعاتنا أن ثمة استعمالاً لطرائق التعليم الإلقائية والتلقينية على النحو المتبع في المرحلة الثانوية، وهذا ما يؤدي إلى نفور الطلبة وعدم إقبالهم على التفاعل مع المادة، في حين أن استعمال المرونة في اختيار طرائق التدريس في ضوء المستويات والأجواء التي يتفاعل معها هؤلاء الطلبة يسهم في تحقيق الأهداف المرسومة لتعليم اللغة، على أن يعتمد التعزيز الإيجابي في العملية التعليمية التعلمية، والأساليب الشائقة الجذابة في إكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة، ذلك لأن التعلم الجيد هو الذي يؤدي إلى أن يعلم المرء نفسه في ضوء التعزيز الداخلي «والرأي السائد اليوم هو أنه لا سبيل أمام الإنسان لكي يتعلم إلا طريق التعلم الذاتي»^(١).

ومن الملاحظ أيضاً أن ثمة قصوراً في الاستعانة بالتقنيات التربوية في تعليم اللغة وتعلمها وفي توضيح مناهجها، وأن ثمة بوناً شاسعاً بين تعليم اللغات الأجنبية لأبنائها وتعليم العربية لأبنائها من حيث ضآلة الاعتماد على التقنيات الحديثة ووسائل الإيضاح المناسبة التي تجذب الانتباه وتشده نحو المحتويات المقدمة، فيقبل على تعلمها في جو من الإثارة والحماسة.

وتجدر الإشارة إلى أن منطق العصر يقضي القيام بتنمية لغوية شاملة، تأخذ من التقنيات الحديثة في عصر المعلومات الذي نتفياً ظلالة، ما يمكنها من ولوج الدرس اللغوي بطريقة حديثة، يتمكن الدارسون من خلالها من محاكاة اللغة الفصيحة. ويترتب على ذلك أن يبدأ الدرس اللغوي على نحو منهجي علمي، يتناول جميع المستويات أصواتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، بالإضافة إلى الجوانب الجمالية للغة، وما لها من تأثير فاعل في صقل الوجدان والأحاسيس.

(١) الدكتور محمود أحمد السيّد - اللسانيات وتعليم اللغة - دار المعارف للطباعة والنشر - سوسة - تونس

٦- اعتماد تعدد أساليب التقويم:

ومن يلق نظرة على أساليب التقويم المتبعة في قياس الأداء اللغوي في جامعاتنا العربية يجد أنها لا تقيس إلا المستوى الأول من مستويات المعرفة في الأعم الأغلب، ذلك المستوى المتمثل في الحفظ والتذكر والاسترجاع من جهة، كما أنها لا تعنى بالاختبارات الشفوية في الأعم الأغلب من جهة ثانية، كما أن الإشراف في استعمال الأمتة في بعض جامعات الوطن العربي قد جار على مسألة التعبير، ولا يعد تعليم اللغة ناجحاً وفعالاً ما لم يحظ التعبير بالمكانة الجديرة به في استعمال اللغة قراءة وفهماً وتمثلاً ومن ثم إبانة في التعبيرين الشفاهي والكتابي.

ومن هنا كان لابد من تعدد أساليب التقويم التي تقيس مستويات المعرفة كافة حفظاً وتذكراً وفهماً وتحليلاً وتطبيقاً وتقويماً، على ألا تقتصر تلك الأساليب على قياس الجانب المكتوب من اللغة، وإنما لابد من أن يحظى الجانب الشفاهي منها بالاهتمام.

ثالثاً- تدريس العربية على أنها من متطلبات الجامعة

تدرس العربية في جامعات الخليج العربي على أنها من المتطلبات الجامعية، وليست الوعاء المعرفي للتخصصات الجامعية التي تدرس باللغة الإنجليزية. وإذا أخذنا جامعة زايد في إمارة أبو ظبي نموذجاً^(١)، فإننا نلاحظ أن ثمة مساقين في الفصل الدراسي الأول أولهما للطلبة الذين نالوا أقل من ٥٠٪ في اختبار تحديد المستوى وهو مساق الإعداد في اللغة العربية، وثانيهما للطلبة الذين نالوا أعلى من ٥٠٪ في ذلك الاختبار، وهو مساق مفاهيم عربية. أما الفصلان الثاني والثالث فيدرس الطلبة فيها الحضارة الإسلامية، وفي

(١) الدكتور صلاح الدين درواشة- تدريس اللغة العربية في مرحلة التعليم العالي- جامعة زايد

نموذجاً- مرجع سابق.

الفصل الرابع ثمة مساق اختياري، وهو غير إجباري، ويشتمل على أدب الرحلات، وروائع الأدب العربي.

أما الهدف من مساق مفاهيم عربية في الفصل الدراسي الأول فهو تعزيز مهارات الطلبة اللغوية كتابة وقراءة ومحادثة في إطار التعامل النقدي مع نصوص منتقاة من حقول معرفية متنوعة. وبعد انتهاء المساق يتوقع من الطلبة أن يصبحوا قادرين على استخدام مهارات الكتابة المختلفة مثل: كتابة فقرة، وإعادة صياغة، وكتابة مقال أكاديمي، وسيكون في استطاعتهم ممارسة القراءة الناقدة، وفهم النصوص وظلالها فهماً أعمق.

والنصوص التي يتفاعل معها الطلبة في القراءة هي نصوص عربية منتقاة من مجالات معرفية متنوعة قديمة وحديثة، إبداعية وأكاديمية، تشمل مختلف الأجناس الأدبية (القصة، المسرحية، الشعر، المقال) بوصفها نماذج للتدريب على المهارات اللغوية الأساسية ومهارات الكتابة الأكاديمية.

وقراءة هذه النصوص المختارة هي قراءة ناقدة إذ يجدد نوع النص، ومجاله المعرفي، وفكره الرئيسية، ومغزاه، والمشاعر التي يثيرها، وتميز الحقائق من الآراء، والأسباب من النتائج، وتحدد السمات العامة لأسلوب الكاتب.

وفي مجال الأنشطة الكتابية يركز على مهارات اللغة الأساسية (الصرف، النحو، الإملاء) وعلى ممارسة كتابة الجملة بأنواعها، والفقرة من حيث بنيتها: جملتها المحورية، وتفصيلها، أمثلة وأدلة وحججاً مستمدة من واقع الخبرة الشخصية، وخصائص من حيث التسلسل المنطقي والسلاسة والتناسك والإقناع، ومن حيث إعادة الصياغة باستخدام ألفاظ مألوفة فصيحة بدلاً من الألفاظ الغريبة الصعبة مع الالتزام بالأفكار الرئيسية والفرعية والضمنية، والحرية في ترتيب الأفكار وكتابة المقال.

وفي التدريب على مهارة المحادثة يركز على استعمال العربية الفصيحة الميسرة، وتوظف المفردات المناسبة للموضوع، والقدرة على التعبير عن الفكر بوضوح، والتسلسل المنطقي في الانتقال من فكرة إلى أخرى، والاتزان الانفعالي، ووضوح نبرات الصوت، والسرعة المناسبة، واستخدام الوقفات، والاتصال بالجمهور بالنظر، وقلة القراءة من الأوراق، وعدم ظهور حركات مشتتة.

وتتنوع الأنشطة في التدريب على المحادثة من حيث إجراء عرض شفهي، وحلقة نقاش، وعرض تقديمي، ومراجعة كتاب، والتعقيب على فيلم وثائقي بعد عرضه ومشاهدته.

وثمة معايير لتقويم العرض الشفهي في التدريب على مهارة المحادثة، ومن

هذه المعايير:

في المحتوى والتنظيم:

- عرض الأفكار الواردة في النص عرضاً وافياً
- تدعيم الأفكار بالمراجع الخارجية (كتب، مجلات، شبكة «إنترنت»)
- الانتقال المنطقي من فكرة إلى أخرى.

في اللغة:

- استخدام اللغة الفصيحة
- تنوع المفردات بما يناسب موضوع العرض.

في الإلقاء:

- الاتصال بالنظر مع الحضور جميعاً، وعدم ظهور حركات تشتت انتباه الدارسين.
- طلاقة الكلام، السرعة المناسبة، التنغيم، الوقفات.
- الاعتماد على الذاكرة وعدم القراءة من المذكرات أو من الشرائح.

في تقنيات الشرائح:

- عدد وتصميم الشرائح مناسب ومهني: اللغة سليمة، حجم الخط مقروء،
- عدد الأسطر في الشرائح مناسب وكذلك الكلمات.

هيكل العرض:

- وجود مقدمة، محاور، خاتمة للعرض
- فتح باب النقاش، والإجابة عن أسئلة الدارسين.
- أما معايير تقييم حلقة النقاش في التدريب على مهارة المحادثة فتتمثل في:

المحتوى:

- قدّم الفكرة التي يطرحها بوضوح يعكس مدى فهمه لها.
- دعم الفكرة بالاطلاع على بعض المراجع الخارجية.
- الإسهام في الحوار من خلال التعقيب على الزملاء ومدخلاتهم، والرد والنقاش.

اللغة:

- استخدام اللغة الفصيحة.
- تنوع المفردات بما يناسب موضوع النقاش.

الإلقاء:

- الاتصال بالنظر إلى الدارسين، وعدم القراءة من المذكرات، ووضوح الصوت.

أدبيات الحوار:

- الالتزام بأخلاقيات الحوار: الاستماع، والرد، والتعليق، والسؤال، وعدم المقاطعة، واحترام الرأي الآخر.

التنظيم:

- وجود مقدمة تمهد للموضوع، وتبرز محاور الحلقة، وخاتمة تلخص أبرز النقاط.
- توزيع محاور النقاش على المتحاورين بمهنية، والانتقال المنطقي من فكرة إلى أخرى.

العمل الجماعي:

- الإعداد الجيد والمسبق من قبل المجموعة، وتوزيع الأدوار، وحسن الإخراج.
- التنسيق المسبق مع المدرس وإطلاعه على خطوات الإعداد
- فتح باب النقاش، والإجابة عن أسئلة الجمهور.

وإذا انتقلنا إلى مساق اللغة العربية في مجال تخصصات الدارسين «إدارة أعمال، التربية، العلوم الإنسانية، نظم المعلومات، الفنون، العلوم الصحية» فإننا نلاحظ أن مهارات القراءة تركز على:

- قراءة نصوص باللغة العربية في مجال التخصص.
- ممارسة مهارات القراءة الناقدة.
- ممارسة مهارات البحث الأكاديمي.
- الاطلاع على مصادر متنوعة باللغة العربية في مجال التخصص (كتب ومجلات متخصصة، ومواقع علمية، ومراكز بحثية).
- تعرف مصطلحات في مجال التخصص.

وتركز مهارات الكتابة على:

- ممارسة الكتابة الأكاديمية والوظيفية مع مراعاة تقنيات الكتابة كما هو منصوص عليها في توصيف كل مهارة.
- توظيف المعلومات توظيفاً سليماً، وإتقان توثيقها.
- مراعاة تقنيات الطباعة والتنسيق.

ومما تركز عليه المحادثة:

- التعبير بلغة عربية سليمة (فصيحة ميسرة) عن موضوع محدد في مجال التخصص.

- توظيف المصطلحات العلمية والمفردات المناسبة للتخصص.
- إتقان مهارات الإلقاء، والسرعة المناسبة، والتنغيم، والوقفات، والاتصال بالجمهور.
- وفي مجال السلامة اللغوية تراعى:
 - الصحة الإملائية والنحوية والصرفية: بناء الجمل والتراكيب، سلامة الإملاء والنحو والصرف.
 - الأساليب: اختيار المفردات والأساليب المناسبة للتعبير عن الفكرة تعبيراً دقيقاً وواضحاً وسليماً.
 - علامات التقييم: توظيفها في مواضعها المناسبة.

رابعاً. توصيات

- ونخلص أخيراً إلى تقديم عدد من التوصيات التي يمكن أن تسهم في الارتقاء بتعليم اللغة العربية لأبنائها في المرحلة الجامعية، ومن هذه التوصيات:
- ١- ضرورة وضع معايير لمناهج تعليم اللغة العربية وتعلمها لأبنائها في الجامعات العربية، ولغير الناطقين بها، أهدافاً، ومحتوى، ومفردات، ومناشط، وطرائق، وأساليب، وتقويماً.
 - ١- ضرورة وضع معايير لقياس الأداء اللغوي، والكفاءة اللغوية، على غرار ما هو متبع في اللغة الإنجليزية.
 - ٢- التنوع في استخدام أساليب التقويم الموضوعية والاختبارات المقننة في قياس الأداء اللغوي، مع عدم إهمال اختبارات المقال في قياس مهارة التعبير.
 - ٣- الاهتمام بالتدريب على المهارات العقلية العليا من فهم، وتحليل، وتفسير، وتطبيق، وتقويم، وإبداع وجهات النظر في العملية التعليمية التعلمية.
 - ٤- التركيز على الوظيفية والنفعية الاجتماعية في اختيار محتوى المساقات في ضوء تخصصات الدارسين، استثارة للدافعية وإرضاء للاهتمامات وتلبية للحاجات.

- ٥ - الاهتمام بالتعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة، وبالتعلم التعاوني، والتعلم التبادلي.
- ٦ - الابتعاد عن التعرر اللغوي، والتشدد، والاستثناءات، والمماحكات، والتأويلات في العملية التعليمية التعلمية.
- ٧ - الإفادة من التراث العربي في تعليم اللغة العربية وتعلمها (المنهج التكاملي في تعليم اللغة، التركيز على القوالب اللغوية، تكوين المهارات اللغوية المؤدية إلى العادات اللغوية والسليقة اللغوية).
- ٨ - ضرورة تنمية الوعي اللغوي، والاعتزاز باللغة العربية في نفوس أبناء الأمة على أنها لغة عالمية، أسهمت في مسيرة الحضارة البشرية، وإعادة الثقة بالنفس لديهم، استئصالاً لعقدتي التصاغر والتكابر من ممارساتهم.
- ٩ - تبادل التجارب بين الجامعات العربية في تعليم العربية لأبنائها، ولغير الناطقين بها أيضاً.



مَرَجِعُ الْفَصْلِ

١- ابن منظور المصري- لسان العرب- ج ٢٠ ط ١- المطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر ١٣٠٠هـ.

٢- الدكتور صلاح الدين درواشة- تدريس اللغة العربية في مرحلة التعليم العالي- جامعة زايد نموذجاً - ورشة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية- جامعة جورجتاون بقطر- الدوحة- نيسان ٢٠١١.

٣- الدكتور محمود أحمد السيد- تعليم اللغة بين الواقع والطموح- دار طلاس- دمشق ١٩٩٢.

٤- الدكتور محمود أحمد السيد- اللسانيات وتعليم اللغة- دار المعارف للطباعة والنشر- سوسة- تونس ١٩٩٨.

٥- الدكتور محمود أحمد السيد- في طرائق تدريس اللغة العربية- جامعة دمشق- ٢٠٠٨.

٦- الدكتور مهدي العش- مفهوم الكفاءة اللغوية واستخدامه في تعليم اللغة العربية للناطقين بها وبغيرها وفي تقييمها- ورشة «تدريس اللغة العربية لأبنائها»- جامعة جورجتاون- قطر- الدوحة ٢٠١١.

7- Encyclopedia la grande- Art: parole.

8- Charles Hockett: The problem of universal in language (Cambridge, mass: mit press) 1968.

الفصل السادس

تدريس النحويين، الشدائد والنسهيد

محتويات الفصل:

أولاً - مشكلة تدريس النحو

ثانياً - دعاة التمسك بتدريس النحو

ثالثاً - دعاة التيسير

رابعاً - صوى على الدرب

الفصل السادس

تدريس النحويين، الشدائد، والتسهيل،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحاول في هذا الفصل أن نتعرف مشكلة تدريس النحو، وما يراه المتشددون في التمسك بتعليمه، وما يراه الداعون إلى تسهيل المادة النحوية، ونشير إلى عدد من محاولات التسيير، لنرسم أخيراً بعض الصوى في مجال الارتقاء بواقع تدريسه.

أولاً- مشكلة تدريس النحو

لم يحظ أي فرع من فروع اللغة العربية بما حظيت به القواعد النحوية من اهتمام في العملية التعليمية التعلمية، وطالما عقدت مؤتمرات وندوات، وشكلت لجان للبحث في تعليم النحو في مراحل التعليم المختلفة، إن في التعليم الجامعي أو في التعليم ما قبل الجامعي. وإذا كان ثمة من يرى من الباحثين أن اللغة أسبق من قواعدها، وأن أبناء اللغة كانوا يكتسبون اللغة قبل وضع قواعدها، وأن من وسائل ذلك الاكتساب الاستماع إلى اللغة، ومحاكاة قوالها، وأناطها، وبناءها اللغوية، فإذا وضع المتعلم في جو، تسود فيه اللغة السليمة، امتص السلامة من ذلك الجو، على النحو الذي كان ينتهجه أجدادنا العرب القدماء عندما كانوا يرسلون أطفالهم إلى نجد وسط الجزيرة العربية، حيث النقاء اللغوي، والبعد عن التلوث.

وهذا ما يؤكده علماء النفس اللغوي في نظرتهم الرامية إلى تغطية المتعلم في الحمام اللغوي، بحيث لا يتحدث المعلمون إلا بالعربية الفصيحة، ولا يستمع المتعلمون إلا إلى

العربية الفصيحة، وإن المتعلم مهما يكن متمكناً من حفظ القواعد النحوية، فإنه لن يتمكن من استخدام اللغة الفصيحة، ما لم يمارس اللغة السليمة في المواقف الحوية محادثة واستماعاً وقراءة وكتابة.

ولا يعوّل أصحاب هذا التوجه على القواعد النحوية في تعليم اللغة العربية وتعلمها، وطالب بعضهم بإلغاء الإعراب، وإلغاء قواعد النحو، وتسكين أواخر الكلام، وتمنى الأستاذ أمين الخولي أن يكون الكلام العربي كله من باب المقصور الذي لا تظهر عليه الحركات في الرفع والنصب والجر^(١).

بيد أن نفرًا من الباحثين رأوا أنه لا يمكن الاستغناء عن تدريس النحو في اكتساب اللغة، وأن لجميع اللغات قواعد وأنظمتها النحوية، وليست العربية في منأى عن تلك اللغات، وأقروا في الوقت نفسه أن تدريس النحو يحتاج إلى التخفيف من المادة النحوية التي يتعلمها الناشئة من جهة، كما يحتاج إلى طرائق تختلف عن طرائق الأقدمين في تدريسه، فإذا تحقق ذلك كان ثمة نجاعة في تعليم اللغة وتعلمها.

ثانياً. دعاة التمسك بتدريس النحو

لما كان لكل لغة نظامها النحوي كان على أبناء هذه اللغة، ولئن يود تعلمها من غير الناطقين بها، أن يتعرفوا هذا النظام، ويحسنوا تطبيقه وممارسته في أدائهم اللغوي، محادثة واستماعاً وقراءة وكتابة، حتى يتمكنوا من الفهم الصحيح والإبانة الواضحة عن مشاعرهم وعواطفهم وأحاسيسهم وأفكارهم ورؤاهم بلغة سليمة، وما الإعراب إلا دلالة على الإبانة والوضوح، إذ إن الإعراب لغة مصدر الفعل (أعرب) أي أبان.

(١) أمين الخولي - هذا النحو! - مجلة كلية الآداب - نشر كلية الآداب بجامعة القاهرة يوليو ١٩٤٤ ص ٢٩-٦٨.

وللإعراب الأهمية الكبرى في فهم المعنى، وكان أحمد بن فارس في تراثنا العربي قد أشار إلى ذلك في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة) تحت باب (ذكر ما اختصت به العرب) فيقول: «من العلوم الجليلة التي اختصت به العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منوع، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من توكيد»^(١).

وأشار ابن قتيبة إلى أن «الإعراب جعله الله وشياً لكلام اللغة العربية، وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلطين كالفاعل والمفعول، ولا يفرق بينهما إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب، ولو أن قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتلٌ أخي بالإضافة، لدل التنوين على أنه لم يقتله، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله»^(٢).

وعدَّ ابن خلدون في مقدمته النحو من أهم علوم اللسان قاطبة، إذ يقول: «أركان علوم اللسان أربعة وهي: اللغة والنحو والبيان والأدب، وأن الأهم المقدم منها هو النحو، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة»، ثم يضيف «إن علم النحو أهم من اللغة، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة، وليست كذلك اللغة»^(٣).

(١) أحمد بن فارس - الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - تحقيق الدكتور مصطفى الشويبي - مؤسسة أ. بدران - بيروت ١٩٦٤ ص ٥٧.

(٢) ابن قتيبة - تأويل مشكل القرآن - شرح وتحقيق السيد أحمد صقر - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة ١٩٥٤ ص ١١.

(٣) ابن خلدون - مقدمة ابن خلدون - دار إحياء التراث العربي - بيروت ص ٥٤٥.

وإذا كان (أحمد بن فارس) و(ابن قتيبة) و(ابن خلدون) وغيرهم كعبد القاهر الجرجاني في تراثنا القديم قد أكدوا أهمية النحو والإعراب في الفهم والإفهام فإن ثمة مفكرين معاصرين قد ذهبوا هذا المذهب، ونذكر منهم الأستاذ عباس حسن في كتابه (اللغة والنحو بين القديم والحديث) إذ يقول: إن منزلة النحو من العلوم اللسانية منزلة الدستور من القوانين الحديثة، وهو دعامة العلوم العربية ودستورها الأعلى، وهو أصلها الذي تستمد عونه، وتستلهم روحه، وترجع إليه في جليل مسائلها وفروع تشريعها، ولن نجد علماً من تلك العلوم يستقل بنفسه عن النحو، أو يستغني عن معونته، أو يسترشد بغير نوره وهدهاء»^(١).

وجميل جداً موقف اللغوي عباس حسن عندما يتابع كلامه عن أهمية النحو، وهو في وضع السائل والمجيب في الوقت نفسه، فيقول متسائلاً: «وهذه اللغة التي نتخذها معاصر المستعربين أداة طبيعة للتفاهم القولي والكتابي، ونسخرها مركباً ذلولاً للإبانة عن أغراضنا، والكشف عما في نفوسنا، ما الذي هيأها لنا وأقدرنا على استخدامها قدرة الأولين من عرب الجزيرة عليها، ومكّن لنا من نظمها ونثرها تمكينهم منها، وأطلق لساننا في العصور المختلفة صحيحاً فصيحاً كما أطلق لسانهم، وأجرى كلامنا في حدود مضبوطة سليمة كالتي يجري فيها كلامهم، وإن كان ذلك منهم طبيعة ومنا تطبعاً؟»^(٢)

وتأتي الإجابة من المتسائل نفسه: «إنه النحو وسيلة المستعرب، وذخيرة اللغوي، وعماد البلاغي، وأداة المشرع والمجتهد، والمدخل إلى العلوم العربية والإسلامية جميعاً»^(٣). والواقع أن هذه النظرة في أهمية تعليم النحو، في اكتساب المهارات اللغوية والفهم

(١) عباس حسن - اللغة والنحو بين القديم والحديث - دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٦ ص ٦٠.

(٢) المرجع السابق ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق ص ٦١.

والإفهام في كل منها لم تكن مقتصرة على العربية، وإنما هي في اللغتين الإنجليزية والفرنسية، فما هو ذا اللغوي الأمريكي «تشومسكي» يرى «أن النحو من اللغة بمنزلة القلب من جسم الإنسان، ولا يمكننا أن نتصور حياة لأي إنسان من غير قلب»^(١).

وجاء في مقدمة كتاب (قواعد اللغة الفرنسية) للأستاذين (روبير وشازالية) تعليق على رأي الكاتب الفرنسي (برناردان دوسان بيير): «إننا لا نتعلم الكلام بواسطة قواعد النحو إلا بمقدار ما نتعلم المشي بطريق قوانين التوازن» يقول المؤلفان: «الواقع أن معرفة القواعد ليست هي الأمر الهام، وإنما الهام هو مراعاتها، فمن يخالف قوانين التوازن يتحرك لكنه يقع، ومن يخالف قواعد النحو يتكلم إلا أنه يسيء الكلام. والنحو لا يخلق قواعد الكلام، ولكنه يكتشفها، ويصوغها، ويشرحها بجهد دؤوب، وهو لا يملك الوسيلة إلى خلق الكاتب الكبير أو الكاتب الجيد، فالموهبة أمر لا يعلم، ولكن دون النحو لا يكون بوسع أي كاتب أن يكون كبيراً ولا جيداً، إن من الأمور المتفق عليها أن صحة القول هي الصفة الضرورية الأولى لكل ما يكتب»^(٢).

ومن المتفق عليه في تراثنا العربي أن خوف العرب على قراءة القرآن بصورة سليمة هو الذي دفع إلى وضع قواعد ومعايير بها يضبطون كلامهم، وقد استنبطوا هذه القواعد من استقراء الشعر القديم والقرآن الكريم، إلا أن اختلاف اللهجات العربية في الجاهلية ظهر فيما جمعه من ذلك الشعر ومن النصوص النثرية فلم تنطبق كلها على ما بين أيديهم من قواعد، وثاروا في تغليب طريقة من الإعراب على أخرى، ووقعت الاختلافات، ونشأت المدارس النحوية «مدرسة الكوفة، مدرسة البصرة، مدرسة بغداد... الخ»،

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - في طرائق تدريس اللغة العربية - مطبوعات جامعة دمشق ٢٠٠٨ ص ٩٦.

(٢) محمد سليم بركات - نظرات في تدريس القواعد النحوية - الدورة التدريبية للموجهين التربويين في

الابتدائي - دمشق ١٩٧٥ ص ١٠.

وكثرت التأويلات، وظهرت صيحات تدعو إلى تسهيل تدريس النحو، مادة وطريقة فيحذف من المباحث النحوية ما يمكن الاستغناء عنه في الوقت الذي بقي فيه دعاة التشدد متمسكين بتدريس جميع المباحث النحوية، ويرون أنه لا يمكن حذف أي منها بحجة أنها جميعها وظيفية تساعد المتعلم في امتلاك ناصية اللغة. وإن أنس فلا يمكنني أن أنسى استهجان بعض أستاذة كلية دار العلوم في القاهرة وبعض أساتذة جامعة الأزهر في نهاية ستينيات القرن الماضي للسؤال: أي المباحث النحوية ترى من وجهة نظرك أنه يمكن الاستغناء عنها لمساعدة المتعلم حتى يتحدث ويكتب بصورة سليمة ويستمتع ويقراً فيفهم المقروء وما يستمع إليه في منأى عن أي صعوبة؟

وكان هؤلاء الأساتذة يرون أن الموضوعات النحوية كافة ضرورية لا يمكن الاستغناء عن أي منها في تعليم النحو، وأن الطريقة التي ينبغي لنا أن نتبعها في التدريس هي طريقة القدماء في تعليمه.

ثالثاً. دعاة التيسير

عارض اللغوي النحوي عباس حسن ذلك الموقف المتشدد من زملائه النحويين، وأشار إلى أن موقفهم يؤدي إلى الضعف، إذ يقول: «إن مثل هؤلاء المتشددين في غير تدبر كمثل الأم إزاء وحيدها، الذي أدركته على يأس وطول انتظار، يدفعها الحب العارم إلى ملازمته، والإسراف في صيانتها، فتحجبه عن الشمس والهواء خشية أذاهما، وتتخمه بصنوف المطاعم والمشارب خوف الضعف والذبول، وترهقه بكثير من الملابس استظهاراً للإعزاز، أو مبالغة في التوقي، فيكون من وراء ذلك ما تحافه وتحشاه الضعف والمرض والهلاك»^(١).

(١) عباس حسن - اللغة والنحويين القديم والحديث - مرجع سابق ص ٦٦-٦٧.

وأبان الدكتور طه حسين في محاضراته «اللغة الفصحى وتعليم الشعب» التي ألقاها في الجامعة السورية عام ١٩٥٦ أننا مازلنا نعلم اللغة العربية في مدارسنا ومعاهدنا كما كان القدماء يعلمونها منذ أكثر من ألف عام، نعلمها كما كان المبرّد وأستاذه المازني وتلاميذهما المختلفون يعلمون في مساجد البصرة، وكما كان الكسائي والفراء يعلمان في مساجد الكوفة، أو في مساجد بغداد.

وأوضح أن الفرق بعيد بين المدرسة الابتدائية التي نشئها في أعماق القرى وبين مسجد البصرة أو مسجد الكوفة أو مسجد بغداد، والفرق هائل جداً بين القرن العشرين والقرن الثامن، أو التاسع، حين كان يعيش هؤلاء العلماء.

ولا يظنّ أحد أن طه حسين يدعو إلى هجر القديم، ولكنه يدعو إلى تطويره إذ يقول: «وبعد فأنا لا أدعوكم إلى هجر القديم مطلقاً، وعسى أن أكون من أشد الناس محافظة على قديمنا العربي، ولا سيما في الأدب واللغة، ولكن لم لا يكون النحو القديم، والكتابة القديمة، والبلاغة القديمة، وكل هذه العلوم العربية التي أنشئت في عصر غير هذا العصر الذي نعيش فيه.. لم لا يكون هذا كله متطوراً كما تطورت اللغة، نحفظ قديمه لدرس المتخصصين في الجامعات وفي المعاهد، ونتيح للملايين من الصبية والشباب أن يتعلموا تعليماً قريباً سهلاً، عسى أن يتخرج من بينهم من يضيف إلى ثروة هذا القديم، ويحسنه أكثر مما نحسنه نحن، ويجيي هذا التراث القديم أكثر مما نحويه نحن؟»^(١).

وثمة من رأى أن في صنيع هؤلاء المتشددین من النحويين الذين يحاولون الرجوع باللغة الفصحى إلى ما كانت عليه في أول أمرها قبيل الإسلام وأيام الأمويين والحرّول بينها وبين مواصلة النمو والتطور والتنوع جموداً وابتعاداً باللغة الفصيحة عن الحياة

(١) الدكتور طه حسين - اللغة الفصحى وتعليم الشعب - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - الجزء

الأول - المجلد الثاني والثلاثون - ١٩٥٧ ص ٥٤.

النابضة الزاخرة، فهذا هو ذا مراد كامل يقول: «نحن نناقق اللغة ونخدعها عن نفسها حين نخلع عليها قدسية زائفة، تجمد بها عن التطور، وتعوقها عن الانطلاق، وحين نلقنها هذا الجيل وللأجيال المقبلة بوضعها المتحجر، ونحذرهم أن يتجاوزوا حدودها، لأننا نجبرهم بطريق غير مباشر أن يهربوا منها، ويتركوها إلى لغتهم التي تخدم حاجاتهم خدمة مباشرة، مادامت معبرة سريعة، بدل أن تستبد بهم لغة صارمة عنيدة، تسد عليهم مسالك الحياة، فلا تنطلق بهم، ولا تدعهم ينطلقون»^(١).

وذهب بعض الباحثين إلى أن كتاب سيبويه، وكتب ابن جنبي، وألفية ابن مالك، لا تعلم صحة الكلام والصواب في اللغة، وتمنى على سيبويه لو قال في مقدمة كتابه «إنني رجل علم لا يعنيني إلا فهم ما يعرض لي، والخليل رجل علم كذلك، يرد الأمور كلها إلى الحساب، وتصادف أننا جميعاً اتخذنا اللغة ميداناً نظهر فيه نزعتنا العلمية، وليس الغرض من كتابي هذا أن أرشد الناس إلى الكلام الفصيح، بل غاييتي منه فهم نظام اللغة، ولا يفوتني من بعدي من يشرح غوامضه، أو يتعمق في تفصيلها، فذلك لا يزيد في اهتداء الناس به إلى صحة الكلام، ولا يزيد في فهم اللغة».

وليت ابن جنبي قال: «إنما أنا فيلسوف قبل أن أكون لغوياً، وغرضي من كتبي هذه أن أجد تعليلاً لقواعد اللغة كما كان يفعل فلاسفة الإغريق بالعلوم كلها، وليس على من يريدون معرفة الصواب في اللغة أن يعرفوا هذه التعليقات، فهي لا تفيدهم في ذلك شيئاً».

وليت الناس قالوا لابن مالك: «ألفيتك هذه ألغاز، وهي لا تدل إلا على قدرتك الفائقة على نظم ما لا يصح نظمه، ولا فائدة منها إلا أن تجعل الطلاسم مقبولة عند بعض الناس، وقد يعجب بها بعض من يستهويهم هذا اللون من التأليف من دون أن يتعلم بها أحد صواب الكلام»^(٢).

(١) الدكتور مراد كامل في مقدمة كتاب - اللغة العربية كائن حي لجرجي زيدان - دار الهلال - القاهرة ص ١٥.

(٢) الدكتور محمد كامل حسين - العربية المعاصرة - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٧٥.

ولقد اتجهت أنظار المجددين إلى تيسير المادة النحوية نفسها إذ إن تدريسها، على النحو الذي ورد عن القدماء، يؤدي إلى صعوبة في الفهم، وكان الدكتور طه حسين قد سأل معلمي النحو قائلاً: إذا أردتم أن تعلموا النحو هؤلاء التلاميذ المساكين فكيف تريدونهم على أن يفهموا أن قولك «قُرئ الكتاب» فعل مبني للمجهول، والكتاب نائب عن الفاعل، لأن الفاعل قد حذف لغرض من الأغراض التي تذكر في علم المعاني، وعلم النحو، وأنيب عنه المفعول به؟ كيف تريد التلميذ المصري أو الشامي أو العراقي الذي لم تتجاوز سنه الثانية عشرة أن يفهم هذا الكلام؟ ما هذا الفاعل الذي حذف؟ ما هذا المفعول الذي أنيب عنه؟ ما هذا المجهول الذي بني له الفعل؟^(١).

ويتتقد الدكتور طه حسين بشدة التقدير الذي يذهب إليه النحويون في الإعراب، ويقدم نموذجاً من تقديراتهم عندما يقول: «إذا أردت أن تفهم التلميذ قول الله تعالى: «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله، ثم أبلغه مأمنه» قلت له: «إن أحدٌ» في قوله تعالى: «إن أحدٌ من المشركين» فاعل لفعل محذوف تقديره استجارك، وإن تقدير الآية: «وإن استجارك أحد من المشركين استجارك»، فيسألك التلميذ: وأين توجد استجارك الأولى هذه ومن أين تأتي بها؟ وما السبب في وجود هذا الفعل مرتين؟ ولماذا لا نكتفي بهذا الفعل الذي اكتفى به القرآن الكريم؟ فكيف تجيبون؟^(٢).

ويعلل هذا النهج الذي ذهب إليه النحويون في إعرابهم الحالي بأن النحاة القدماء قرروا في قواعدهم أن حرف «إن» لا يدخل إلا على فعل، ولما جاء في القرآن الكريم وفي كلام العرب «إن» وبعدها اسم لم يخضعوا لما جاء في القرآن، ولم يخضعوا لما جاء في كلام

(١) الدكتور طه حسين - اللغة الفصحى وتعليم الشعب - مرجع سابق ص ٤٩.

(٢) المرجع السابق.

العرب نثراً وشعراً، وإنما أرادوا أن يخضعوا القرآن للقاعدة التي قرروها، وقد طوّعت لهم فلسفتهم هذا النحو من التصرف، واستطاعوا أن يهتملوه، واستطاعوا أن ينهضوا بأثقاله، وعلى خطاهم سار النحاة المعاصرون.

والواقع إن الإحساس بجفاف المادة النحوية لم يكن وليد العصر الحاضر، إذ إن هذا الإحساس تزامن مع كثرة الافتراضات والمحاكات والتأويلات والخلافات بين المدارس النحوية، الأمر الذي دعا بعضهم إلى الشكوى والتذمر من الشذوذات والاستثناءات والتأويلات، فهذا هو ذا «دماذ» صاحب أبي عبيدة يشكو إلى أبي عثمان بكر المازني شيخ نحاة البصرة في عصره ما لقيه من عنت في موضوع «واو المعية» و«فاء السببية» من أن ما بعدهما ينصب بأن مضمرة وجوباً.

وكانت ثمة دعوات نظرية ومحاولات عملية في التخفيف من القواعد النحوية، فقد دعا الجاحظ في إحدى رسائله إلى الاقتصار في تعليم النحو للصبي على الموضوعات الأساسية التي تؤدي إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده، وشيء إن وصفه، وعويص النحو لا يجدي في المعاملات، ولا يضطر إليه في شيء على حد تعبير الجاحظ^(١).

وثار ابن مضاء القرطبي على النحاة بعد أن هالته كثرة افتراضاتهم وتأويلاتهم، ورأى أن يحذف من النحو كل ما يستغني الإنسان عنه في معرفة نطق العرب بلغتهم، لأن «أحوال أو آخر الكلام كأحوال أوائله لغوية بسيطة لا تحتاج معرفتها إلى عسر في الفهم، ولا إلى بعد في التأويل»^(٢).

أما المحاولات العملية في الاقتصار على تعليم الموضوعات النحوية الأساسية فقد

(١) الدكتور محمود السيد- في الأداء اللغوي- وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠٠٥ ص ١٧٤.

(٢) ابن مضاء القرطبي- الرد على النحاة- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٩٤٧.

تجلى بعضها في رسالة خلف بن حيان الأحمر البصري «مقدمة في النحو»^(١) وفي كتيب أبي جعفر النحاس النحوي «التفاحة في النحو»^(٢)، وقد اشتملت الرسالة كما اشتمل الكتيب، على الموضوعات النحوية الأساسية التي يحتاج إليها المتعلم في إصلاح لسانه في كتاب إن كتبه، أو شعر إن أنشده، أو خطبة إن ألقاها، أو رسالة إن ألفها على حد تعبير خلف نفسه. أما في العصر الحديث فكانت هناك محاولات متعددة للتيسير، ولسنا الآن في مجال حصرها كافة، وإنما سنشير إلى بعضها، فكانت أول محاولة للتخفيف من المادة النحوية - فيما نعلم - هي محاولة لجنة تيسير قواعد اللغة العربية في ثلاثينيات القرن الماضي، إذ أوصت اللجنة بإلغاء الإعراب التقديري والمحلي لعدم فائدته في ضبط لفظ أو تقويم لسان، وبجعل المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل في باب واحد أسمته «المسند إليه»، وإلغاء الضمير المستتر جوازاً ووجوباً^(٣).

ولقيت هذه المحاولة صدى في خمسينيات القرن الماضي، وذلك في مؤتمر مفتشي اللغة العربية في القاهرة عام ١٩٥٧، ورأى المؤتمر أن الكلام العربي كله مكون من جمل ومكملات وأساليب، وأن لكل جملة ركنين أساسيين هما المسند والمسند إليه. وأما التكملة فهي كل لفظ يضيف إلى معنى الجملة الأساسية معنى يكمله، وأما الأساليب فهي تعبيرات خاصة نطق بها العرب على الصورة التي وصلت إلينا، نحفظها، ونقيس عليها.

(١) خلف بن حيان الأحمر البصري - مقدمة في النحو - طبعة مديرية إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة السورية - دمشق ١٩٦١.

(٢) أبو جعفر النحاس النحوي - التفاحة في النحو - تحقيق كوركيس عواد - المجمع العلمي العراقي بغداد ١٩٦٦.

(٣) وزارة المعارف المصرية - تقرير لجنة تيسير قواعد اللغة العربية - ١٩٣٨ ص ١ (مكتبة وزارة التربية والتعليم بمصر - علوم عربية نحو رقم ٢١٦).

وفي ضوء ذلك تبوب مسائل النحو على أساس من المعاني التي تدور حولها الأساليب المختلفة، فيجمع كل ما يتعلق بالمعنى الواحد من قواعد النحو في باب واحد يسمى «أسلوباً». وعلى هذا فأسلوب النفي مثلاً وحدة، تشتمل على النفي بالحرف وبالفعل وبالاسم، وعلى النفي في الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، أيأ كان الأثر الإعرابي الذي تحدثه الأدوات^(١).

وشقت هذه المحاولة طريقها عملياً إلى المناهج التربوية إبان الوحدة بين سورية ومصر عام ١٩٥٨، حيث استبعدت المصطلحات النحوية «الفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ» واعتمد مصطلح «المسند إليه» مكانها، كما اعتمد مصطلح «المسند» مكان الفعل والخبر. وكانت ثمة عودة عن هذا التطبيق بعد حدوث الانفصال بين سورية ومصر في مطلع ستينيات القرن الماضي، وعادت سورية إلى اعتماد مصطلحات «الفاعل والمبتدأ ونائب الفاعل والخبر» على النحو الذي كان سائداً قبل الوحدة.

ولم تنقطع محاولات التيسير بعد ذلك التاريخ. ففي سبعينيات القرن الماضي أشرف اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية على ندوة «تيسير تعليم اللغة العربية» التي عقدت في الجزائر عام ١٩٧٦، وخلصت الندوة إلى عدد من التوصيات الرامية إلى تيسير النحو، ومن هذه التوصيات:

- ١- الربط بين علم النحو ومفهوم الدلالات.
- ٢- استخلاص الشواهد والأمثلة من القرآن والحديث والنصوص الأدبية القديمة والحديثة.
- ٣- الاقتصار في المادة النحوية على ما يستعمله الطلاب في حياتهم ما أمكن.

(١) الاتجاهات الحديثة في النحو العربي (مجموعة المحاضرات التي أُلقيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية) يونيو ١٩٥٧ - مطبعة دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥٨.

٤ - الإبقاء على الإعراب التقديري والمحلي دون تعليل، وتراعى قدرة الطالب عند اختيار القواعد.

٥ - دراسة بعض التراكيب النحوية دراسة تحدد معانيها، وتضبط أواخرها، دون التعرض لإعرابها التفصيلي كصيغ القسم والتعجب والتحذير والإغراء والنفي والتأكيد والتفضيل وما شاكل ذلك.

٦ - ترك دراسة قواعد النحو التي تستعمل في الحالات النادرة كالتنازع والاشتغال.

٧ - الحرص على اعتماد المصطلحات النحوية التي عرفت من قبل كالفاعل والمفعول والمبتدأ والخبر، لأنها أكثر دلالة على معانيها مما اقترح من مصطلحات.

٨ - اعتبار جميع علامات الإعراب أصلية دون تمييز بين أصلي وفرعي.

٩ - العناية بالنطق العربي ودراسة جملة للأصوات.

١٠ - قصر محاولة التيسير على مرحلة التعليم العام.

١١ - تذييل كتب النحو بمقتطفات لتدريب الطلاب على استعمال الأساليب المختلفة كأساليب التعجب والنفي والتأكيد والتفضيل.

١٢ - ضم بعض القضايا الصرفية إلى القضايا النحوية حينما يكون هناك ارتباط بينها، فتدرس أوزان الفعل، وما يحدث لها عند الإسناد إلى الضمائر في باب واحد^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن مجمع اللغة العربية بدمشق كان قد تقدم بمذكرة إلى ندوة تيسير تعليم اللغة العربية في الجزائر جاء فيها «إن نحونا العربي وضع لزمان غير زماننا حين كان في وقت القوم سعة لتدارسه وإتقانه، فلم يكن يشغلهم ما يشغلنا اليوم، ولذلك

(١) اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية - سجل ندوة الجزائر ١٩٧٦ - تيسير تعليم اللغة العربية -

حققوا ودققوا وعلّقوا حتى توصلوا إلى إقامة النحو بناءً متماسكاً قوياً محكماً. ولكن السير في مساره متعذر إلا على القلة القليلة من الناس، ونحن لا نحتاج إلا إلى الشطر من قواعد ذلك النحو يأخذ بيدنا إلى قراءة النصوص قديمها، وحديثها، قراءة صحيحة تعين على فهم معناها، ولا داعي لتعلم الطلاب قواعد، لا يكادون يحتاجون إليها في قراءة النصوص قديمها وحديثها، أو تلقينهم ضوابط، يهتدون إليها بالسليقة»^(١).

وكانت المحاولة التي حمل لواءها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف في ثمانينيات القرن الماضي قد لقيت اعتراضاً قوياً في المؤتمر الذي عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وقد اعتمد الدكتور شوقي في محاورته ستة أسس لتجديد النحو العربي، وهذه الأسس هي:

حذف من أبواب النحو ثمانية عشر باباً، والأبواب المقترح حذفها هي: باب كان وأخواتها، باب ما ولا ولات العاملات عمل ليس، باب كاد وأخواتها، باب ظن وأخواتها، باب أعلم وأخواتها، باب التنازع، باب الاشتغال، باب الصفة المشبهة، باب اسم التفضيل، باب التعجب، باب أفعال المدح والذم، كنيات العدد، الاختصاص (ويكتفى بإعراب هذه الصيغ الست في باب التمييز)، باب التحذير - الإغراء - الترقيم - الاستغاثة - الندبة.

إلغاء الإعرابين التقديرى والمحلى: ويكتفى في إعراب «هذا زيد» أن يقال: هذا مبتدأ فقط وليس ثمة داع لأن يقال اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ودعا إلى إلغاء تقدير متعلق للظرف والجار والمجرور، وإلغاء عمل إن المصدرية في المضارع مقدره أو مستتره بعد فاء السببية وواو المعية، وإلغاء العلامات الفرعية في الإعراب.

(١) المرجع السابق ص ١٣٧.

الإعراب لصحة النطق: إلغاء إعراب لاسيما وبعض أدوات الاستثناء وكم الخبرية والاستفهامية وأدوات الشرط الاسمية وإلغاء إعراب أن المخففة من أن الثقيلة وكأن المخففة.

وضع ضوابط وتعريفات دقيقة لبعض أبواب النحو التي لم يتح لها أن تعرف تعريفاً سديداً، على نحو ما يلاحظ في المفعول المطلق، والمفعول معه، والحال.

حذف زوائد كثيرة من مثل حذف شروط اشتقاق اسم التفضيل، وشروط فعل التعجب، وقواعد اسم الآلة، وشروط صيغ التصغير وقواعده العسرة، وحذف قواعد النسب المعقدة.

إضافات متنوعة من مثل بعض القواعد الضرورية لخدمة النطق السليم بكلم العربية وحروفها، وقد استعارها من علم التجويد لوقوف الناشئة على بعض صفات الحروف، والحركات، واللين فيها والتشديد، والتنوين، والمد، وألف القطع والوصل، والإدغام لبعض الحروف، والإبدال.

وأضاف مبحثاً في حروف الزيادة، وفي الممنوع من الصرف، وباب الذكر والحذف لعناصر الجملة، وباب التقديم والتأخير فيها، وأنواع الجمل... الخ^(١).

وتجدر الإشارة إلى أن دعوة كل من ندوة تيسير تعليم اللغة العربية، والدكتور شوقي ضيف في تجديد النحو، لم يكن لأي منها اعتماد في المناهج التربوية على الصعيد العربي، وبقيت محاولات تيسير النحو العربي محدودة الأثر من قبل ومن بعد حتى إن ثمة من يرى أن «محاولات تيسير النحو العربي في كتب مدرسية لم تقدم جديداً، ولم تفعل شيئاً يعيد إلى الدرس النحوي قوته وحيويته، لأنها لم تصحح وضعاً ولم تحدد منهجاً، ولم تأت بجديد إلا إصلاحاً في المظهر، وأناقاة في الإخراج. أما القواعد فهي هي، وأما الموضوعات فكما ورثناها، حتى الأمثلة لم يصبها من التجديد إلا نصيب ضئيل»^(٢).

(١) الدكتور شوقي ضيف - تجديد النحو - دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢.

(٢) مهدي المخزومي - في النحو العربي - منشورات المكتبة العصرية (صيدا - بيروت) ١٩٦٤ ص ٤٤.

ومادام الأمر على هذه الحال، وكان ثمة اضطراب وبلبلة في ميدان تدريس النحو، بين متمسك بتدريسه على النحو الذي كان يدرس عليه في العصور السابقة، وبين داعٍ إلى التسهيل والتيسير في المادة النحوية على النحو الذي رأيناه من قبل، كان لابد لنا من إبداء وجهة نظر في المسألة المطروحة، وهذا ما نطلع عليه في السطور التالية.

رابعاً- صوى على الدرب

والآن بعد أن تعرفنا بعضاً مما جرى في ميدان التيسير نرى أن ثمة صوى يمكن أن نستهدي بها في مجال تعليم النحو، ويمكن إنجازها فيما يلي:

١- إن القواعد النحوية ليست معضلة في حد ذاتها، إذ إن لجميع اللغات قواعدها وأصولها وأحكامها، وما العربية بنعمة نشاز في هذا المجال، وإن أبناء الأمة العربية يتعلمون القوانين، الرياضية والفيزيائية والكيميائية ويطبقونها تطبيقاً سليماً، «وما أظنها أيسر من القواعد النحوية البسيطة للفعل والفاعل والمفعول، وقد تكون عملية حسابية في الأرباح البسيطة والمركبة أعقد من ضوابط المبتدأ والخبر، أو الإضافة، أو الاستثناء، ونجد مع هذا أن التلميذ يحل مسائل الحساب المقررة عليه، وقد يعييه بعد إتمام المرحلة الثانوية أن يقرأ جملة من فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر، قراءة صحيحة»^(١). فإذا عرفنا الطريق السليم لملاءمة المباحث النحوية لحاجات الدارسين ومطالبهم اللغوية توصلوا إلى معرفتها وتمثلها كما يتمثلون غيرها من المواد العلمية، نظراً لتوافر الدافع والحاجات المؤدية إليه، ومهمة المعلمين تكوين هذه الدوافع واستثارتها في ضوء الحاجات. وأما التخلي عن تدريس النحو بحجة أن النحو لا يعلم اللغة فأمر مستبعد.

(١) الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ»- لغتنا والحياة- دار المعارف بمصر- القاهرة ١٩٧١

٢- تمثل الأهداف المرسومة لتعليم النحو في أذهان القائمين على تدريس اللغة العربية من حيث الابتعاد عن النظرة إلى القواعد النحوية على أنها غاية في حد ذاتها، وإنما هي وسيلة لصحة الأسلوب وسلامة التراكيب وتقويم القلم واللسان من الاعوجاج والزلل، ومساعدة المتعلم على فهم ما يستمع إليه وصحة القراءة، وفهمها، وصحة الكتابة، والتعبير السليم شفهاً كان أو كتابياً، وإكساب الناشئة صحة الحكم، ودقة الملاحظة، وشحذ عقولهم على التفكير المنظم، وغرس بعض المفاهيم، والعمل على تكوين الاتجاهات من خلال الأساليب والنصوص التي يتفاعلون معها، تحقيقاً لوحدة اللغة، وإسهاماً في تكوين شخصيات الناشئة.

ومادامت القواعد ليست غاية حتى تصرف الجهود لتعلم التأويلات والتقديرات والاستثناءات فلتعلم من ثنانيا القراءة والنصوص، لأن اللغة أقدم من قواعدها، وأوسع من معاجمها، وهي ظاهرة طبيعية، ونظامها على ذلك يجب أن يكون بسيطاً غير معقد، والقواعد المعقدة تدل بتعقيدها على أنها غير طبيعية، وعلى أنها لم تكن في يوم من الأيام رائدة المتحدثين باللغة، ذلك لأن التعقيد يفقد القواعد فائدتها الأولى وهي هداية المتكلم إلى الصواب، فتصبح قيوداً وعقبات يتعثر فيها المتكلمون، فتعوقهم عن الانطلاق في التعبير.

٣- إن التيسير في تعليم النحو أمر مطلوب، ويتجلى التيسير في التركيز في ضوء مضمون البند السابق على المباحث النحوية الوظيفية التي تستعمل في الحياة في أساليب الكتاب المعاصرين والقدماء وكانت تواتراتها عالية، وعلى المباحث التي يستعملها الناشئة أيضاً ويرتكبون أخطاء في استخدام بعض مباحثها. ومعيار الوظيفية في المباحث النحوية هو الشيوخ والتواتر فما استعمل بكثرة عُدَّ وظيفياً، وما ندر استعماله يترك للمتخصصين، ولا يركز عليه في مناهج التعليم العام. ويمكن الاستئناس في هذا المجال بالدراسة التي

أنجزتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وعنوانها «تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي»^(١).

٤- وإن التيسير في طرائق تعليم النحو أمر مطلوب هو الآخر، ويتجلى ذلك في العمل على إكساب الناشئة في رياض الأطفال، والحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، بعض المهارات النحوية، من خلال محاكاة القوالب اللغوية والبنى والأنماط اللغوية، من غير الدخول في المصطلحات، كالتدريب على التطابق في استعمال كل من اسم الإشارة، والاسم الموصول، والضمير، وحالات الإفراد والثنية والجمع، والتذكير والتأنيث، والتدريب على إسناد الفعل إلى الضمائر، وعلى مواقف الاستفهام... الخ. وفي الحلقة الثانية من مرحلة التعليم الأساسي يصار إلى جعل المصطلحات اللغوية النحوية التي يجهل الناشئة أسماءها مألوفاً بالنسبة إليهم، لينتقل بعد ذلك في المراحل التالية إلى محاولة فهم وظائفها والعمليات العقلية التي تعبر عنها.

٥- وإن التيسير يتطلب أيضاً الانتقال في تعليم اللغة من اللاشعور إلى الشعور، ومن اللا إدراك إلى الإدراك: وغني عن البيان أن الطفل عندما يدخل إلى المدرسة يكون لديه رصيد لغوي كان قد اكتسبه بطريق المحاكاة لمن حوله، ويستعمل الطفل الكثير من التراكيب والأنماط اللغوية بصورة لاشعورية من المحيط الذي يتفاعل معه. وفي العملية التعليمية التعلمية تكون نقطة الانطلاق من الرصيد اللغوي للطفل على أن تكون مرحلة الانتقال من اللاشعور إلى الشعور متسمة بكل الأناة والتمهل والدقة، لأن إشعار الطفل أن ما يستخدمه هو العربية الفصيحة بشيء من التعديل الطفيف يبعث في نفسه الثقة، ويؤدي إلى سرعة اكتسابه للقوالب اللغوية الجديدة.

(١) الدكتور محمود أحمد السيد- تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم

العام في الوطن العربي- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم- تونس- ١٩٨٧.

وتجدر الإشارة إلى «أن المعبر بين اللاشعور إلى الشعور ومن اللا إدراك إلى الإدراك هو المستند الأول في تشكيل البنى اللغوية، والمستند الثاني هو العبور من المحسوس إلى المجرد»^(١).

إن الطريق الطبيعي في تعلم اللغة الأم يتمثل في رصد الصيغ والقوالب التي يتكلمها الأطفال على سجيبتهم وعفويتهم من غير تكلف. ومن خلال ملاحظة ذكية ومراقبة وتوجيه من المعلم يتم الانتقال من اللا إدراك إلى الإدراك، حيث يبين لهم دور تلك الكلمات في البنى والصيغ والوظائف العقلية التي تعبر عنها، على أن يكون هذا التبيين نابعاً من مجهودات التلاميذ أنفسهم. وعندها يكون ثمة اهتمام وشوق من قبلهم لتعرف أنماط لغتهم، وتراكيبها، وصيغها، وقوالبها المختلفة، مادامت تلك القوالب والصيغ والأنماط هي نفسها التي يستخدمونها مع بعض التعديلات في بعضها دون بعضها الآخر.

وإذا ما استخدمت هذه الطريقة في تعلم اللغة الأم زالت الفجوة التي يحس بها المتعلم إبان تعلمه للغته، فيقبل على تعلمها بكل نفس راضية.

٦- ويتمثل التيسير أيضاً في الابتعاد عن التقعر والتشدد في تعليم اللغة: للمعلم دور كبير في جذب الناشئة إلى محبة اللغة أو نفورهم منها، فإذا كانت طريقته طبيعية شائقة واختياره للمادة اللغوية ملبياً للحاجات والميول ومستثيراً للاهتمامات والرغبات، ويتوخى البساطة في التعبير، والوضوح في المعاني جذب ناشئته إلى تعلم اللغة، وإذا كان يجنح إلى التقعر في استخدام الغريب من الألفاظ والصيغ والقوالب، ويأتي بالاستثناءات، ويميل إلى المماحكات والتأويلات، نقر تلاميذه من اللغة. فلنكن - معشر المعلمين - طبيعيين في تعليم لغتنا ولنبتعد عن الشذوذ في القواعد

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - شؤون لغوية - دار الفكر بدمشق - ١٩٨٨.

والاستثناءات، ولنشعر أطفالنا أن اللغة التي يتكلمونها ويستخدمونها في التعبير عن حاجاتهم ومتطلباتهم واهتماماتهم إنما هي اللغة الفصيحة في أغلبها، ولنحترم تلك اللغة التي يستخدمونها كي يقودهم هذا الاحترام إلى احترامهم أنفسهم لما سيفعلونه فيما بعد، ولنبتعد عن نظرة الازدراء لما يستخدمه التلاميذ من أساليب، لأن في ذلك تثبيطاً لعزائمهم ووأداً لشوقهم، على أن نسبغ على تلك الأساليب طابع الفصاحة بكل رفق وأناة.

٧- التركيز في التدريبات العلاجية، وفي التمرينات التي تشتمل عليها الكتب المدرسية، على مكانن الخطأ في أساليب الناشئة، ولاسيما تلك الأساليب المتسربة إلى الفصيحة من العمومية مثل: إسناد الفعل المعتل إلى الضمائر، الأمر المعتل الوسط، أفراد الفعل أمام الفاعل المثني والجمع، تأنيث الفعل وتذكيره، الأفعال الخمسة في الرفع والنصب والجزم، إسناد الفعل إلى نون النسوة... الخ.

ويسري هذا التركيز على الاسم الصريح إفراداً وتثنية وجمعاً وفي حالات الرفع والنصب والجر، وذلك في المباحث التي تشتمل على الاسم الصريح مثل: الفاعل، نائب الفاعل، المبتدأ والخبر، اسم إن وخبرها، اسم كان وخبرها، المجرور بالحرف، المضاف إليه، المفعول به، الحال، النعت، البدل، التوكيد، المعطوف، الأسماء الخمسة... الخ.

ففي مبحث المفعول به على سبيل المثال يركز على حالات الاسم الصريح، من حيث نصبه بالفتحة عندما يكون اسماً مفرداً أو جمع تكسير، ونصبه بالكسرة بدلاً من الفتحة في حال جمع المؤنث السالم، ونصبه بالألف في حال الأسماء الخمسة، ونصبه بالياء في حالي المثني وجمع المذكر السالم.



مَرَجِعُ الْفَصْلِ

- ١- ابن خلدون- مقدمة ابن خلدون- دار إحياء التراث العربي- بيروت- د.ت.
- ٢- ابن قتيبة- تأويل مشكل القرآن- شرح وتحقيق السيد أحمد صقر- دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة ١٩٥٤.
- ٣- ابن مضاء القرطبي- الرد على النحاة- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ١٩٤٧.
- ٤- أبو جعفر النحاس النحوي- التفاحة في النحو- تحقيق كوركيس عواد- المجمع العلمي العراقي- بغداد ١٩٦٦.
- ٥- أحمد بن فارس- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية في كلامها- تحقيق الدكتور مصطفى الشويمي- مؤسسة أ. بدران- بيروت ١٩٦٤.
- ٦- الاتجاهات الحديثة في النحو العربي (مجموعة المحاضرات التي أقيمت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالمرحلة الإعدادية) يونيو ١٩٥٧- مطبعة دار المعارف بمصر- القاهرة ١٩٥٨.
- ٧- اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية- سجل ندوة الجزائر ١٩٧٦- ندوة تيسير تعليم اللغة العربية- القاهرة ١٩٧٧.
- ٨- أمين الخولي- هذا النحو!- مجلة كلية الآداب- نشر كلية الآداب بجامعة القاهرة، يوليو ١٩٤٤.
- ٩- خلف بن حيان الأحمر البصري- مقدمة في النحو- طبعة مديرية إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة السورية- دمشق ١٩٦١.
- ١٠- الدكتور شوقي ضيف- تجديد النحو- دار المعارف- القاهرة ١٩٨٢.

- ١١- الدكتور طه حسين - اللغة الفصحى وتعليم الشعب - مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - الجزء الأول - المجلد الثاني والثلاثون - ١٩٥٧ .
- ١٢- الدكتورة عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطئ» - لغتنا والحياة - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٧١ .
- ١٣- الدكتور عباس حسن - اللغة والنحو بين القديم والحديث - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٦ .
- ١٤- محمد سليم بركات - نظرات في تدريس القواعد النحوية - الدورة التدريبية للموجهين التربويين في الابتدائي - دمشق ١٩٧٥ .
- ١٥- الدكتور مراد كامل في مقدمة كتاب - اللغة العربية كائن حي لرجي زيدان - دار الهلال - القاهرة .
- ١٦- الدكتور محمد كامل حسين - العربية المعاصرة - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٧٥ .
- ١٧- الدكتور محمود أحمد السيد - تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس - ١٩٨٧ .
- ١٨- الدكتور محمود أحمد السيد - شؤون لغوية - دار الفكر بدمشق - دمشق ١٩٨٩ .
- ١٩- الدكتور محمود أحمد السيد - في الأداء اللغوي - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٥ .
- ٢٠- الدكتور محمود أحمد السيد - في طرائق تدريس اللغة العربية - منشورات جامعة دمشق - ٢٠٠٨ .
- ٢١- الدكتور مهدي المخزومي - في النحو العربي - منشورات المكتبة العصرية (صيدا - بيروت) ١٩٦٤ .
- ٢٢- وزارة المعارف المصرية - تقرير لجنة تيسير قواعد اللغة العربية - القاهرة - ١٩٣٨ .

الفصل السابع

ألمنحى الوظيفي في تعليم النحو

محتويات الفصل:

أولاً- وظائف اللغة

- | | |
|------------------------------|--------------------------|
| رؤية «سيبوك: Sebeok» | رؤية «هاليداي: Halliday» |
| ١- الوظيفة الانفعالية. | ١- الوظيفة النفعية. |
| ٢- الوظيفة التأثيرية. | ٢- الوظيفة التنظيمية. |
| ٣- الوظيفة النسبية. | ٣- الوظيفة التفاعلية. |
| ٤- الوظيفة الـ «ماورالغوية». | ٤- الوظيفة الشخصية. |
| ٥- الوظيفة الشعرية. | ٥- الوظيفة الاستكشافية. |
| ٦- الوظيفة الاستمرارية. | ٦- الوظيفة التخيلية. |
| | ٧- الوظيفة الرمزية. |
| | ٨- الوظيفة الإخبارية. |

ثانياً- الوظيفية في المجال اللغوي التربوي.

ثالثاً- الوظيفية في تعليم النحو.

الفصل السابع

ألمحى الوظيفي في تعليم النحو

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحاول في هذا الفصل أن نتعرف وظائف اللغة بصورة عامة، ثم نقف على الوظيفة في المجال اللغوي التربوي والوظيفية في تعليم النحو.

أولاً- وظائف اللغة

ثمة من حدد وظائف اللغة في ثلاث وظائف هي: التفكير والتواصل والتعبير، فاللغة هي وسيلة الفرد للتحكم في بيئته لأنها أداة التفكير وثمرته، وبها يعبر عن مشاعره وعواطفه وأفكاره، ويقضي حاجاته، وينفذ مطالبه، ويحقق مآربه في المجتمع الذي يحيا فيه، وبها تسهل عمليات التفاعل الاجتماعي والانصهار الفكري بين أبناء المجتمع والأمة، حتى إن المعاصرين من اللسانيين يتفقون على أن وظيفة اللغة تتمثل في تمتين العلاقة بين أفراد المجموعة البشرية.

وثمة من يرى أن هذه الوظائف هي التعبير والتعرف والنداء، ويتركز الاهتمام في الحالة الأولى على ترجمة انفعالات الفرد الناطق وحاجاته، وفي الحالة الثانية على إدراك الواقع، وفي الحالة الثالثة على التأثير في الآخرين.

وإذا كان «بوهلر Buhler» قد أبان أن وظائف اللغة هي الوظيفة الانفعالية، والوظيفة الندائية، والوظيفة المرجعية، ويقابل ذلك نموذج مثلث الزوايا الذي يمثل المتكلم أي المرسل، والمخاطب أي المستقبل، والغائب أي الشخص أو الحدث أو الشيء

الذي نتحدث عنه فإن «هاليداي Halliday» حدد وظائف اللغة في ثماني وظائف، وهي: ^(١)

١ - الوظيفة النفعية Instrumental function

وهي التي تسمح للغة لمستخدميها أن يشبعوا حاجاتهم، وأن يعبروا عن رغباتهم، وهي الوظيفة التي يطلق عليها (أنا أريد).

٢ - الوظيفة التنظيمية Regulatory function

وهي التي يستطيع الفرد من خلال اللغة أن يتحكم في سلوك الآخرين، والتي تعرف باسم وظيفة (افعل هذا، ولا تفعل كذا)، وهذا يعني أن للغة وظيفة الفعل.

٣ - الوظيفة التفاعلية Interpersonal function

وتستخدم اللغة في هذه الوظيفة عاملاً فعالاً في وجود التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، وهي الوظيفة التي يمكن أن نطلق عليها (أنا وأنت)، وتركز هذه الوظيفة على أن الإنسان كائن اجتماعي لا يستطيع التحرر من أسر جماعته، وتعد اللغة العنصر الأساسي في عملية الاندماج والتفاعل الاجتماعيين، وذلك من خلال استعمال اللغة للتنمية بأنواعها، وإظهار التأدب والتلطف في المناسبات الاجتماعية.

٤ - الوظيفة الشخصية Personal function

ويمكن للفرد أن يعبر عن مشاعره واتجاهاته نحو الموضوعات الكثيرة، ويمكن من خلالها أن يثبت هويته وكيانه الشخصي والتعبير عن أفكاره ومشاعره المختلفة من سعادة وفرح وحزن وغضب.. الخ.

(١) د حاتم علو الطائي - الوظيفة اللغوية والرمز اللغوي في الحياة الاجتماعية - الحضارية ٢٠٠٩ -

معهد الأبحاث والتنمية الحضارية.

٥ - الوظيفة الاستكشافية Heuristic function

وهي الوظيفة التي يبدأ الفرد باستخدامها لمعرفة البيئة المحيطة به وفهمها، ويطلق عليها الوظيفة الاستفهامية.

٦ - الوظيفة التخيلية Imagination function

وهي الوظيفة اللغوية التي يسمح بها للفرد بالهروب من الواقع الذي يعيش فيه.

٧ - الوظيفة الرمزية Symbolic function

وهي من الوظائف ذات الأهمية، ذلك لأن اللغة المكتوبة تمثل رموزاً إلى الموجودات في العالم الخارجي، فتنتقل التراث الشفوي من جيل إلى جيل وتحافظ عليه من الضياع من خلال تدوينه.

٨ - الوظيفة الإخبارية Information function

وينقل الفرد بها معلومات إلى الآخرين والأجيال المتعاقبة.

ولقد حدّد «رومان جاكبسون Roman Jakobson» لغة أربع وظائف هي: الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية، والوظيفة الندائية، والوظيفة المرجعية، والوظيفة الاستمرارية^(١)، في حين أن Sebeok حددها في ست وظائف هي:^(٢)

١ - وظيفة انفعالية Emotion

تعبر عن المشاعر الداخلية للمتكلم أو الكاتب من خلال الكلمات التي يستعملها أو التنغيمات التي يسبقها على صوته في حال الكلام الشفاهي.

(١) ميشال زكريا- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام- المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر والتوزيع- بيروت ١٩٨٣ ص ٦٠.

(2) Sebeok, T.A- Style in language, wiley and san.N.Y 1960 p350-314.

٢- وظيفة تأثيرية Conative

هدفها إنتاج سلوك معين في المخاطب، أي جعله يتصرف بصورة متوقعة منه، أو نريده أن يقوم بها.

٣- وظيفة نسبية Referential

وترتبط بالطريقة أو الأسلوب الذي يشار به إلى الأشياء من خلال الصياغات اللغوية المستعملة.

٤- وظيفة ماورا لغوية Metalingual

وتعنى بما بعد القول من حيث مطابقة الكلام للقانون اللغوي مبنى ومعنى، ومطابقة الأسماء لمدلولاتها، وكيفية تلقي السامعين للكلام، وإدراك ما وراء السطور وعدم الاقتصار على ما بينها.

٥- وظيفة شعرية Poetic

وهي تتعلق بالرسالة الكلامية وحدها ولذاتها في جمالها وأثرها في نفس المتكلم وبنائها وجرسها الموسيقي المصور للشعور الإنساني.

٦- وظيفة استمرارية Phatic

وهي تختص بالإبقاء على الصلة مستمرة بين المتكلم والمستمع، كما يظهر بالأصوات غير ذوات المعاني أحياناً (آه...أيوه...).

تلك هي أبرز وظائف اللغة كما أشار إليها عدد من الباحثين، وتجدر الإشارة إلى أن اللغة، على أنها نظام من الرموز، تحقق وظيفتين متكاملتين، أولاهما الوظيفة الاتصالية حيث تعمل اللغة وسيطاً للتفاعل بين الأفراد ونقل المعلومات واستقبالها، وثانيتهما الوظيفة التجريدية حيث تعمل اللغة وسيطاً لتكوين الأفكار التي تجرد الواقع وتختزله في شكل رموز، تمكن الإنسان من فهمه وضبطه بدرجة أكبر، وبتعبير آخر تتحدد وظيفتنا

اللغة بالاتصال والتعميم، وما يقوم بين هاتين الوظيفتين من تفاعل يغني دور اللغة في حياتنا^(١).

وإذا كانت الوظيفة الاتصالية للغة تتجلى في استقبال الرسائل اللغوية، ونقلها، والاحتفاظ بها، والتأثير في الآخرين والأحداث الخارجية، وتوجيه هؤلاء الآخرين وتلك الأحداث، والتأثير في العمليات الفسيولوجية داخل الجسم، وتعديلها، والتوصل إلى اشتقاق نتائج جديدة في ضوء المعلومات المتاحة، ومن ثم إعادة بناء الأحداث الماضية والتنبؤ بالمستقبل بمقتضاها فإن الوظيفة الاتصالية للغة ليست بالأمر السهل، فالحدث اللغوي الذي يتم بين شخص وآخر، بين مرسل ومستقبل، أي بين متكلم ومستمع، أو كاتب وقارئ، هو نظام معقد، كما أن مراعاة المستقبل في تقديم المادة اللغوية في ضوء مستواه العقلي ورصيده اللغوي وخبرته السابقة من الأمور الجديرة بالاهتمام في العملية التعليمية التعليمية. ومن هنا كان التركيز على الجانب الوظيفي في تعليم اللغة وتعلمها، وهذا ما سنعرض له في الصفحات التالية. وهذا ما دعا إلى الوقوف على الوظيفة في المجال اللغوي التربوي.

ثانياً. الوظيفة في المجال اللغوي التربوي

تمتد جذور الوظيفة إلى زمن بعيد، فهي قديمة قدم الفكر الاجتماعي، إذ رأى كونفوشيوس أن وظيفة الدين والطقوس الدينية هي تأكيد أهمية العلاقات الاجتماعية وتنظيمها وتحديد طريقة المعاملات بين البشر، وعبر أفلاطون عنها من خلال مماثلات قام بها بين قوى النفس العاقلة والغازبة والشهوية وبين طبقات المجتمع، وحدد لكل طبقة

(١) ل. فيجوتسكي - التفكير واللغة - ترجمة الدكتور طلعت منصور - القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية

منها وظيفة على غرار وظائف قوى النفس المذكورة، فطبقة الحكام تحكم، وطبقة الجند تحارب، وطبقة العمال تعمل^(١).

ويعد «اميل دوركهايم» الأب الشرعي للوظيفية في علم الاجتماع فهو من أهم أعلام المدرسة الوظيفية البارزين في علم الاجتماع، إذ أكد دراسة النظم الاجتماعية (الاقتصادية والدينية والقانونية) بوصفها جزءاً من النسق الاجتماعي الذي تتم المحافظة عليه من خلال أدائها لوظائفها^(٢).

أما في المجال اللغوي التربوي فقد تغيرت النظرة إلى اللغة، فبعد أن كان ينظر إليها على أنها مجموعة من الحقائق والأحكام والقواعد ينبغي أن تُعلّم، وما على المعلم إلا أن يلقنها للمتعلم تلقيناً، وما على المتعلم إلا أن يحفظها ويستظهرها عن ظهر قلب، ويقدر حفظه لها يعد متمكناً من اللغة، أصبح ينظر إليها على أنها مجموعة من المهارات على المتعلم اكتسابها، وعلى المعلم أن يساعد المتعلم في هذا الاكتساب. وهذه المهارات تتمثل في المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة، واستيعب ذلك النظرة إلى وظيفية اللغة واستعمالها في الحياة اليومية، والوقوف على أي المهارات أكثر شيوعاً وانتشاراً وتواتراً في مواقف الحياة ليركز عليها في المناهج التعليمية.

ومن هنا اتجه تعليم اللغة إلى الوظيفية والنفعية الاجتماعية، إذ لا فائدة من تعلم أي مادة إذا لم يكن لها نفع اجتماعي وفائدة للمتعلم في تفاعله مع المجتمع الذي يحيا فيه. ولما كانت اللغة تؤدي وظيفتين أساسيتين للفرد وهما التعبير والتواصل، حتى إن بعض المربين يرون أن التعبير ما هو إلا ضرب من التواصل أيضاً، اتجهت الدراسات في بعض الدول

(١) ماجد علم أبو حمدان - الوظيفية - الموسوعة العربية برئاسة الجمهورية - المجلد الثاني والعشرون -

الطبعة الأولى - دمشق ٢٠٠٨ ص ٢٨١.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٢.

المتقدمة إلى إجراء مسح لمواقف النشاط اللغوي بغية معرفة أي هذه المواقف أكثر استعمالاً في مواقف الحياة.

وكان الهدف من ذلك هو بناء المناهج اللغوية على تلك المواقف الحية حتى يحس المتعلم أن المادة التي يتفاعل معها تستثير دوافعه، وترضي اهتماماته، وتلبي حاجاته، وتؤمن له متطلباته، فيقبل عليها بشوق ورغبة.

وأسفرت البحوث العلمية التي أنجزت في هذا المجال في أمريكا عن أن ثمة تسعة مراكز وظيفية في الحياة هي: المحادثة، المناقشة الرسمية، المناقشة الجماعية، كتابة المذكرات، كتابة التقارير، كتابة الرسائل، إلقاء الكلمات في المناسبات المختلفة، قص القصص، توجيه التعليقات والإرشادات والتفسيرات⁽¹⁾.

وفي ضوء هذا التوجه استعمل مصطلح «التعبير الوظيفي» ومصطلح «النحو الوظيفي»، وقصد بالتعبير الوظيفي ذلك التعبير الذي يؤدي خدمة للإنسان في تفاعله مع مجتمعه، فيقضي حاجاته، وينفذ مطالبه بالتفاهم مع بني جنسه عبر الكلمة المنطوقة والمكتوبة، أي عبر التعبير الشفاهي والكتابي، كما قصد بالنحو الوظيفي أساسيات النحو التي ينبغي للمتعلم أن يزود بها لتساعده على فهم ما يستمع إليه وتمثله، وعلى القراءة فيقرأ بفهم قراءة صحيحة، وعلى التعبير فيعبر إن شفاهياً أو كتابياً عن فكره ومطالبه بلغة سليمة.

ولقد أدرك المربون أن اكتساب المتعلم للخبرة لا يتم عن طريق تلقي المعلومات وصبها في العقول، وإنما بطريق التعامل مع البيئة، إذ إن هناك دوافع تدفع الإنسان إلى التفاعل مع بيئته الاجتماعية والاحتكاك بها كي يقضي حاجاته وينال مآربه.

(1) R.L.Lyman. Summary of investigations relation to grammar language, and composition, Supplementary educational monographs. Chicago- Lllinois.p132.

ولهذا توجهت التربية الحديثة إلى نقل مركز الاهتمام في العملية التعليمية التعليمية من المادة إلى التلميذ، بحيث تنظم المادة الدراسية تنظيمًا نفسيًا (سيكولوجيًا)، يراعي اهتمامات المتعلم وحاجاته واستعداداته ومقتضيات بيئته وحياته.

وهذا المنحى لا يقلل من أهمية المادة، وإنما يأخذ منها القدر المناسب، ويقدمه إلى التلاميذ في الوقت المناسب وبالطريقة المناسبة، وبذلك يجعل من دراسة المادة والاستفادة من خبرات السابقين وسيلة للحياة والنمو بما يتفق الاتفاق كله مع مبادئ التعلم النفسية (السيكولوجية).

أما القدر المناسب الذي يؤخذ من المادة فقد رئي أن يقتصر على أساسياتها، ذلك لأن أساسيات المادة تعد نافعة في معظم المواقف التي يتعرض لها الفرد في تفاعله مع بيئته. وهذه الأساسيات ينبغي أن ترتبط على نحو واضح بمطالب نمو التلميذ وبالمبادئ الاجتماعية وواقع المجتمع وظروفه حتى يمكن للمتعلم أن يدرك أهميتها في حياته وحياته مجتمعه.

ثالثاً- الوظيفة في تعليم النحو

غيرت النظرة إلى النحو إن في اللغات الأوربية أو في لغتنا العربية، فقد رأى علماء اللغة في الغرب في النصف الأول من القرن الماضي عدم صلاح القواعد التقليدية للغات الأوربية الحديثة، إذ إن القواعد التقليدية مبنية في الأساس على قواعد اللغتين اليونانية واللاتينية، وكلتاها لغتان معربتان تختلفان اختلافًا واضحاً عن اللغات الحديثة التي تخلصت من بعض مظاهر الإعراب، وأصبحت تعتمد على وسائل آخر للتعبير عن التغيرات الصرفية في الكلمة أو العلامات النحوية بين الكلمات في الجملة، الأمر الذي دعا إلى أن يكتشف هؤلاء قواعد لغاتهم من جديد غير متأثرين بالقواعد السابقة.

وكان ثمة تأثير بالمدرسة السلوكية في علم النفس التي كانت تقصر دراستها على المظاهر الخارجية للسلوك البشري، فجاءت دراسة اللغويين للغاتهم الحديثة وصفية ومبنية

على الكلام الذي يستعمله الناس فعلاً، لا معيارية، تضع القواعد لما يجب أن تكون عليه اللغة بناء على نصوص مكتوبة منذ مئات السنين.

وثمة تأثير آخر تمثل في دراسة لغات الهندود الحمر التي لم تكتب قط، ولم تكن قواعدها معروفة، فكان ذلك حافزاً للدارسين على استنباط منهج علمي لوصف تلك اللغات وتقعيد قوانينها، وقد وجدوا في ذلك المنهج أداة صالحة لدراسة اللغة الإنجليزية الحديثة لاستنباط القواعد التي تقوم عليها.

وفي ضوء العوامل التي تأثر بها اللغويون المعاصرون في الغرب تبوأَت اللغة المنطوقة أهمية في العصر الحالي لدى اللسانيين المعاصرين، إذ لم تعد اللغة المكتوبة هي الموثل والأساس، ولم تعد القواعد المعيارية هي التي تتحكم، بل أصبح ينظر إلى اللغة في وضعها القائم حالياً لمعرفة الضوابط التي تحكمها، كما أن نظرة القداسة إلى اللغات القديمة تغيرت هي الأخرى، وغدا التركيز على الاستعمال في مواقف الحياة والوظيفة التواصلية والسياق الاجتماعي للغة هو ما يميز نظرية «القواعد الوظيفية» عن باقي النظريات التي تركز على المقاربة الشكلية للقواعد النحوية، في حين أن الوظيفية في النحو تقتصر على تقديم المباحث النحوية الأساسية التي تساعد المتعلم على التفاعل الإيجابي في المجتمع قضاءً لحاجاته وإرضاء لميوله واهتماماته.

ولم يكن التوجه إلى المنحى الوظيفي في تعليم النحو العربي وليد عصرنا الحاضر، فقد دعا إليه الجاحظ من قبل في إحدى رسائله عندما أشار إلى أن الإكثار من النحو وتدرسه لذاته إنما هو مضيعة للوقت ومشغلة عما هو - يعني الصبي - أولى به من رواية المثل والشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع.

وفي الأندلس دعا ابن مضاء القرطبي في كتابه «الرد على النحاة»^(١) إلى أن يحذف من

(١) ابن مضاء القرطبي - الرد على النحاة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٧.

النحو كل ما يستغني الإنسان عنه في معرفة نطق العرب بلغتهم، فأحوال أواخر الكلام كأحوال أوائله لغوية بسيطة لا تحتاج معرفتها إلى عسر في الفهم ولا إلى بعد في التأويل، فدعا إلى إلغاء نظرية العامل والعلل الثواني والثلاث والتقدير.

وألّفينا أن ثمة محاولات عملية في تراثنا العربي تجلت - فيما بعلم - في «مقدمة في النحو»^(١). لخلف بن حيان الأحمر البصري و«التفاحة في النحو»^(٢) لأبي جعفر النحاس النحوي، حيث ضمن كل منهما كتيبه المباحث النحوية التي يرى وجوب إلمام المتعلم بها بغية الفهم والتعبير السليمين في منأى عن التطويل والاستثناءات.

وفي العصر الحديث تتكرر الدعوة نفسها إلى تخلص القواعد النحوية من التأويلات والتقديرات والموضوعات غير الوظيفية، والإبقاء على النحو الوظيفي الذي يفيد المتعلم في عملية التواصل اللغوي. ومن هذه الدعوات النظرية دعوة الأستاذ أمين الخولي إلى العودة إلى الأصول التي استخرج منها النحاة القواعد، مع الأخذ بالحسبان تقليل الاستثناء واضطراب القواعد، واختيار ما هو بسبب من لغة الحياة والاستعمال عندنا^(٣).

ووجه الدكتور إبراهيم مذكور الأنظار إلى موضوع اختيار المباحث النحوية في ضوء معايير إذ يقول: «ولكي تستكمل العربية أسباب انتشارها، وتتوفر لها شرائط اللغة العالمية ينبغي أن نتخير من قواعد اللغة المطرد وما يسهل حفظه، وأصبحنا نؤمن

(١) خلف بن حيان الأحمر البصري - مقدمة في النحو - طبعة مديرية إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة السورية - دمشق ١٩٦١.

(٢) أبو جعفر النحاس النحوي - التفاحة في النحو - تحقيق كوركيس عواد - مطبعة المجمع العلمي العربي ببغداد - ١٩٦٦.

(٣) أمين الخولي - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - دار المعرفة - القاهرة ١٩٦١ ص ٤٥.

بأن النحو لغير المتخصصين ليس علماً يقصد لذاته، وإنما هو وسيلة من وسائل تقويم القلم واللسان»^(١).

ورأى الدكتور صبحي الصالح أن أجل خدمة نؤديها للغة الضاد هي «وضع كتب في القواعد واللغة يراعى فيها الوضوح والتبسيط والتيسير، وأن ثمة خطوة عملية لابد أن تسبق ذلك الصنيع وهو الاتفاق على صوغ المقاييس التي تحدد ما ينبغي الحفاظ عليه من القواعد والضوابط في الألفاظ والتراكيب»^(٢).

وطالما تردد في الندوات والمؤتمرات التي عقدت لمعالجة تعليم النحو ضرورة مراعاة منهج النحو التعليمي لحاجات المتعلمين وميولهم، وقد يسأل سائل: ما العلاقة بين حاجات المتعلمين وميولهم ومنهج النحو؟ ومن ثم ما المطالب اللغوية النحوية التي تعد أساساً في بناء منهج النحو؟

في الواقع لابد من الأخذ بالحسبان أن على منهج النحو أن يهتم بالحاجات على أنها دوافع للتعلم، فالمتعلم يحس بالحاجة إلى إتقان اللغة وتعلم أساليبها بصورة صحيحة، والتعبير اللغوي يندفع إليه بطبيعته عندما يكون مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بخبراته الشخصية، ويساعده على قضاء حاجاته النفسية.

ونظراً لما تتسم به القواعد النحوية من جفاف فقد يبدو للوهلة الأولى أنها بعيدة بطبيعتها عن حاجات المتعلمين واهتماماتهم، إلا أن النظر الدقيق يدل على فساد هذه الفكرة. فمن الواضح أن التلاميذ يمرون في داخل المدرسة وخارجها بكثير من مواقف

(١) الدكتور إبراهيم مذكور - محاضرة بعنوان «العربية بين اللغات العالمية الكبرى» - جامعة بيروت العربية - بيروت - نيسان «أبريل» ١٩٧٣ ص ١١.

(٢) الدكتور صبحي الصالح - مقدمة كتاب «النحو العربي: نقد وبناء» للدكتور إبراهيم السامرائي - دار الصادق بيروت ١٩٦٨ ص ٦.

الحياة التي تتطلب منهم الفهم والإفهام، وتشعرهم بالحاجة إلى إتقان الاستعمالات اللغوية المتكررة والمختلفة، إلا أنهم يقعون في كثير من الأخطاء اللغوية في أثناء التعبير، وهذه الأخطاء ليست إلا تعبيراً عن حاجتهم إلى تعلم الأساليب الصحيحة.

وعلى منهج النحو أن يهتم بميول التلاميذ نحو تعلم الأسلوب السليم، إذ ما من شك في أن كل تلميذ يميل إلى أن تكون قراءته صحيحة وتعبيره سليماً، فإذا تمكن المنهج من اتخاذ ميول التلاميذ دوافع واستثارها وتنميتها هدفاً نحو تعلم القواعد على أنها السبيل إلى القراءة الصحيحة والتعبير السليم فقد أسهم إسهاماً فعالاً في تحقيق الأهداف المرسومة لتعليم اللغة.

ومن هنا كان على منهج النحو أن يتعرف أساليب التلاميذ وتعبيراتهم لربط القواعد بها، بحيث يحس هؤلاء التلاميذ أن ما يتعلمونه من القواعد يخدمهم في صحة أساليبهم واستقامة تعبيراتهم، ذلك لأن من أهم الأسباب التي قد تؤدي إلى نقص ميل التلميذ نحو الدراسة هو أنه لا يجد سبباً لدراسة مادة ما، أو أنه يحس بأنه ليس في حاجة إليها.

ودراسة القواعد النحوية لا توصل إلى هدف مباشر يحس به التلاميذ كإحساسهم بالأهداف المباشرة للمواد العملية مثل الرسم والأشغال والعلوم، ولكن إذا ربطت قواعد اللغة بأساليب التعبير اليومي وخبرات الناشئة ربطاً محكماً ففي هذه الحالة يمكن أن يشعر المعلم تلاميذه بأن للقواعد هدفاً يحسونه.

وثمة دراسة أشارت إلى أن من أسباب كراهية التلاميذ لمواد الدراسة وموضوعاتها هو بعد المناهج عن حياتهم، وعدم وضوح الفائدة التي يمكن تحقيقها من دراستها^(١).

وهذا ما دفع بعضهم إلى القول إنه قد يكون من المفيد في صدد البحث في الأساليب

(١) الدكتور الدمرداش سرحان - تلاميذ المدارس الثانوية أمانتهم وميولهم ومشكلاتهم - دار الكتاب

العربي - القاهرة - ص ١١٨ .

العادية والاستخدامات اللغوية المتكررة إجراء البحوث العلمية لتحديد الموضوعات النحوية التي تؤدي وظائف لغوية ضرورية في حياة الأفراد، وتحديد شائع الأخطاء فيما يدور على ألسنة التلاميذ حتى يمكن أن نتبين اختيار القواعد وتقرير دراستها وتنظيم موضوعاتها على أساس من وظيفتها الحيوية وإشباع حاجات التلاميذ ورعاية نفسياتهم (سيكولوجيتهم) في تعاملهم اللغوي مع أبناء مجتمعهم^(١).

وإذا بحثنا عن الطريقة التي تحدد في ضوءها الموضوعات النحوية التي تؤدي وظائف لغوية في حياة التلاميذ ألفينا أنها كانت تتمثل في تأليف لجان من المتخصصين في المادة، وكان هؤلاء المتخصصون في بادئ الأمر حريصين على ألا يغيروا في موضوعات المادة النحوية، بل كانوا يتقيدون بأصول اللغة وقواعدها على الحد الذي رسمه الأوائل، وهذا ما دفع بعضهم إلى القول: «إننا لا نزال نعيش على ما خلفه علماء النحو والصرف والبلاغة الأقدمون، وعندما يدعي بعضنا التجديد لا يعدو في الحقيقة التطريز على ثوب خلق، حتى أصبحنا أشبه بمن يرقص في السلاسل، وكم يذكرني سادتنا الباحثون في اللغة بفقير يصرف قرشاً إلى ملمييات ليقرقع بها!»^(٢).

وهذا الأسلوب المتبع يؤدي إلى فرض كثير من الموضوعات النحوية التي يرى المتخصصون أنها لازمة للمتعلمين في حياتهم المستقبلية بغض النظر عن حاضريهم، في حين أن الإعداد للمستقبل لا يمكن أن يكون بإهمال الحاضر، الأمر الذي يجعل هذا المنحى لا يراعي مبدأ استمرار الخبرة في مراعاة الحاضر والمستقبل معاً.

(١) الدكتور حسين سليمان قورة - تعليم اللغة العربية - دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٩٠ ص ٢٥٤.

(٢) الدكتور محمد مندور في مقدمة كتاب «منهج البحث في الأدب واللغة» لانسون ماتيه - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٤٦ ص ١٢.

والواقع أن عمل هؤلاء المتخصصين في اللجان التي تضع المناهج كان يقوم على الخبرة الذاتية لأعضائها حيث يرى بعضهم أن مبحث العدد المركب صعب فيقترح الاستغناء عنه، أو نقله من صف إلى آخر.

وتجدر الإشارة إلى أن الموضوعات النحوية التي تقررها اللجان المتخصصة قد لا تراعي الاستعدادات العقلية لبعض المتعلمين، في حين أن الذين تتفق استعداداتهم وميولهم مع المادة المقدمة لهم يتمكنون من التعلم. أما غيرهم فيتعلمون بقدر ملاءمة استعداداتهم وميولهم لهذه المادة، وهذا ما يجعل دراسة المادة جافة في أكثر الأحيان، ويحول دون إقبال المتعلمين عليها، أو اهتمامهم بها، ولا يهيئ الظروف المناسبة لعملية التعلم الفعال، ويكون خطراً على النمو السليم للشخصية لأنه يضع كثيراً من التلاميذ في مواقف قد لا يسمح لهم مستوى نضجهم مقابلتها، وهذا ما يجعلهم يقومون بأعمال لا معنى لها في نظرهم، كما أن تذكروهم للمادة الجامدة التي يفرضها عليهم الكبار لا يؤدي إلى تعلم وظيفي، ذلك لأن تقديم المادة في ضوء هذا المنحى لا يعمل على تكوين الخبرة المربية بسبب كون المعلم إيجابياً من طرف والتلميذ سلبياً من طرف آخر، ولا يمكن للمتعلم أن يكتسب الخبرة إلا إذا كان إيجابياً نشطاً.

ومن الملاحظ أن كثيراً من التلاميذ يتعودون حفظ كثير من القواعد، وترديد كثير من العبارات اللفظية دون أن يكون وراءها معنى حقيقي لديهم.

وطالما رددنا في إعراب «إذا» من أدوات الشرط غير الجازمة، و«ما» التعجبية

العبارات التالية:

إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان يتضمن معنى الشرط خافض لشرطه متعلق بجوابه.

ما التعجبية: نكرة تامة بمعنى شيء، مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. والفعل

بعدها فعل ماضٍ لإنشاء التعجب، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً على خلاف الأصل

تقديره «هو».

ولم نكن ندرك معاني «خافض لشرطه متعلق بجوابه» ولا معاني «الفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً على خلاف الأصل»، ولا معاني «نكرة تامة بمعنى شيء... الخ». وفي ضوء المنحى الوظيفي في تعليم النحو اعتمدت عدة وسائل في تيسير مناهج القواعد النحوية في النصف الثاني من القرن العشرين، ومن هذه الوسائل:

- ١- العمل على إلغاء موضوعات أو أجزاء من موضوعات لا يحتاج إليها التلاميذ في تقويم ألسنتهم من وجهة نظر أعضاء لجان وضع مناهج القواعد النحوية، ومن أمثلة ذلك المبنيات بجميع أنواعها، فقد اصطلح النحاة على أن الكلمة التي لا يتغير آخرها بتغير التركيب تسمى مبنية كالأفعال الماضية والأفعال الأمرية، والفعل المضارع في بعض حالاته وكأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضمائر... الخ
- ٢- إلغاء الإعراب التقديري والمحلي في المفردات والجمل لأنه لا أثر له في سلامة النطق ولا في إفهام المعنى، فلا حاجة بنا إلى أن نشغل به أوقات التلاميذ والمعلمين.
- ٣- التخفيف من عمل الأدوات، فإنه لا فائدة من دراسته كما رأى بعضهم، ولعل أول ما بدئ به هو عدم الإشارة إلى أن «أن» تضمير وجوباً أو جوازاً، وإلى أنها هي التي تنصب الفعل المضارع الواقع بعد لام الجحود أو لام التعليل أو حتى أو فاء السببية، فإن العرب نطقوا هذه الأساليب كما وصلت إلينا في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي الشريف.

- ٤- جعل علامات الإعراب كلها أصلية، فالألف علامة رفع المثنى ولا تنوب عن الضمة، والياء علامة نصب جمع المذكر السالم ولا تنوب عن الفتحة، والواو علامة رفع في جمع المذكر السالم ولا تنوب عن الضمة... الخ.
- ٥- التكملة وهي كل ما يذكر في الكلام، وليس ركناً أساسياً في الجملة، وهي منصوبة دائماً ما لم تكن مضافاً إليها أو مسبوقه بحرف جر.

٦- الأساليب: على أن ندرس مباحثها من غير تعرض لتفاصيل إعرابية يعسر على التلاميذ معرفتها ومنها صيغ التعجب والإغراء والتحذير والمدح والذم والاختصاص... الخ^(١).

وفي ضوء المنحى الوظيفي في تعليم النحو أيضاً كانت ثمة محاولات لإخراج كتب تشتمل على المباحث النحوية التي يرى مؤلفوها أنها هي التي لا بد من التركيز عليها في العملية التعليمية التعلمية لتساعد المتعلم في اكتساب اللغة السليمة.

ومن الكتب التي ظهرت في هذا المجال في النصف الثاني من قرننا الماضي «النحو الوظيفي لعبد العليم إبراهيم، وقواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية لحفني ناصف وآخرين، والنحو الواضح في قواعد اللغة العربية لعلي الجارم ومصطفى أمين، وأساسيات القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً لمحمود أحمد السيد، والكفاف ليوسف الصيداوي... الخ»^(٢).

وإذا كان «الكفاف» من الكتب الأخيرة زمنياً التي تم الاطلاع عليها فيجدر بنا أن نقف على منهجية تأليف هذا الكتاب بغية تقديم لمحة موجزة عن المسار الذي سلكه المؤلف في إنجاز كتابه.

(١) الاتجاهات الحديثة في النحو العربي (مجموعة المحاضرات التي أُلقيت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالقاهرة - دار المعارف بمصر ١٩٥٨ ص ٦٤-٧٦.

(٢) - عبد العليم إبراهيم - النحو الوظيفي - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٩.

- حفني ناصف وآخرون - كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية - القاهرة ١٩٥٦.

- علي الجارم ومصطفى أمين - النحو الواضح في قواعد اللغة العربية - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة والعشرون ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م.

- محمود أحمد السيد - أساسيات القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً - دار دمشق - ١٩٨٧.

- يوسف الصيداوي - الكفاف - دار الفكر بدمشق - ١٩٩٩.

لقد اختار المؤلف «الكفاف» عنواناً لكتابه الذي يقع في جزأين، انطلاقاً من رؤية أن كتابه الذي يضم قواعد اللغة العربية قد صيغت صوغاً جديداً إلى اللين أقرب وإلى الإيجاز أدنى لتكون أثبت في ذهن المتعلم وأرسخ في نفسه، وقد طابق محتوى الكتاب في نظره عنوانه فلا ينقص عن الحقيقة اللغوية ولا يزيد عليها انطلاقاً من قول الأبيرد اللغوي:

ألا ليت حظي من غدانة أنه يكون كفافاً لا عليّ ولا لي

ولقد رتب المؤلف مباحث كتابه ترتيباً معجمياً، وأتبع كل مبحث منها بنماذج مستعملة في فصيح من الكلام بليغ، ووضع مقدمة لكتابه عنوانها «بين يدي الكتاب» تضمنت أن النحو شيء والقواعد شيء آخر، وأنه ليس كل عالم معلماً، وأن النحو لا يعلم اللغة، ومرد ذلك في نظره إلى أن القاعدة قانون لغوي، وأما النحو فهو صولان الفكر وجولانه في القاعدة وإعمال العقل والرأي فيها، فالنحو إذاً ليس هو القاعدة وإن كان يشملها، والقواعد رصد لما قالته العرب وتبيان له وصوغ لأحكامه، وأما النحو فإعمال للعقل في جميع ذلك كله. والرحلة العقلية قد تطول وقد تقصر، وأما القاعدة فهي هي. ومن هنا فالقواعد شيء والنحو شيء آخر، والقواعد تنطلق من «هكذا قالت العرب»، وتقف عند «هذا لم تقله العرب». وأما النحو فجولان فكري في هذه القواعد، والتفكير في لا شيء ليس هو الشيء^(١).

وكتاب «الكفاف» ليس موجزاً لقواعد اللغة، بل هو قواعد اللغة ذاتها تامة غير منقوصة، وما يراه القارئ من صوغ معظم بحوثه في كلمات وأحياناً في كلييات ما هو إلا حصيلة صوغ القاعدة صوغاً يغني فيه قليل اللفظ عن كثيره، واستخلاص القاعدة مما يشينها من تزاحم آراء النحاة.

والواقع أن المحاولات التي بذلت من قبل تعكس انطباعات المؤلفين نتيجة التجارب والممارسات التعليمية التي مروا بها، والتي تعبر بصورة أو بأخرى، وبدرجة ما من الصدق عن بعض الجوانب الموضوعية في مشكلة تعليم النحو.

(١) يوسف الصيداوي - الكفاف - المرجع السابق.

بيد أن عصرنا، عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، لم يعد يحتمل استمرار الاعتماد على الانطباعات الذاتية أو الاجتهادات الشخصية دون أن يدعمها بالملاحظة الموضوعية والبحث العلمي الجاد الأصيل.

ولما كان التعبير يعد من أهم المواقف في عملية التواصل اللغوي فقد اتجهت الأنظار إليه كي يكون موضع الدراسة العلمية في تعرف المطالب اللغوية النحوية للمتعلمين، بطريق تعرف مكوناته شفاهياً كان أو كتابياً من المباحث النحوية، ثم تعرف الأخطاء التي يقع فيها المتعلمون في التعبير بنوعيه، على أنه لا يمكن الاقتصار على تعبيرات المتعلمين وأخطائهم وحدها في الوقوف على المباحث النحوية التي يتضمنها منهج تعليم النحو، إذ لا بد من تعرف تلك المباحث التي تشيع في ثقافة المجتمع كي يتزود المتعلمون بها أيضاً بغية فهم ما يتفاعلون معه من ضروب المعرفة الإنسانية في ميادينها المختلفة.

إن الاعتماد على المطالب اللغوية للمتعلمين دون النظر إلى مطالب المجتمع يعد عملاً ناقصاً، إذ قد تكون هناك ثغرات وفجوات، فقد تكون المطالب اللغوية للمتعلمين محدودة وضيقة ولا تكفي وحدها في تزويد المتعلمين بما يساعدهم في الحياة الاجتماعية التي سيسهمون فيها فيما بعد، إذ قد يحتاج المتعلم كي يفهم ثقافة مجتمعه إلى مباحث نحوية قد لا يشعر بضرورتها حالياً، ولا يهتم بها، ولكن تبدو قيمتها وتوضح أهميتها فيما بعد.

كما أن الاعتماد على متطلبات المجتمع والعصر دون الأخذ في الحسبان مستوى المتعلمين وميولهم وحاجاتهم يعد عملاً تعسفياً لا يحقق الأهداف المثلى من التربية في تفاعل المتعلم مع المجتمع، ذلك لأنه لا يقوم على واقع المتعلمين أنفسهم، وقد يفرض عليهم مباحث ربما لا يؤهلهم مستوى نضجهم لتقبلها، وهذا يؤدي إلى بعثرة الجهود وضياح الفائدة من التعلم.

لهذه الاعتبارات كافة كان على منهج النحو التعليمي الوظيفي أن يشتمل على

أساسيات المادة النحوية بطريق تعرف مطالب المتعلمين من خلال تعبيراتهم شفوية كانت أو كتابية بحثاً عن المباحث النحوية التي يستعملونها في تلك التعبيرات، هذا من جهة، ومن جهة ثانية تعرف الأخطاء النحوية التي يقعون فيها.

كما يشتمل على المباحث النحوية التي يستعملها الكتاب المعاصرون في مختلف ميادين المعرفة وتعرف الاستعمالات النحوية التي يمارسها الكبار العاملون في مختلف قطاعات المجتمع، وتعرف الصعوبات اللغوية التي تعترض هؤلاء العاملين في مواقف النشاط اللغوي.

وقد يقول قائل: أليس ثمة تناقض بين حاجات المتعلمين وحاجات المجتمع؟ والواقع أن النظرة الشاملة لتلك الجوانب مجتمعة كقيلة بتخطي الفجوات والثغرات التي قد تظهر هنا وهناك، فإذا ظهر مثلاً تناقض بين موقع المتعلمين العقلي في مستواهم في النحو من جهة، والمستوى المرتقب الذي نطمح إليه في المجتمع والعصر، كان الحل بكل بساطة يكمن في البدء بموقع المتعلمين وصولاً إلى الهدف المطلوب، فإنكار الموقع الفعلي الحالي للمتعلمين معناه أننا انسلخنا عن الواقع، ولم تعد ثمة فائدة فيما نصل إليه لأننا لن نصل بمتعلمينا إليه.

كما أن البدء بواقع المتعلمين وميولهم الحالية من أجل هدف غير محدد لا على أساس المادة وتطورها العالمي، ولا على أساس المجتمع ومتطلباته في المستقبل معناه بداية صحيحة ولكن إلى ضياع!

إن النظرة الشاملة لا تجد في تعدد المصادر التي ينبغي أخذها في الحسبان جملة عند وضع منهج النحو الوظيفي تشتيتاً أو بعثرة للجهود، بل على العكس من ذلك كله تجد فيه نسقاً متصلاً يكمل بعضه بعضاً، وبنياً مترابطاً يساند بعضه بعضه الآخر.



مَرَجِعُ الْفَصْلِ

- ١- الدكتور إبراهيم السامرائي - النحو العربي نقد وبناء - دار الصادق - بيروت ١٩٦٨.
- ٢- الدكتور إبراهيم مدكور - العربية بين اللغات العالمية الكبرى - جامعة بيروت العربية - بيروت ١٩٧٣.
- ٣- ابن مضاء القرطبي - الرد على النحاة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٩٤٧.
- ٤- أبو جعفر النحاس النحوي - التفاحة في النحو - تحقيق كوركيس عواد - مطبعة المجمع العلمي العربي بغداد - ١٩٦٦.
- ٥- الاتجاهات الحديثة في النحو العربي (مجموعة المحاضرات التي أقيمت في مؤتمر مفتشي اللغة العربية بالقاهرة) - دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٥٨.
- ٦- أمين الخولي - مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب - دار المعرفة - القاهرة ١٩٦١.
- ٧- حاتم علو الطائي - الوظيفة اللغوية والرمز اللغوي في الحياة الاجتماعية - الحضارية - معهد الأبحاث والتنمية الحضارية - ٨ / ٨ / ٢٠٠٩.
- ٨- الدكتور حسين سليمان قورة - تعليم اللغة العربية - دراسات تحليلية ومواقف تطبيقية - دار المعارف بمصر - القاهرة - ١٩٩٠.
- ٩- حفني ناصف وآخرون - كتاب قواعد اللغة العربية لتلاميذ المدارس الثانوية - القاهرة ١٩٥٦.
- ١٠- خلف بن حيان الأحمر البصري - مقدمة في النحو - طبعة مديرية إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة السورية - دمشق ١٩٦١.

- ١١- الدكتور الدمرداش سرحان- تلاميذ المدارس الثانوية أمانهم وميولهم ومشكلاتهم- دار الكتاب العربي- القاهرة.
- ١٢- عبد العليم إبراهيم- النحو الوظيفي- دار المعارف بمصر- القاهرة ١٩٦٩.
- ١٣- علي الجارم ومصطفى أمين- النحو الواضح في قواعد اللغة العربية- دار المعارف بمصر- ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.
- ١٤- ل. فيجوتسكي- التفكير واللغة- ترجمة الدكتور طلعت منصور- القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥.
- ١٥- لانسون ماتي- منهج البحث في الأدب واللغة- دار العلم للملايين- بيروت ١٩٤٦.
- ١٦- ماجد علم أبو حمدان- الوظيفية في الموسوعة العربية برئاسة الجمهورية- المجلد الثاني والعشرون- ط ٢٠٠٨.
- ١٧- الدكتور محمود أحمد السيد- أساسيات القواعد النحوية مصطلحاً وتطبيقاً- دار دمشق- ١٩٨٧.
- ١٨- الدكتور ميشال زكريا- الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام- المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت ١٩٨٣.
- ١٩- يوسف الصيدواوي- الكفاف- دار الفكر بدمشق- دمشق ١٩٩٩.

20- R.L.lyman. Summary of investigations relation to grammar language, and composition. Supplementary educational monographs. Chicago- Lllinois.

21- Sebeok, T.A- style in language, wiley and san-N.Y 1960.

الفصل الثامن

« دور المسؤولين في نشر اللغة العربية في مؤسساتهم وتنميتها »

محتويات الفصل:

أولاً - مفهوم المسؤولية.

ثانياً - اللغة محور الثقافة.

ثالثاً - دور المسؤولين في نشر اللغة العربية:

١ - الجهود الرسمية

أ - المسؤولون عن التعليم.

ب - المسؤولون عن الإعلام.

٢ - جهود المجتمع المدني والجمعيات الأهلية.

الفصل الثامن

دور المسؤولين في نشر اللغة العربية في مؤسساتهم وتنميتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحاول في هذا الفصل أن نتعرف مفهوم المسؤولية أولاً، ثم نقف على دور المسؤولين الرسميين في نشر اللغة العربية في مؤسساتهم والمسؤولين في الجمعيات الأهلية والمجتمع المدني في ذلك النشر والتنمية.

أولاً- مفهوم المسؤولية

المسؤولية لغةً هي مصدر صناعي من «مسؤول»، والمسؤول هو اسم مفعول وهو ذو المسؤولية، فالمسؤول من رجال الدولة هو المنوط به عمل تقع عليه مسؤوليته، والمسؤولية هي حال من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته، فيقال: أنا بريء من مسؤولية هذا العمل، والمسؤولية من الناحية الأخلاقية هي التزام الشخص بما يصدر عنه قولاً أو عملاً، وهي من الناحية القانونية: الالتزام بإصلاح الخطأ الواقع على غيرك طبقاً لقانون^(١).

وإذا كان المسؤول هو المنوط به عمل في مجال معين تقع عليه مسؤوليته، ويتحمل تبعاته، فإن المسؤولية تجاه اللغة العربية إنما هي مسؤولية المجتمع بكامل أفراده، ومسؤولية الأمة بكامل أبنائها، مادامت اللغة العربية هي اللغة الأم الموحدة والموحدة على الصعيد القومي، وعلى أبناء الأمة كافة أن يكونوا بررة بأهمهم، أوفياء لها، حافظين عهدتها، ومدافعين عن حدودها وحرمتها.

(١) محمد أبو حرب - المعجم المدرسي - وزارة التربية السورية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م ص ٤٧٦.

وإذا كان الحديث النبوي الشريف ينص على أن كلاً منا راعٍ ومسؤول عن رعيته، مسؤولية الحاكم تجاه كل فرد من رعيته، فإن النهوض باللغة الأم والارتقاء بها هي مسؤولية جماعية، ولا يمكن أن يكون ذلك الارتقاء ملقى على كاهل جهة معينة دون غيرها، إنه مسؤولية مجتمعية «مسؤولية مجامع اللغة والجامعات، ووزارات التربية، والإعلام، والمنظمات الثقافية، والاتحادات والتقابات، وخطباء المساجد والكنائس، ومسؤولية وجهاء النخبة وبسطاء العامة، ومسؤولية الناشر والشاعر والعامل والكاتب والقارئ والمدرس والطالب، ذلك لأن اللغة الأم هي التي ترعى كل ناطق بها، وكأنه طفلها الوحيد والأثير، تزهر وتنمو إن تمرد عليها شعراؤها، ولا تضيق ذرعاً بصرامة علمائها، وتغفر للعامة تجاوزها، ولا تحرم النخبة من تميزها»^(١).

ولما كانت اللغة تشتمل على الكلمات والبنى والأنماط، وكان الفهم الدقيق للمعاني التي تحملها تلك المفردات والقوالب اللغوية يتوقف على سلامتها اللغوية كان على حملة الأقلام أن يدركوا حجم الأمانة والمسؤولية المنوطة بهم تجاه أبناء أمتهم، من حيث الحرص على الغذاء الفكري المقدم بلغة سليمة، ولكم يساقط على أسماعنا الكثير من انحرافات بعض حملة الأقلام عن أمانة القلم الذي أقسم الله به، وكان عليهم أن يتسلحوا بالغنى الثقافي والزاد الفكري والثروة الخلقية التي تتيح لهم أن يكونوا أهلاً لحمل هذه الأمانة الثقيلة^(٢).

وإذا كانت اللغة العربية هي الرباط الذي يجمع بين أبناء الأمة العربية الواحدة في أقاليمها المتعددة فإن معرفتها أيضاً، وفهمها بصورة دقيقة، هو حلم الكثيرين من أبناء الدول الإسلامية غير العربية، التي التزم معظمها الحرف العربي من قبل، وظلّ محافظاً عليه حتى الوقت الحاضر، بسبب كتابة القرآن الكريم به. وثمة تاريخ مشترك للعلاقة الثقافية

(١) الدكتور نبيل علي - الثقافة العربية وعصر المعلومات - عالم المعرفة - الكويت ٢٠٠١ ص ٢٢٨.

(٢) الدكتور شكري فيصل - الثقافة الأدبية - معهد الدراسات العربية - القاهرة ١٩٦٠ ص ٢٨.

بين العرب وأبناء الدول الإسلامية، وإن توفير وسائل تعليم اللغة العربية لهؤلاء يسهم أيما إسهام في تعرف الثقافة العربية والتفاعل معها.

ثانياً. اللغة محور الثقافة

إن التنمية الشاملة والمستدامة تستدعي المشاركة على كل المستويات، وإن أي سياسة ترمي إلى تحديد مسيرة الحياة لتحقيق مستقبل مشترك لها، لا بد لها أن تأخذ العوامل والأبعاد الاجتماعية والثقافية بالحسبان، وتجيء اللغة في مقدمة هذه العوامل، إذ بها يتم التقارب بين قطاعات المجتمع الواحد، ويتقارب بعضها من بعضها الآخر.

وتجدر الإشارة إلى أن الثقافة هي التي تحدد تقدم المجتمع وليس السياسة، وهي جوهر العملية التنموية ومحورها، على أن تكون هذه الثقافة إيجابية عقلانية تقدمية لا جامدة سلبية منغلقة ومؤمنة بالسحر والخرافات والتعصب والتزمت، ذلك لأن «ثقافة التنمية تحتاج إلى عقل منفتح غير متعصب، ونقدي يقبل الاختلاف، ويسعى إلى الاتفاق على أسس مقبولة عقلية وعقلانية، فنحن محتاجون إلى تفتح فكري، وروح نقدية، وإلى فكر يحارب الإحباط في أنفسنا أو الذي في نفوس بعضنا»^(١).

وإذا كان للعولمة جانب مضيء في انفتاح الثقافات بعضها على بعض فإن لها جانباً مظلماً يتجلى في هيمنة ثقافة الأقوياء، وفرض ثقافة ذات قطبية واحدة ولغة واحدة على ثقافات الشعوب الأخرى ولغاتها الوطنية. ومن هنا «كان على أبناء الأمة العربية مقاومة ثقافة الاختراق، وحماية هويتنا القومية وخصوصيتنا الثقافية من الانحلال والتلاشي تحت تأثير موجات الغزو الثقافي الذي يمارس علينا وعلى العالم أجمع بوسائل العلم والتقانة (التكنولوجيا)»^(٢).

(١) الدكتور محمد عابد الجابري - مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة الثقافية - الكلمة - العدد ١٨

السنة ١٩٨٨ ص ١٣٨.

(٢) المرجع السابق ص ١٣٨.

والثقافة التي تقتضيها المرحلة التي نعيش فيها في ظل العولمة هي الثقافة العلمية، «ثقافة الانطلاق التي تركز على العقل والتجربة والحرية والقيم الإنسانية والتي تنطوي على قيم الحق والخير والجمال، ثقافة الإيثار بقيمة العمل والإبداع، ورفض جميع مظاهر الترف والإسراف والاستهلاك والتملك والتزلف والاستكبار والغش والخداع والواسطة والمحسوبية والفساد والتعصب»^(١).

وإذا كان المجتمع العربي ينشد من أجل تحقيق التنمية المستدامة فيه ثقافة تنموية، تنطلق إلى مشهد حضاري إنساني، يسمو بأفراد الأمة إلى آفاق حضارية إنسانية جديدة، فإن محور الثقافة المنشودة إنما هو اللغة، وما اللغة العربية إلا الثقافة العربية التي حملت أفانين الحضارة العربية الإسلامية إلى العالم، والثقافة العربية التي تسود على نطاق الساحة القومية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

ولم يعد مستقبل الثقافة العربية مقتصرًا على التعليم على الرغم من أهميته، أو على مشكلة الكتاب على الرغم من تصاعد دوره وتنوع وسائل تيسيره وإشاعته، وإنما «أصبح المستقبل أفقاً من الإمكانيات المتعددة التي تتعدد فيها وسائط التثقيف التي وصلت إلى درجة هائلة من الانتشار الإعلامي الجماهيري بواسطة التلفاز على وجه الخصوص، وظهور الدور المتصاعد للمواقع الثقافية على الشبكة (الإنترنت)، وكان من نتيجة التعقد اللافت في علاقات العمل الثقافي وأدوات إنتاجه أن اتسع معنى التثقيف العام ليشمل جهود وزارات التربية والتعليم والثقافة والإعلام والشباب والعمل والأوقاف والاتصالات وغيرها. وتتناغم في هذه الجهود أدوار المؤسسات الحكومية، والقطاع الخاص، وتنظيمات المجتمع

(١) د. علي وطفة- الممانعة الثقافية للتنمية في العالم العربي- مجلة المعرفة السورية- العدد ٥٦٩ شباط

المدني، بالقدر الذي تتعاضم فيه مصالحي متعددة من الداخل والخارج، تستعين بأحدث منجزات الثورة المعلوماتية»^(١).

وفي عصرنا الحالي، عصر العلم والتقانة والمعلوماتية، أضحت اللغة هي الوجود ذاته، وغدا هذا الوجود مرتبطاً بثقل الوجود اللغوي على الشبكة (الإنترنت)، وبات سؤال الهوية: من أنا؟ ومن نحن؟ مطروحاً بشدة وعلى أوسع نطاق، وباتت اللغة المنظار الذي يرى فيه الفرد العالم من حوله، ويرى فيه الآخرون مستوى هويته الحضارية وذاتيته الثقافية في الوقت نفسه.

وإذا كان الفرد حريصاً على تقديم الصورة الوردية عنه إلى الآخرين، وكانت اللغة هي التي تحمل هذه الصورة الوردية بمختلف ضروبها وأبعادها الثقافية رسماً ونحتاً وموسيقى ومسرحيات ومسلسلات وكلمة مسموعة ومقروءة ومرئية.. الخ، وكانت اللغة هي الجسر الذي تعبر عليه الأجيال من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل، بالإضافة إلى أنها تعمل على تمتين العلاقة بين أفراد المجموعة البشرية، فإن المسؤولية في تقديم الصور الإيجابية لا تقع على عاتق فرد واحد أو جهة معينة، وإنما هي مسؤولية المجتمع كله.

ثالثاً. دور المسؤولين في نشر اللغة العربية

غني عن البيان أن الثقافة هي محور منظومة التنمية المستدامة، وجزء من البنية الأساسية لأي مشروع نهضوي عربي، وإن أدبيات التنمية الحديثة - والثقافة في القلب منها ومحورها - تعد أن نجاح عملية التنمية يتطلب تكامل أضلاع مثلث الدولة والقطاع الخاص والمجتمع المدني، وأن أي استراتيجية للعمل الثقافي العربي لا بد أن تنطلق بدورها

(١) د. عبد الله التركياني - خواطر برسم القمة العربية للثقافة - مجلة العربي العدد (٦٢٦) يناير ٢٠١١ ص ١٦.

من إقامة شراكة بين المؤسسات الثقافية الرسمية ومبادرات القطاع الخاص المعني أحياناً بالعمل الثقافي، ومنظمات المجتمع المدني ذات الصلة.

ولابد من الأخذ بالحسبان أن التنمية المستدامة لا تتعلق بالعالم الطبيعي وحده، ولا بفئة واحدة في المجتمع، وإنما تهتم بمختلف شرائح المجتمع. ولما كانت اللغة مؤسسة اجتماعية إنسانية كما سبقت الإشارة إلى ذلك من قبل، كان الاهتمام بها والحرص عليها يقع على كاهل أبناء المجتمع كافة، وليس على جهة واحدة منه، أو شريحة واحدة، أو مؤسسة واحدة.

وطالما قرأنا تعليقات صحفية تحمّل مجامع اللغة العربية وحدها مسؤولية تردي مستوى الأداء اللغوي تارة، وتحمّل وزارات التربية والتعليم وحدها ذلك التردي تارة أخرى، ووزارات الإعلام وحدها تارة ثالثة. وفات هؤلاء جميعاً أن فئات المجتمع كافة تتحمّل المسؤولية، وأن المسؤولين في القطاع الرسمي والخاص وفي المجتمع المدني يسهمون أيما إسهام في النهوض باللغة في حال التزامهم بها وإيمانهم بدورها الوطني والقومي في لمّ شمل أبناء الأمة كافة.

ونحاول فيما يلي تبيان جانب من المسؤولية في القطاع الرسمي، وجانب آخر في المجتمع المدني والجمعيات الأهلية.

١ - الجهود الرسمية: يحتاج النهوض باللغة إلى توعية المواطن بأهمية لسانه الذي يتكلم به أبناء قومه، وما يقدمه اللسان من سيادة وتنمية. ولم تحصل التنمية في كل بلاد العالم الحية باللسان الأجنبي، وإنما بلسان أهل البلاد. ومن هنا تحرص الأمم الحية على العناية بلغاتها الوطنية، وتعمل على نشرها على أوسع نطاق إن في داخل بلادها أو في خارجها موفرة لذلك جميع الإمكانيات. وإذا وقفنا على دور بعض المسؤولين في نشر اللغة العربية وذلك في قطاعي التعليم والإعلام فإننا نلاحظ الآتي:

أ- المسؤولون عن التعليم: غني عن البيان أنه لا تنمية اقتصادية دون تنمية بشرية، ولا تنمية بشرية دون الاهتمام بالتربية والتعليم، ولا تقدم بالتربية والتعليم دون استعمال اللغة الوطنية، ولا تقدم نوعياً دون ترقية اللغة الوطنية، ولا تقدم للعرب دون استعمال لغتهم القومية.

وإذا كان على المسؤولين عن التعليم غرس محبة العربية والانتفاء إليها والافتخار بها وبأعجاد العروبة ماضياً وحاضراً، وتقويم ألسنة المتعلمين وتنمية خبراتهم وقدراتهم على إدراك نواحي الجمال والتناسق والنظام، وإكسابهم المهارات اللغوية، وتزويدهم بما يساعدهم على تفهم سلوك الآخرين، وإدراك قيم الأشياء وصحة الحكم عليها، فإنهم مسؤولون عن إيجاد الوسائل المحققة للأهداف المرسومة للعملية التعليمية التعليمية. ومن هذه الوسائل والإجراءات:

١ - تنقية البيئة التعليمية التعليمية في التعليم ما قبل الجامعي وفي التعليم الجامعي من التلوث اللغوي بتوفير القدوة الحسنة من المعلمين والمدرسين الأكفيا المعدين إعداداً جيداً والمؤهلين تأهيلاً راقياً، والمدرسين باستمرار على المستجدات، على أن يخصص حيز من دورات التدريب المستمر للمعلمين والمدرسين كافة للتدريب على استعمال اللغة السليمة محادثة وكتابة وقراءة.

٢ - غرس الشغف باللغة في نفوس الدارسين من خلال:

أ- اختيار المحتوى الملائم النابض بالحياة والملي اهتمامات المتعلمين وحاجاتهم.

ب- تقديم المحتوى مضبوطاً بالشكل في المراحل الأولى، وضبط ما يخشى منه

اللبس في المراحل التالية.

ج- تنوع طرائق التدريس وتحقيق المرونة فيها والانتقائية في ضوء المواقف

والمستويات.

- د- استخدام التقانة والوسائل المعينة الشائقة والجذابة.
- هـ- تنوع مصادر المعرفة.
- و- تشجيع المواهب وتكريم أصحابها.
- ز- الإكثار من المناشط اللاصفية والمطالعة الحرة.
- ح- إكساب المتعلمين مهارات التعلم الذاتي الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة.
- ٣- الوقوف على مستوى الأداء بكل دقة وذلك بطريق الاختبارات الموضوعية.
- ٤- وضع سلامة اللغة شرطاً في التعيين والترقية إن في التعليم ما قبل الجامعي أو في التعليم الجامعي.
- ٥- تكليف الموفدين إلى الجامعات الأجنبية ترجمة رسائلهم في الماجستير والدكتوراه إلى اللغة العربية، واعتبار ذلك شرطاً في التعيين على غرار ما تقوم به الجامعات السورية.
- ٦- اشتغال الكتب المؤلفة باللغة العربية في ميادين المعرفة والعلوم المختلفة على ثبات بالمصطلحات المستعملة في هذه الكتب باللغتين الأجنبية والعربية، على أن تعتمد هذه المصطلحات من المجالس المختصة لتعتمدها الجامعات اللغوية فيما بعد بعد دراستها.
- ب- المسؤولون عن الإعلام: غني عن البيان أن للإعلام دوراً كبيراً في إشاعة الفصيحة على الألسنة مادام يدخل إلى كل بيت، ويتسمّر حول برامج الصغار والكبار معاً في الأعم الأغلب. ويمكن للمسؤولين عن هذا القطاع:
- ١- بث البرامج الدرامية المصوغة بعربية سهلة وواضحة، فيها روح العامية وثوب الفصيحة.
- ٢- بث البرامج الموجهة للأطفال على أن يتوفر فيها عنصر التشويق واللغة الملائمة والمناسبة لهم.
- ٣- الحؤول دون الإعلانات بالعامية والكلمات الأجنبية، والحرص على أن تكون بالعربية السليمة.

٤ - عقد دورات تدريبية مستمرة للعاملين في الإعلام المسموع والمقروء والمرئي بغية تحسين الأداء.

٥ - تنقية الأخبار والترجمات من الأخطاء اللغوية.

٦ - الحرص على استخدام العربية السهلة في الحوارات واللقاءات الثقافية.

٧ - رصد المصطلحات الإعلامية الأجنبية، ووضع البديل العربي المناسب لها بالتعاون مع مجامع اللغة العربية، وتعميمها عبر الكلمة المسموعة والمرئية والمقروءة بعد اعتمادها.

٨ - بث برامج تعنى بتسليط الأضواء على أمهات الكتب القديمة والمعاصرة، وإجراء حوارات حولها.

٩ - بث برامج تسلط الأضواء على النتاجات الفكرية لمشاهير الأدباء والمفكرين ممن خدموا العربية.

١٠ - الإكثار من الأغاني المؤداة بالفصيحة في القطاعين العام والخاص وفي الإذاعة المسموعة والمرئية.

٢ - جهود المجتمع المدني والجمعيات الأهلية: إن التنمية الشاملة المستدامة لن تتحقق إلا بتفعيل المجتمع المدني، ويتولد عن المجتمع المدني مجتمع ديمقراطي. وما تحققت تجربة جيدة إلا كان وراءها مجتمع مدني له أفكار مستقبلية تعمل على التغيير، مجتمع ينتج الأفكار، ويهمه الشأن العام، ولكن لا يمكن أن تتحقق الفائدة المرجوة إلا بتكاتف الجهود الرسمية وخاصة الجهاز التنفيذي للإدارة إلى جانب جهود المجتمع المدني.

إن العودة إلى توسيع الاستشارة باب من أبواب المشاركة في تحمل المسؤولية، بل هو باب كبير من أبواب الديمقراطية، ذلك لأن الحلول الحقيقية تكون بين الناس وما يفكرون فيه، ويعملون له، ولا تكون الحلول في الأبراج العاجية والأماكن المنعزلة، ولا فيما تخطط له «النخب المتعالية عن محيطها ومجتمعها، ولا من تلك الفئات التي لا تحيا هموم المجتمع،

ولا تكون الحلول في بطون الكتب، ولا في الصالونات الثقافية، وإنما في العمل بين الناس»^(١).

وتقوم الجمعيات الأهلية بدور كبير في ترسيخ التشارك والحرية كي تنطلق مكامن الإبداع في مناحي الحياة كافة، ونبذ القيود المفروضة على أي حراك اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي، إلا أن العلاقة بين هذه الجمعيات والجهات الأخرى في المجتمع ومع الحكومة ومؤسسات التشريع ينبغي لها أن تكون ودية بغية تفعيل القوانين المتعلقة باللغة وبيالإعلام وأجهزته ورجاله، ليكونوا لسان حال العربية، وبأصحاب القرار السياسي ليكونوا إلى جانبها.

وعلى المسؤولين في هذه الجمعيات الولوج إلى لحمة المجتمع والتحرك بإيجابية لتطبيق الدساتير والقوانين التي تنص على استعمال العربية في جميع التعاملات الرسمية في الدوائر الحكومية كافة، ومراقبة التجاوزات التي تراها على واجهات المحال التجارية وفي الشوارع، ومراقبة البرامج الموجهة إلى الأطفال في الرياض والتلفزة والإعلام.. الخ.

والواقع أن هذه الجمعيات تستطيع أن تؤثر في الرأي العام، وأن تؤثر في الوقت نفسه في صاحب القرار، وأن تعمل على التوعية، وأن تسهم في العملية التعليمية التعلمية، وأن تقوم بمناشط لغوية في جميع المجالات (محاضرات، ندوات، مناظرات، مسابقات، تكريم، إقامة معارض، عرض مسرحيات وخاصة للأطفال، عرض أفلام، إزالة التلوث اللغوي وتصحيح الأخطاء في اللافتات والإعلانات والشوارع، إقامة مهرجانات، تخصيص أسابيع للاحتفاء باللغة، نصب لوحات في الساحات العامة، وفي الأماكن الرئيسة والشوارع تتضمن أقالماً في اللغة، الإسهام في حملات محو الأمية، طبعات نشرات ومطويات توعية، الإسهام في إجراء البحوث العلمية.. الخ.

(١) محمد عثمان الخشت - المجتمع المدني - ط ١ - وزارة الثقافة المصرية - الهيئة العامة لقصور الثقافة -

سلسلة الشباب - القاهرة ٢٠٠٤ ص ٥.

وإن المهم في عمل هذه الجمعيات هو الخروج من المكاتب وعدم الاكتفاء بالتنديدات المتلاحقة، وإنما بالعمل الجاد في الميدان. وجميل جداً الإفادة من تجارب الأمم الأخرى في حمايتها لغتها، فقد حمل الرجال اليعاقبة Jacobites في الثورة الفرنسية فكر التنوير للغة الفرنسية، فعزوا شعار لغتي هي حياتي. وكان منطلقهم الثوري في الميدان الثقافي إنشاء نظام عام للتعليم بالفرنسية لا غير، وحملت مبادئهم اللغات الثلاث: لا للهجات، لا للغات المحلية، لا للهجين اللغوي.

وسعوا إلى تجسيد شعارهم في الحرية والإخاء والعدالة إلى تخلص اللغة الفرنسية من اللهجات حفاظاً على صفاء لغتهم بدءاً من المدرسة إلى الجامعة مروراً بالشارع. وكل خطأ عندهم يعد تعدياً على الهوية الفرنسية سعياً إلى أن تكون الفرنسية هي الوطن كما قال ألبير كامبي: «الفرنسية هي وطني»، وقال آخرون: اللغة الفرنسية هي روح الأمة، ومتى فقدت الأمة روحها فقدت وجودها^(١).

وأقام الفرنسيون مؤسسات وجمعيات من أجل حماية اللغة الفرنسية في داخل فرنسا وفي ما وراء البحار وبنفقات كبيرة جداً مع إغراءات تشجيعية هامة، وسنت قوانين من أجل استعمال الفرنسية دون غيرها، وكل متعد يغرم بغرامات مالية، ويحصل أحياناً التهديد بالسجن، ومن الإجراءات المؤدية إلى نشر الفرنسية أن الجمعيات المدنية فرضت في فرنسا يوماً سنوياً لإجراء اختبار في الإملاء يشترك فيه كل الفرنسيين، وترصد جوائز قيمة للفائزين، وتهب الجماهير في وجه من يرتكب الخطأ في لغته الفرنسية.

وفي دولة كندا «مقاطعة الكيبك الناطقة بالفرنسية» ثمة مقاضاة للمعتدين على اللغة، وتنتشر الفرنسية في وسائل الإعلام، وثمة ترجمة فورية إلى الفرنسية في الأشرطة والأفلام،

(١). الدكتور صالح بلعيد- دور المنظمات القطرية والإقليمية في التعريب- ندوة الجزائر- تعريب التعليم

والتنمية البشرية- المجلس الأعلى للغة العربية- تشرين الأول ٢٠١٠.

وجوائز للمتفوقين في الفرنسية كل عام، ومهرجانات في المناسبات العامة، وتخصيص أسبوع كامل للاحتفاء بالفرنسية، ونصب لوحات في الشوارع تقول: «إنني أحب اللغات جميعاً، ولكنني أفضل لغتي».

وفي سلطنة بروناي تمنع اللافتات والإعلانات وكل ما يلصق في الشوارع أمام الجمهور إذا كان بالأجنبية، والمجتمع المدني يراقب ذلك.

وفي السويد ثمة رقابة على اللغة، وتعمل الجمعيات على إزالة الفساد اللغوي، وترعى المتعلمين في البيوت بتقديم المساعدة لهم، وتعمل على مكافحة كل أشكال التلوث اللغوي، وتقدم إغراءات مالية لمتعلمي السويدية. وفي السنوات الأخيرة أدخلوا تعلم السويدية شرطاً للحصول على الجنسية.

وفي كوريا لغة واحدة في المدرسة والجامعة والشارع، وثمة إخلاص وتفان في خدمتها، ولا يمكننا أن ننسى وصية القائد الفيتنامي «هوشي مينه» لأبناء أمته عندما قال: «حافظوا على صفاء لغتكم حفاظكم على صفاء عيونكم».

وخلاصة القول في دور المسؤولين في نشر اللغة العربية في مؤسساتهم وجمعياتهم أن نجاح العمل يستلزم تكاتف الجهود وتكاملها على الصعيدين الرسمي والمدني، وأن للجمعيات دوراً في التوعية اللغوية، واستجلاب النخب الوطنية في كل المواقع، والحضور في الشوارع والمدارس والإدارات وفي مواقع القرار بصورة دائمة لمراقبة الصحة اللغوية على غرار ما تفعله في الدول المتقدمة، كما أن هذه الجمعيات يمكن أن تكون حلقة وصل بين العلماء المتخصصين وأفراد المجتمع من خلال البحوث والدراسات والمحاضرات التي تسهم في التوعية اللغوية والعمل التطوعي لنشر اللغة الوطنية الذي يعد من أقدس الواجبات.

وتحتاج هذه الجمعيات إلى كسب ود الإعلام فما من قضية ساندها الإعلام إلا كان النجاح حليفها وصار لها أنصار^(١).

(١). الدكتور صالح بلعيد - المرجع السابق ص ٣١.

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الجمعيات الثقافية في المجتمع المدني في بعض الدول العربية تتبع وزارة الشؤون الاجتماعية ولا بد من نقل تبعيتها إلى وزارة الثقافة لتؤدي دورها المنوط بها على أحسن وجه.

وثمة من يقترح إلى جانب تشكيل جمعيات أهلية لحماية اللغة العربية والدفاع عنها في الوطن العربي إحداث جمعيات نوعية تخصصية تعنى بالقضايا اللغوية، ومن هذه الجمعيات النوعية المقترحة:^(١)

جمعية تعريب لغة الموضوعات الأجنبية
جمعية التوعية اللغوية.

جمعية تهجين اللغة العربية (البحث عن الكلمات الأجنبية في اللغة العربية).
جمعية ثقافة اللغة العربية: على أنها وعاء للثقافة وأداة للتواصل بين أبناء الأمة ووسيلة صناعة الثقافة.

جمعية الخطابة العربية.

جمعية صحيح اللغة العربية.

جمعية الرواية العربية.

جمعية الشعر العربي.

جمعية علم اللغة العربية

جمعية علم اللغة العربية الاجتماعي.

جمعية القصة العربية القصيرة.

جمعية اللغة العربية للدعاة في الدول الأجنبية.

جمعية نقد اللغة العربية الإعلامية.

(١) الدكتور مصطفى عبد السميع محمد- دور المجتمع المدني في دعم اللغة العربية- رؤية مستقبلية-

ندوة تنسيق التجارب العربية في مجال التعريب وتحديات العولمة- مكتب تنسيق التعريب-معهد

الدراسات التربوية بجامعة القاهرة-القاهرة-أكتوبر ٢٠١٠.

وإذا كنا نطمح إلى أن تخصص الأحزاب السياسية مواد في دساتيرها وبرامج عملها ترمي إلى الحفاظ على اللغة العربية والنهوض بها، وأن تخصص الجمعيات الأهلية في المجتمع المدني حيزاً من نشاطاتها وفعاليتها للقضايا اللغوية فإن الرؤية المستقبلية المقترحة في تخصيص جمعيات نوعية على الصعيدين القطري والقومي تسهم أيما إسهام في تنمية اللغة العربية وسيورتها ونشرها على أوسع نطاق، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جُلّه، وعملنا في نشر اللغة العربية وتنميتها يحتاج إلى عمق الانتماء، وصلابة الإيمان، وقوة العزيمة، وشحذ الإرادة، والإقدام، والتفاؤل بمستقبل الأمة، ولغتها الخالدة.



مَرَجِعُ الْفَضْلِ

- ١- الدكتور صالح بلعيد- دور المنظمات القطرية والإقليمية في التعريب- ندوة الجزائر- تعريب التعليم العالي والتنمية البشرية- المجلس الأعلى للغة العربية ٢٠١٠.
- ٢- الدكتور شكري فيصل- الثقافة الأدبية- معهد الدراسات العربية- القاهرة ١٩٦٠.
- ٣- الدكتور عبد الله التركماني- خواطر برسم القمة العربية للثقافة- مجلة العربي- العدد (٦٢٦) سنة ٢٠١١.
- ٤- الدكتور علي وطفة- الممانعة الثقافية للتنمية في العالم العربي- مجلة المعرفة السورية- العدد (٥٦٩) عام ٢٠١١.
- ٥- محمد أبو حرب- المعجم المدرسي- وزارة التربية السورية ١٩٨٥.
- ٦- الدكتور محمد عابد الجابري- مستقبل الثقافة العربية في ظل العولمة الثقافية- الكلمة، العدد (١٨) سنة ١٩٨٨.
- ٧- محمد عثمان الخشت- المجتمع المدني- وزارة الثقافة المصرية- القاهرة ٢٠٠٤.
- ٨- الدكتور مصطفى عبد السميع محمد- دور المجتمع المدني في دعم اللغة العربية- رؤية مستقبلية- معهد الدراسات التربوية بجامعة القاهرة- القاهرة ٢٠١٠.
- ٩- الدكتور نبيل علي- الثقافة العربية وعصر المعلومات- عالم المعرفة- الكويت ٢٠٠١.

الفصل التاسع

« واقع التمكين للغتة العربية »

محتويات الفصل:

أولاً - اللغة الأم «العربية الفصيحة» سمات وخصائص

أ - حروف العربية.

ب - مفردات العربية.

ج - الدقة في التعبير.

د - الإيجاز.

هـ - الإعراب.

ثانياً - واقع اللغة العربية

ثالثاً - التمكين للغة العربية

وزارة التربية

وزارة التعليم العالي

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة الأوقاف

وزارة الاقتصاد والتجارة

وزارة الداخلية

وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل

وزارة الإدارة المحلية

مجمع اللغة العربية بدمشق

المنظمات الشعبية

اتحاد الكتاب العرب

الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية

غرف الصناعة والتجارة

الاتحادات والنقابات والجمعيات الأهلية

الإسهام في وضع مشروع «النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة».

عقد اجتماع المائدة المستديرة لرؤساء جمعيات حماية اللغة العربية في الوطن العربي.

الفصل التاسع واقع التمكين للغة العربية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحاول في هذا الفصل أن نتعرف سمات لغتنا الأم «العربية الفصيحة»، وخصائصها، وواقعها الحالي، ثم نقف على ما تقوم به لجنة التمكين للغة العربية من إجراءات لتمكينها، والحفاظ عليها، والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها، في ضوء خطة العمل الوطنية للتمكين التي وضعتها اللجنة، بناء على القرار الجمهوري ذي الرقم ٤ لعام ٢٠٠٧.

أولاً- اللغة الأم «العربية الفصيحة» سمات وخصائص

غني عن البيان أن الإنسان في جوهره ما هو إلا لغة وهوية، اللغة فكره ولسانه، وفي الوقت نفسه انتماؤه، وهذه كلها هي هويته، وحقيقته، وإنيته، لأن اللغة تكشف عن فكره ونمط تفكيره. وقديماً قال سقراط لجليسه: «تكلم حتى أراك»، وقال المتنبي:

أصادق نفس المرء من قبل جسمه وأعرفها في فعله والتكلم

ونحن - العرب - لغتنا الأم هي العربية الفصيحة، لا اللهجة المحلية، ولا لغة أي جماعة عرقية أخرى تعيش على الأرض العربية، لأن العربية هي التي تجمع بين أبناء الأمة العربية فهي الموحدّة والموحّدة على الصعيد العربي، في حين أن اللهجات المحلية تختلف بين بلد عربي وآخر، لا بل تختلف في القطر الواحد بين محافظة وأخرى، وقد اعتمدت الدساتير العربية اللغة العربية في دساتيرها لغة رسمية لها.

و«اللغة الأم» عبارة من أجمل العبارات لأنها تحمل في ثناياها أسمى معاني الحياة: محبة، وتواصلًا، ومعرفة، ووجدانًا، وقيماً، وانتفاء.

و«اللغة الأم العربية الفصيحة» طالما أرضعتنا بكلماتها وعباراتها، وأنجدتنا بمعانيها التي هي ترجمان مشاعرنا، وعواطفنا، وهمومنا، وأفكارنا.

كم أعجبنا بقول شوقي في مسرحيته «مجنون ليلي»:

ألست وعدتني يا قلبُ أي إذا ما تبثُّ عن ليلي تتوبُ

فها أنا تائب عن حب ليلي فمالك كلما ذكرت تذوب؟!

وكم استمتعنا بقول الشريف الرضي:

أقول وقد أرسلتُ أول نظرةٍ ولم أرَ من أهوى قريباً إلى جنبي

لئن كنتِ أخليتِ المكانَ الذي أرى فهيئات أن يخلو مكانك من قلبي

وكنتُ أظن الشوق للبعد وحده ولم أدرِ أن الشوق للبعد والقربِ

خلا منك طرفي وامتلا منك خاطري كأنك من عيني نقلتِ إلى قلبي

وكم نهلنا من ينابيع حكمة زهير، والمتنبي، وأبي العلاء المعري، وأبي العتاهية، وابن

الوردي... الخ!.

ولقد أدركت المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) الدور الكبير الذي تؤديه اللغة الأم في حياة الفرد ومجتمعه، ولذلك دعت الدول الأعضاء فيها إلى الاحتفال باليوم العالمي للغة الأم، وحددت له موعداً الحادي والعشرين من شباط كل عام.

ودعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الدول العربية إلى الاحتفال بيوم اللغة العربية، وحددت له موعداً الأول من آذار من كل عام، إلى جانب احتفالها باليوم العالمي للغة الأم الذي دعت إليه (اليونسكو).

كما أن الأمم المتحدة خصصت يوماً لكل لغة معتمدة فيها، تحتفل فيه بتلك اللغة، واللغات المعتمدة في الأمم المتحدة ست، وهي: «الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية، الصينية، الروسية، العربية».

ولقد حدّدت الثامن عشر من كانون الأول موعداً للاحتفال بالعربية، والثاني عشر من تشرين الأول موعداً للاحتفال باللغة الإسبانية، والعشرين من آذار موعداً للاحتفال باللغة الفرنسية، والثالث والعشرين من نيسان موعداً للاحتفال باللغة الإنجليزية، والسادس من حزيران موعداً للاحتفال باللغة الروسية. أما يوم الاحتفال باللغة الصينية فلم يحدد بعد.

وتجدر الإشارة إلى أن اللغات المحتفل بها هي لغات عالمية، ومن معايير اللغة العالمية أنها تؤدي وظائف رسمية في عدد من الدول، وأنها منتشرة على مستوى بعض قارات العالم، ما عدا الصينية فهي في قارة آسيا، والألمانية في قارة أوروبا. أما الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والعربية فهي في أكثر من قارة. وتحتل الإنجليزية المرتبة الأولى بين هذه اللغات من حيث انتشارها، فهي اللغة الوحيدة بين جميع اللغات العالمية تستخدم لغة رسمية في قارات العالم كافة، وتسود في مجال الالكترونيات وعلى الشبكة (الإنترنت)، إذ تصل نسبتها على مواقع الشبكة إلى ٨٠٪، كما أنها تسود في المنظمات الدولية، وفي الدبلوماسية، والسياحة، والاقتصاد..

ومادامت العربية الفصيحة تتبوأ هذه المكانة على الصعيد العالمي باعتمادها بين اللغات الست في منظمة الأمم المتحدة، فحريّ بنا نحن - أبناء العربية - أن نتعرف بعضاً من سماتها وخصائصها، وأن نعرّف الآخرين بها في عصر بات فيه سؤال: من أنا؟ ومن نحن؟ مطروحاً على الساحة العالمية، وغدا الشعار في عصرنا الحالي، عصر الشبكة (الإنترنت): «تكلم حتى يراك الآخرون عن بعد وترى نفسك».

فما سمات لغتنا الأم؟

ثمة سمات تتميز بها لغتنا الأم إن في حروفها، أو في مفرداتها، أو في دقتها في التعبير، أو في إيجازها، أو في إعرابها. وفيما يلي فكرة موجزة عن كل سمة من هذه السمات.

أ- حروف العربية:

إن اتساع المدرج الصوتي مميّز اللغة العربية بانفرادها بحروف لا توجد في اللغات الأخرى كالضاد، والطاء، والعين، والغين، والحاء، والظاء، والقاف.

وفي العربية كل صوت له حرف يقابله ما عدا عدداً من الكلمات القليلة مثل (عمرو، لكن، هكذا... الخ)، وهذا لا نجده في اللغات الأجنبية، ففي الفرنسية نطق كلمة «chaud»، وفي نهاية الكلمة الحرف (d) لا يلفظ، وثمة تقارب في اللفظ بين الحاء والحاء، والذال والذال، والسين والشين، والطاء والظاء، والعين والغين.

ومن ميزات حروف العربية تقاربها في الشكل، فالحروف (ب، ت، ث) هي حرف واحد من حيث الشكل، ولا خلاف إلا بالنقط، وكذلك الأمر في الحروف (ج، ح، خ) وفي (د، ذ) و(ر، ز) و(س، ش)، و(ص، ض) و(ط، ظ) و(ع، غ) و(ف، ق)، وهذه ميزة في سهولة تعلم الحروف العربية.

وتتسم الحروف العربية أيضاً بثبات الحروف العربية الأصلية، إذ إن المصوتات، قصيرة كانت أو طويلة، هي التي تتبدل، في حين تبقى الحروف محافظة على أصلها، فالكلمات «عَلِمَ، أَعْلَمَ، تَعَلَّمَ، اسْتَعْلَمَ، عَالِمٌ، مَعْلُومٌ، مَعْلَمٌ، عَلَامَةٌ، عَلِيمٌ» بقيت محافظة على جذرها الأصلي «علم»، وأن الذي تبدّل هو المصوتات فقط.

وهذا لا نلاحظه في اللغات الأجنبية، إذ إن تغير المصوت يؤدي إلى معنى جديد لا صلة بينه وبين المادة الأصلية، فكلمة mort في الفرنسية تعني الموت، وكلمة mir تعني النيشان، وكلمة mur بضم الشفتين تعني الجدار، كما تعني ناضج بإضافة (^) فوق الحرف

الثاني، وكلمة mer بالإمالة تعني البحر، وبإضافة (´) فوق الحرف الثاني وإضافة (e) إلى آخرها تعني الأم^(١).

وفي العربية يفرّقون أحياناً بحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين، فيقولون: رجل لُعْنَةٌ إذا كان يلعنه الناس، فإذا كان هو يلعن الناس قالوا عنه رجل لُعْنَةٌ، فحركوا العين بالفتح، ورجل سُبَّةٌ إذا كان يسبه الناس، فإذا كان هو يسب الناس قالوا: رجل سُبِّيَّة، وكذلك هُزْأَةٌ وهُزْأَةٌ، وسُخْرَةٌ وسُخْرَةٌ، وضُحْكَةٌ وضُحْكَةٌ، إلا أن سمة محافظة الحروف على أصلها تبقى ثابتة^(٢).

كما تتسم الحروف العربية أيضاً بأن ثمة علاقة بين الحرف والمعنى، فحرف الغين يدل على الغياب والاختفاء كما في «غرق، غار، غاص، غمر، غرس، غطّى، غبر، غدر، غشي، غفر».

ب- مفردات العربية:

إن اللغة العربية غنية بمفرداتها، ومنطقية في قوالبها، فصيغة «فاعل» تدل على أسماء الفاعلين، و«مفعول» تدل على أسماء المفعولين، وصيغتا مَفْعَلٍ، ومَفْعِلٍ تدلان على اسمي الزمان والمكان، وصيغ «مِفْعَلٍ، ومِفْعَالٍ، ومَفْعِلَةٍ، وفَعَّالَةٍ» تدل على أسماء الآلة. وثمة إعطاء كل صوت لشيء اسماً يخصه، إما على وزن فُعَالٍ من مثل «البُكَاء لِلإنسان، والصُدَّاح لِلبلبل، والمُوءَاء لِلهر، والنُبَّاح لِلكلب، والثُّغَاء لِلغنم، والرُّغَاء لِلإبل، والعُوءَاء لِلذئب، والخُوءَاء لِلبقر»، أو على وزن فَعِيلٍ، مثل «العُوِيلُ لِلنساء، والزُّيْرُ لِلأسد،

(١) الدكتور محمود أحمد السيد- في طرائق تدريس اللغة العربية- منشورات جامعة دمشق- ٢٠٠٨ ص ٢٢٢.

(١) ابن قتيبة- تأويل مشكل القرآن- شرح وتحقيق السيد أحمد صقر- دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة عام ١٩٥٤ ص ١٢.

والصهيل للخيـل، والنهيق للحمير، والنعيب للغراب، والنقيق للضفدع، والهديل للحمام، والهدير للموج، والحفيف للشجر، والخزير للمياه، والصليل للسيوف، والصرير للقلم، والفحيح للأفاعي».

ج- الدقة في التعبير:

من ميزات العربية الدقة في التعبير، فلوليد كل حيوان اسم خاص، فالطفل وليد الإنسان، والشبل وليد الأسد، والفصيل وليد الإبل، والمهر وليد الحصان، والعجل وليد البقر، والجحش وليد الحمار.

ولكل مرحلة من حياة الإنسان اسم «نطفة فعَلَقَة، فَمُضَغَة، فجنين» فإذا ولدته أمه أصبح وليداً، فرضيعاً، ففطياً، فصيباً أو غلاماً، فمراهقاً، فشاباً، فيافعاً، فكهلاً، فشيخاً. وللعش مراتب، ولكل مرتبة اسم خاص بها، فالعش أولها، والظماً ثانيها، والصدى ثالثها، والأوام رابعها، والهيام خامسها.

ومراتب الحزن هي: الكمد، البث، الكرب، الأسى، الوجوم، الكآبة، الغم، الترح، الحسرة، الأسف، الندم، الهم، الشجن. أما مراتب السرور فهي: الجزل، الابتهاج، الاستبشار، الارتياح، الفرح، المرح، الغبطة، الطرب.

ولقد جاء في «فقه اللغة وسر العربية» للثعالبي تحت عنوان «في أوائل الأشياء وأواخرها»: (١)

الصبح أول النهار، الغسق أول الليل، الوسميُّ أول المطر، البارض أول النبات، اللُّعاع أول الزرع، اللِّباء أول اللبن، السُّلاف أول العصير، الباكورة أول الفاكهة، البِكْرُ

(١) الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور) فقه اللغة وسر العربية - تحقيق مصطفى السقا

وزميلييه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي في القاهرة، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ص ٥٤ .

أول الوُلْد، الطليعة أول الجيش، النَّهْل أول الشُّرب، النَّشوة أول الشُّكر، الوَحْطُ أول الشيب، النَّعاس أول النوم، الفَرَط أول الورد، الزُّف أول ساعات الليل».

وظالما تعلّمنا كلمات في لغتنا على أنها مترادفات، وهذا غير صحيح، إذ إن لكل كلمة معنى يختلف عن الآخر، ف«رَمَق» تدل على النظر بمجامع العين، و«لَحَظ» تدل على النظر من جانب الأذن، و«حَدَج» تدل على الرمي بالبصر مع حدة، و«رنا» تفيد إدامة النظر في سكون وتأمل، و«حَدَّق» تعني جمع عينيه لشدة النظر.

د- الإيجاز:

ومن خصائص هذه السمة من سمات اللغة العربية أنك تستطيع من خلال كلمة واحدة أن تؤدي معنى جملة تامة، كما هي عليه الحال في أسلوب الإغراء والتحذير، وفي أسماء الأفعال، وبعض المصادر:

الأمانة الأمانة	أسلوب الإغراء
الكذب والنفاق	أسلوب تحذير
صَه	اسم فعل
صبراً على البلوى	مصدر

وإننا لنجد الإيجاز في الجمل والتراكيب، فالأسلوب فيها ليس فيه زوائد ولا فضول، فاللفظ على قدر المعنى، وكأنها رسم له رسماً، وهو لفظ لا يرتفع عن الأفهام ولا عن القلوب، بل يقترب منها حتى يلمس الشغاف.

ومن أساليب الإيجاز:

- المنيّة ولا الدنيّة، استقبال الموت خيراً من استبداره.
- من جار على شبابه، جارت عليه شيخوخته.
- على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

- ومن تكن العلياء همّة نفسه فكلُّ الذي يلقاه فيها محبّبٌ

- إن يكن عهدك ورداً إن عهدي لك أس

ولم يقتصر الأمر على الإيجاز في الجمل والتراكيب المستعملة، وإنما تعداه إلى الكتابة، إذ ليس ثمة حروف تكتب ولا تنطق كما سبقت الإشارة من قبل، وقد استثنوا من ذلك كلمات محدودة جداً مثل «عمرو» تفريقاً بينها وبين «عمر» ومثل طه وهكذا.. ويستتبع ذلك الإيجاز في عدد الحروف مقابل عدد الحروف في الكلمات الأجنبية، ففي الإنجليزية نلاحظ أن في عبارة What is this? عشرة حروف، وفي الفرنسية نلاحظ أن في عبارة Qu'est-ce que c'est? ستة عشر حرفاً، وفي الألمانية نلاحظ أن في عبارة Was ist das? تسعة حروف، على حين نلاحظ أن مقابل تلك العبارة الأجنبية في العربية هو «ما هذا؟» وفيها خمسة حروف فقط.

هـ- الإعراب:

ويعد الإعراب من سمات العربية وخصائصها، وقد سمّي إعراباً لسببين كما يرى ابن جني في كتابه «الخصائص»^(١) وهما الإبانة والإيضاح، ثم التغير من حال إلى حال. وللدلالة على أهمية الإعراب في فهم المعنى ننظر إلى الأمثلة التالية:

ما أكرم زيداً ! أسلوب تعجب

ما أكرم زيد ؟ أسلوب استفهام

ما أكرم زيدٌ أسلوب نفي

وفي الآية الكريمة «وإنما يخشى الله من عباده العلماء» لا بد من ضبط العلماء بالرفع حتى يستقيم المعنى، وفي قوله تعالى «إن الله بريء من المشركين ورسوله» لا بد من ضبط «رسوله» بالضم حتى يستقيم المعنى، وهكذا...

(١) ابن جني - الخصائص - تحقيق محمد علي النجار - دار الكتب - القاهرة عام ١٩٥٢ .

ويرى «ابن قتيبة»^(١) أن الإعراب جعله الله وشياً لكلام اللغة العربية وحلية لنظامها، وفارقاً في بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول لا يفرق بينهما إذا تساوت حالاهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالإعراب. ولو أن قائلاً قال: هذا قاتل أخى بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتل أخى بالإضافة، لدل التنوين على أنه لم يقتله، ودل حذف التنوين على أنه قد قتله.

تلك هي بإيجاز شديد بعض سمات لغتنا العربية. وهذه اللغة الأم الغنية بسماتها وخصائصها، والمتميزة بها، والتي أسهمت في مسيرة الحضارة البشرية، والتي وحدت بين العرب في مواضي الحقب، وما تزال توحد، هي في واقع مرّ، ويقول أحد المستشرقين في هذا الصدد: « ما رأيت لغة في العالم أغنى من اللغة العربية، وما رأيت لغة في العالم مظلومة من بينها أكثر من العربية! فما واقع هذه اللغة في حياتنا القومية؟

ثانياً. واقع اللغة العربية

ثمة تحديات خارجية تواجهها لغتنا العربية في عصرنا الحالي تتمثل في بعض جوانبها بالعولمة، وهذه العولمة الثقافية تروم نشر اللغة الإنجليزية مهيمنة في التعليم والتواصل، وهذا ما دفع أمريكا للوقوف ضدّ التنوع الثقافي والتعدد اللغوي في المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو).

واتخذت محاربة اللغة العربية الفصيحة أشكالاً متعددة منها:

- العمل على استبعاد العربية من اللغات العالمية المعتمدة في منظمة الأمم المتحدة، واللغات الرسمية في المنظمة «الإنجليزية، الفرنسية، الإسبانية، الصينية، الروسية، العربية» وذلك للأسباب الآتية:

(١) ابن قتيبة - تأويل مشكل القرآن - شرح وتحقيق السيد أحمد صقر - دار إحياء الكتب العربية - عيسى

البابي الحلبي وشركاه - القاهرة عام ١٩٥٤ ص ١١ .

▪ عدم وفاء معظم الدول العربية بالتزاماتها المتعلقة بدفع نفقات استعمال العربية في المنظمة.

▪ عدم استعمال ممثلي الدول العربية اللغة العربية في الأمم المتحدة في كلماتهم ومناقشاتهم وتعقيباتهم.

▪ عدم وجود مترجمين أكفيا يجيدون الترجمة.

وضغطت أمريكا على منظمة اليونسكو للعدول عن اعتمادها التنوع اللغوي، مما

جعل هذه المنظمة أخيراً تعلن أن الحقوق اللغوية تنحصر في ثلاثة:

- الحق في لغة الأم وليس اللغة الأم

- الحق في لغة التواصل في المجتمع

- الحق في لغة المعرفة.

وتعني هذه الحقوق فيما يتعلق ببلادنا العربية:

- لغة الأم هي اللهجة العامية أو إحدى اللغات الوطنية غير العربية.

- لغة التواصل هي اللهجة العربية الدارجة.

- لغة المعرفة العالمية هي الإنجليزية أو الفرنسية.

وتروج الدوائر المعادية لأمتنا لبعض المصطلحات، وتعمل على سيرورتها

وانتشارها ومن هذه المصطلحات «منطقة الشرق الأوسط» محل الأمة العربية أو الوطن

العربي بغية إزالة الطابع العربي وإقحام إسرائيل في المنطقة لتصبح جزءاً عضواً فيها.

وشاع المصطلح دون وعي فكانت لنا إذاعة وجريدة عربية كبيرة سميت به.

ومن هذه المصطلحات «الشراكة الأوروبية المتوسطية» وإسقاط الشريك العربي منها

بغية تغييب الصفة العربية من كل مصطلح أو عبارة وإقحام إسرائيل في هذه الشراكة.

ومن المحاولات تفرغ المناهج والكتب في مراحل التعليم العام وفي المرحلة

الجامعية من النماذج التأصيلية والنصوص التأسيسية للغة العربية وثقافتها، فيفرغ عقل الدارس ووجدانه من كل ما هو أصيل يصله بحقيقة لغته وثقافة أمته.

ومن الملاحظ التهميش للعربية لمصلحة الإنجليزية على أن الإنجليزية هي لغة عمل وتواصل على جميع الصعد بدءاً من النشر العلمي وتبادل الخبرات التقنية (التكنولوجية) ومروراً بالتعليم العالي والتجارة والصناعة والإعلام والإعلان وغيرها وصولاً إلى التعليم الأساسي ورياض الأطفال، وهذا يعني ضمور العربية واستخدامها في مجالات تقليدية محدودة.

ومن أشكال محاربة العربية وصم لغتنا بالتخلف وعدم مواكبة روح العصر والتفجر المعرفي وبأنها لغة البداوة وليست لغة العلم ووصمها بالصعوبة والتعقيد بسبب نحوها وصرفها وكثرة الحركات فيها، وأنها تفهم لتقرأ خلافاً لبقية اللغات.

ومن هذه الأساليب إحياء الدعوة إلى استخدام اللهجات العامية مجدداً، وتشجيع البحوث التي تخدم العاميات وتقديم الدعم المادي لها، وفي فرنسا لم يسمح لأبناء الجالية العربية أن يقدموا امتحاناتهم في الشهادة الثانوية بالفصيحة لغة ثانية بعد الفرنسية، وإنما سمح لهم بالعامية «لهجة المغرب العربي - لهجة مصر ووادي النيل - لهجة بلاد الشام - لهجة الجزيرة العربية».

ومن الأساليب أيضاً إحياء لغات الأقليات وتقديم الدعم للقائمين عليها تحت شعار حقوق الإنسان، وقد ورد في إحدى وثائق الخارجية الفرنسية «إن برنامج شمال إفريقيا كما يدرس اليوم كله تزييف وتحريف، ويجب على البربر أن يتحدوا ضد جريمة نكراء اسمها العروبة».

ولقد استضافت مدينة «جربة» التونسية المؤتمر السادس لما يسمى «الكونغرس العالمي الأمازيغي - جبهة مكناس» التي تأسست في باريس عام ١٩٩٥. وانعقد المؤتمر في أوائل تشرين الأول عام ٢٠١١ بالتعاون مع الجمعية التونسية للثقافة الأمازيغية» التي

نشأت بعيد الإطاحة بالرئيس زين العابدين بن علي، وحضره ممثلون للأمازيغ من جزر الكناري، النيجر، مالي، ليبيا، تونس، المغرب، الجزائر، مصر، المهجر الأوربي.

انعقد المؤتمر تحت شعار «الشعب الأمازيغي في الطريق إلى الحرية»، وقد حضر منظموه على المشاركين فيه استخدام اللغة العربية بذريعة أنها لغة احتلال واستعباد، وترمز إلى أربعة عشر قرناً قضاهما الأمازيغ تحت تسلط العرق العربي، في حين سمحوا باستخدام اللهجات المحلية لممثلي الدول المشاركة، إلى جانب اللغتين الفرنسية والإنجليزية، ناهيك باللغة الأمازيغية طبعاً.

وفي جامعة هلسنكي استبدل «كرسي الدراسات الإسلامية بكرسي الدراسات العربية الإسلامية»، استبعاداً للعربية من هذا الموقع.

وإذا أضفنا إلى ذلك كله التعميم على ثقافتنا العربية والحقد على حضارة أمتنا أدركنا عمق التحديات التي تواجهها أمتنا، ففي عهد الانتداب البريطاني احتج أليعازر بن يهودا على المندوب البريطاني على فلسطين لأنه صك نقوداً باللغتين الإنجليزية والعربية، وثار في وجهه قائلاً: أين اللغة العبرية؟

فما كان من المندوب إلا أن جمع النقود من الأسواق وأعاد صكها مجدداً باللغات الثلاث الإنجليزية والعربية والعبرية.

وهو الذي ركز على أن فلسطين هي أرض إسرائيل وقام بعبرنة الشاخصات على الطرقات.

وبعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ يقول ابن غوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل: نحن مضطرون لإزالة الأسماء العربية بما في ذلك التلال والوديان والينابيع، واختلاق أسماء عبرية لها لأسباب تتعلق بالهوية والدولة.

وفي احتلال العراق على يد الأمريكان والمتحالفين معهم حطّم ضريح نبوخذ نصر

وسوّي بالأرض، وأصبح موقعه موقفاً للسيارات العسكرية الأمريكية، وتمت سرقة مليون كتاب من أمهات الكتب وسرقة ثمانية ملايين وثيقة، وسرقة ١٧٠.٠٠٠ لوحة أثرية منها ١٤.٠٠٠ لوحة ليس لها مثيل.

وفي جنوب السودان بعد انفصاله اعتمدت حكومة الجنوب اللغة الإنجليزية لغة رسمية لها، وكانت بحاجة إلى مدرسين لهذه اللغة، فما كان من أمريكا وإسرائيل إلا أن مدّتا الحكومة بالآف المدرسين، وأمّنا لها حاجتها، في الوقت الذي كان فيه أصحاب العربية غافلين عن سيرورة لغتهم وانتشارها والتمكين لها على أرضهم، فحلت الإنجليزية مكانها.

أما التحديات الداخلية التي تواجهها لغتنا العربية فتتمثل في الهوة بين ما تنص عليه دساتير الدول العربية من حيث إن اللغة الرسمية هي العربية وبين ما يطبق على أرض الواقع، إذ إن ثمة تلكؤاً في تنفيذ موضوع التعريب وإصدار القرار السياسي بهذا الخصوص باستثناء سورية، ولقد أوصى وزراء الصحة العرب ووزراء التعليم العالي في مؤتمهم الذي عقده بدمشق في ثمانينات القرن الماضي بأن يكون عام ٢٠٠٠ نهاية لإنجاز تعليم الطب بالعربية في جامعات الوطن العربي ومعاهده، وها نحن أولاء في عام ٢٠١٢ نجد أن الأمور زادت سوءاً، وأن معظم الجامعات الحكومية في الوطن العربي تدرّس باللغة الأجنبية، الفرنسية في دول المغرب العربي والإنجليزية في دول المشرق العربي، وأن الجامعات الخاصة لا بل المدارس الخاصة تدرّس جميع المواد بالأجنبية حتى مواد العلوم الإنسانية، كما أن أبناء الطبقات الحزيرية وأهلهم يتباهون بتعليم أبنائهم الأجنبية بدءاً من رياض الأطفال، ويعمل بعض المثقفين على استخدام المصطلحات الأجنبية مع توافر البديل بالعربية، وباتت المراسلات بين المصارف والشركات بالأجنبية، وإنك لتجد الإعلانات في الطرقات، وفي الساحات العامة، وعلى واجهات المحال التجارية، بالعامية وبالأجنبية، وإذا وجدت العربية فزاحرة بالأغلاط اللغوية، وليس العاملون والعاملات

على الأرض العربية في حاجة إلى تعلم العربية ماداموا يقضون حاجاتهم، وينفذون مطالبهم بلغتهم الأم، أو بالأجنبية، وقد تنازل أصحاب اللغة العربية عن لغتهم ليتحدثوا مع هؤلاء بلغتهم أو بالأجنبية. وفي استبانة طبقت في دبي تبين أن أكثر اللغات استخداماً في الإمارة هي الأوردية، إذ جاءت في المرتبة الأولى، وفي المرتبة الثانية جاءت الإنجليزية، وفي المرتبة الثالثة جاءت لهجة «فيه معلوم»، وهي هجين من الإنجليزية والأوردية والعربية والروسية، وجاءت اللغة العربية في المرتبة الأخيرة.

ومن الملاحظ أيضاً أن المؤتمرات العلمية على الأرض العربية تعتمد أحياناً اللغة الأجنبية حتى لو كانت تناقش موضوعات عربية، كما أن ممثلينا في المحافل الدولية يستخدمون الأجنبية في الأعم الأغلب.

وفي دول المغرب العربي يشرف على التعليم العالي أساتذة وإداريون في الجزائر والمغرب لم يتخلصوا من هيمنة الفرنسية، ويقفون في وجه العربية، وينظرون نظرة فوقية إلى المؤهلين بها، ويصفونهم بالتخلف، وغدا التعليم العالي قلعة حصينة للتعليم بالفرنسية. وفي دول الخليج تعلّم في دولة قطر المواد العلمية في مراحل التعليم العام باللغة الإنجليزية وجيء بمدرسين أمريكيين أو بريطانيين لتدريس اللغة الإنجليزية والعلوم والرياضيات والمعلوماتية. أما في التعليم العالي فالتخصصات تدرس بالإنجليزية حتى في كلية الشريعة والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

وفي الإمارات العربية المتحدة تدرس العلوم والرياضيات بالإنجليزية أيضاً من الصف الأول حتى الصف الثاني عشر. وتهيمن الإنجليزية على التخصصات كافة في التعليم العالي حتى في قسم اللغة العربية.

وثمة قرار من وزارة التربية يسمح للمدارس الخاصة بتدريس العلوم والرياضيات باللغة الأجنبية والعربية.

وليس ثمة حوافر لمدرسي اللغة العربية من حيث الرواتب والترقي والتدريب، ويفضل مدرسو الإنجليزية عليهم، وهناك نظرة فوقية من ذوي الثقافة الإنجليزية إلى المؤهلين بالعربية.

وفي اجتماعات أولياء الأمور في المدارس الخاصة في بعض الدول العربية يطلب المشرفون إلى الأهلين التحدث مع أبنائهم في البيوت باللغة الأجنبية.

وهذه الإجراءات والممارسات كافة تدل على أن ما عجز الاستعمار عن تحقيقه في إبعاد لغتنا العربية وتميئها قد تحقق على أيدي أبناء اللغة أنفسهم عندما فتر الانتماء لديهم، وإذا فتر الانتماء وضعف يتحلل المرء من قيمه ويتخلى عن كثير من دعائم إنسانيته إلى جانب تخليه عن قوميته. والتحلل من الانتماء سلسلة متى بدأت تلاحقت تأثيراتها ومضاعفاتها، والنتيجة واحدة هي أن يخسر الإنسان نفسه، وتخسر الأمة هويتها.

ومن مظاهر الشكوى من ضعف الأداء اللغوي:

١- إعراض سواد الناس عن استعمال العربية السليمة إن في العملية التعليمية التعليمية أو في خارجها.

٢- الجنوح إلى استخدام العامية والألفاظ الأجنبية في مختلف مجالات الحياة.

٣- تفاقم ظاهرة إطلاق التسميات الأجنبية والعامية على المحال التجارية، وفي العلامات التجارية، والمنتجات الوطنية، والشركات، والمصانع، والمعامل،

والمطاعم، والفنادق، والمقاهي، وفي الإعلانات، والمطويات.

٤- انتشار العامية في الإعلام برامج، ومسرحيات، وحوارات.

٥- كثرة الأخطاء اللغوية المرتكبة في العملية التعليمية التعليمية.

٦- القصور في عملية التعبير اللغوي لدى المتخرجين.

٧- القصور في تمثل المقروء وإدراك ما وراء السطور.

٨- العزوف عن القراءة:

تشير الإحصاءات إلى أن الغربي يقرأ /٤٠/ / أربعين كتاباً في العام، وأن الإسرائيلي يقرأ /٣٥/ خمسة وثلاثين كتاباً في العام، وفي السنغال يقرأ السنغالي /٤/ أربعة كتب في العام. وفي الوطن العربي كتاب واحد لكل ثمانين شخصاً.

٩- ضآلة عدد المجالات المتخصصة الموجهة إلى الأطفال:

وتشير الإحصاءات أيضاً إلى أن في الوطن العربي نحواً من ٥٢٠ صحيفة يومية وأسبوعية يوازي عدد المطبوعات في دولة نامية مثل الباكستان، إذ يصل عدد الصحف اليومية فيها إلى ١٩٥ صحيفة، وعدد الصحف الأسبوعية إلى ٣٥٦ صحيفة.

أما المجالات المخصصة للأطفال في الوطن العربي فهي ٦٢ مجلة، ومنها ١٠-١٢ مجلة فقط توزع عبر أقطار الوطن العربي والبقية محلية التوزيع. وهذا العدد أقل من نصف عدد المجالات المخصصة للأطفال في دولة صغيرة مثل الدانمارك التي لا يزيد عدد سكانها على خمسة ملايين نسمة حيث يصل عدد المجالات المخصصة للأطفال إلى ١٨٠ مجلة أسبوعية وشهرية.

١٠- ضآلة المحتوى الرقمي العربي على الشابكة.

ثالثاً. التمكين للغة العربية

التمكين مصدر من الفعل مَكَّن، وفي المعاجم: مَكَّن الشيءُ يَمَكِّن مكانةً أي قوي ورَسَخ، ومَكَّنَ فلانٌ عند الناس أي عَظَم قدرُه عندهم وصار ذا منزلة رفيعة. ومَكَّنَ له في الشيء: أي جعل له عليه سلطاناً وقدره، وثَبَّتَه ووطَّده، وقد وردت هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة «١٢ مرة»: قال تعالى: «إنا مَكَّنَّا له في الأرض»، «ولقد مَكَّنَّاكم في الأرض»، «مَكَّنَّا ليوسف في الأرض».. الخ، فتمكين اللغة العربية يعني تثبيتها قويةً راسخةً وقادرةً وذات مكانة رفيعة.

لقد كانت اللغة العربية مهمّشة ومستبعدة أيام الحكم العثماني لبلاد الشام في مطلع القرن الماضي على يد جماعة الاتحاد والترقي، وانتهاجها سياسة التريك.

وما إن تحررت بلاد الشام من تلك السياسة، حتى عادت للعربية مكانتها، وأسس في دمشق المعهد الطبي العربي عام ١٩١٩، في عهد حكومة الأمير فيصل، وأصبح فيما بعد كلية الطب في الجامعة السورية، وإلى جانبها كلية الحقوق، وغدا التدريس فيهما بالعربية. وأنشئ المجمع العلمي العربي في هذا العام.

وأخفق الانتداب الفرنسي في فرض لغته على سورية، وبعد نيل الاستقلال وجلاء المستعمر الفرنسي نص الدستور السوري على أن اللغة الرسمية في الدولة هي العربية، وجسّد ذلك عملياً بإصدار قانون لحماية اللغة العربية عام ١٩٥٢.

وكان ثمة تعاون بين الجامعيين والمجمعين لسدّ حاجات الكليات العلمية، وتسلّح رجالات التعريب الأوائل بالإيمان، وقوة الانتماء، وقوة الإرادة، فألّفوا، وترجموا أمهات الكتب في العلوم الإنسانية والبحثية، والتطبيقية، ومما ساعد على التأليف إلى جانب الكتب المرجعية وجود معاجم متخصصة.

وأصدرت سورية حزمة من القوانين والتشريعات والقرارات لحماية اللغة العربية:

أ- المرسوم التشريعي ذو الرقم ١٣٩ والتاريخ ٦/١١/١٩٥٢ يتضمن تعزيز استعمال اللغة العربية في البيئة، وذلك بمنع إطلاق الأسماء الأعجمية على المحال العامة والخاصة.

ب- بلاغ من رئاسة مجلس الوزراء رقم ٩٥/ب لعام ١٩٧٠ ينص على الحد من طغيان الأسماء الأجنبية على المحال العامة والخاصة.

ج- تعميم من رئاسة مجلس الوزراء إلى الجهات المعنية عام ١٩٨٠ حول تعريب أسماء المحلات القائمة في البلاد.

د- قرار وزير السياحة لعام ١٩٨٠ يتضمن اختيار الأسماء العربية فقط للمنشآت

السياحية على اختلاف درجاتها، وفئاتها، ويحظر عليها استخدام أسماء أجنبية.

هـ- المرسوم الجمهوري ذو الرقم ٧٥٩ لعام ١٩٨٣ حول تدريس اللغة العربية في جميع

سنوات الدراسة لغير المتخصصين.

و- توصية اللجنة الثقافية لعام ١٩٨٤ باختيار المعيدين وأعضاء الهيئة التدريسية من

الذين يحسنون اللغة العربية في التدريس، واعتماد شرط إتقان اللغة العربية في ترقية

أعضاء الهيئة التدريسية في مؤلفاتهم، وبحوثهم، وتدريسهم.

ز- تعزيز تعلم اللغات الأجنبية إلى جانب العربية.

ح- القرار الجمهوري ذو الرقم ٤ لعام ٢٠٠٧ المتضمن تشكيل لجنة التمكين للغة

العربية، ومهمتها وضع خطة عمل وطنية للتمكين للغة العربية والحفاظ عليها،

والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها، ومتابعة تنفيذها.

ولقد قامت اللجنة المشكلة بوضع خطة العمل الوطنية للتمكين وقد اشتملت

الخطة على أربعة أقسام:

١- المسوّغات التي دعت إلى وضعها.

٢- الواقع اللغوي والعوامل المؤثرة فيه.

٣- سبل المواجهة.

٤- القضايا الملحة التي تتطلب المعالجة السريعة.

وتتسم الخطة الموضوعية بالشمولية وتوزيع الأدوار على قطاعات المجتمع كافة

ليضطلعوا بدورهم في إنفاذ بنود الخطة.

والسؤال: ماذا أنجزت اللجنة حتى الآن، وقد مضى على تشكيلها خمس سنوات؟

من إنجازات اللجنة:

- ١ - تشكيل لجان فرعية في بعض الوزارات المعنية للتمكين للغة العربية.
- ٢ - تشكيل لجان فرعية في جميع المحافظات السورية.
- ٣ - إصدار تعاميم من رئاسة مجلس الوزراء، ومن هذه التعاميم:
 - أ- تعميم على الوزارات والمؤسسات والإدارات وعلى الشركات في القطاع الخاص وغرف الصناعة والتجارة، يتضمن تكليف مدققين لغويين لتصحيح المراسلات الصادرة.
 - ب- تعميم على الوزارات والمؤسسات والإدارات يدعو إلى رفع قوائم بالمصطلحات الأجنبية في مجالات عملها إلى مجمع اللغة العربية بدمشق لوضع التسميات العربية المقابلة لها.
 - ج- تعميم على المحافظات لإزالة اللبس من فهم بعض مواد قانون حماية اللغة العربية «التسمية العربية لا الكتابة بالحروف العربية للكلمات الأجنبية، إلا إذا كانت المنشأة الخدمية والسياحية فرعاً لشركة أو مؤسسة دولية».
 - د- تضمين الإعلان عن المسابقات شرط النجاح في اللغة العربية إلى جانب المعلوماتية واللغة الأجنبية.
- ٤ - عقد اجتماعات دورية لرؤساء لجان التمكين في المحافظات في وزارة الإدارة المحلية للبحث في أمور المتابعة وتذليل العقبات.
- ٥ - تشكيل لجان في المدن لمسح الشوارع، والوقوف على التسميات الأجنبية، لوضع البديل العربي المقابل لها بالتنسيق مع مجمع اللغة العربية.
- ٦ - تعميم التجارب الناجحة على المحافظات، وتوجيه كتب شكر لأصحابها.
- ٧ - تكريم المجلّين في مجال التمكين.
- ٨ - تعميم نظام الرومنة.

- ٩ - عقد دورات تدريبية للعاملين في بعض الدوائر لتدريبهم على أصول التراسل، والكتابة السليمة بالعربية، والتركيز في الدورات التدريبية على الجانب العملي.
- ١٠ - إلقاء محاضرات في مجال التوعية اللغوية في المراكز الثقافية، وفي المنتديات، وفي الاتحادات، والنقابات، والمنظمات.. الخ ونشر مقالات في الصحف والمجلات.
- ١١ - طباعة كتب تناولت خصائص العربية وميزاتها.

وزارة التربية:

- ١ - التعميم على جميع المعلمين لاستخدام العربية الفصيحة في العملية التعليمية التعليمية.
- ٢ - تعديل استمارة تقييم أداء المعلمين بإضافة بند ينص على مدى سلامة لغة المعلم في شرح دروسه، وتفاعله مع طلبته، وبند ينص على مدى اهتمامه بالمناشط اللغوية اللاصفية.
- ٣ - وضع معايير للضبط اللغوي «ضبط كتب الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي كافة، وضبط ما يخشى منه اللبس في المراحل التالية».
- ٤ - الإكثار من المناشط اللغوية اللاصفية.
- ٥ - تفعيل المكتبات المدرسية.
- ٦ - تفعيل المسرح المدرسي.
- ٧ - تخصيص الحصة الأولى من يوم ٢١ شباط للحديث عن يوم اللغة الأم، والحصة الأولى من أول آذار للحديث عن يوم اللغة العربية.
- ٨ - استعمال العربية السهلة في حوارات الفضاءية التربوية، وتخصيص حيز للتوعية اللغوية فيها.
- ٩ - تطوير المناهج، والتركيز على المتعلم والحوار.

١٠ - إجراء مسابقات في المدرسة الواحدة، وبين المدارس في المحافظة الواحدة، وبين المحافظات في مجال المهارات اللغوية، وبالتنسيق مع اتحاد شبيبة الثورة، وتكريم الفائزين.

١١ - عقد دورات تدريبية للمعلمين وبخاصة معلمو الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي ومربيات رياض الأطفال للتدريب على استعمال العربية السليمة في التعامل مع الأطفال، وتخصيص حيز من دورات التدريب المستمر للمهارات اللغوية.

١٢ - وضع تعيينات للألعاب اللغوية.

١٣ - الإكثار من الأناشيد المؤداة بالفصيحة.

١٤ - استثمار مجالس أولياء الأمور للتوعية اللغوية.

وزارة التعليم العالي:

١ - التعميم على أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعات لاستعمال العربية الفصيحة في مناقشاتهم، ومحاضراتهم، وتقويم رسائل الماجستير والدكتوراه.

٢ - التدقيق اللغوي للكتب المؤلفة، والمترجمة.

٣ - تعريب رسائل الدكتوراه والماجستير للمعيدين الموفدين، وجعل ذلك شرطاً للتعين، والتأصيل.

٤ - استعمال العربية الفصيحة في العملية التدريسية في الجامعات الرسمية والخاصة، والسماح بتدريس مقررین بالأجنبية في الجامعات الخاصة.

٥ - وضع ثب في نهاية الكتب المؤلفة للمصطلحات الأجنبية، ووضع المقابل العربي لها.

٦ - موافاة مجمع اللغة العربية بقوائم تتضمن المصطلحات الأجنبية والمقابلات العربية لها لدراستها، وبيان الرأي فيها، تمهيداً لاعتمادها.

- ٧- النص على السلامة اللغوية في ترقية أعضاء الهيئة التدريسية.
- ٨- تطوير مناهج معلمي الصف ورياض الأطفال بالتنسيق مع وزارة التربية.
- ٩- تشكيل لجنة لوضع اختبار بالعربية على غرار التوفل بالإنجليزية.
- ١٠- مدّ بعض الجامعات العربية بالخبرات الكافية في مجال التعريب «السودان، ليبيا، الجزائر».

وزارة الثقافة:

- ١- طباعة كتب تناولت التحديات المعاصرة التي تواجهها لغتنا العربية ضمن سلسلة «التمكين للغة العربية».
- ٢- إلقاء محاضرات توعية في المراكز الثقافية.
- ٣- إقامة معارض لإيصال الكتب إلى القراء بأسعار زهيدة.
- ٤- توزيع الكتب مجاناً بالتعاون مع جريدة البعث.
- ٥- زيادة نسبة ما يترجم إلى العربية وزيادة نسبة كتب الأطفال.
- ٦- إنشاء جمعيات أصدقاء اللغة العربية في بعض المراكز الثقافية، وفي المحافظات، والوادي، والجمعيات.

- ٧- إحداث جائزة الدولة التقديرية للآداب والعلوم الإنسانية.
- ٨- تفعيل مسرح الأطفال لعرض المسرحيات بالعربية السهلة الميسرة.

وزارة الإعلام:

- ١- إجراء دورات تدريبية للمذيعين والمذيعات.
- ٢- عقد ندوات، وإجراء مقابلات إذاعية وتلفزيونية بمناسبة الاحتفالات بيوم اللغة الأم، ويوم اللغة العربية.
- ٣- نشر زوايا لغوية، ومقالات في الصحف في مجال التوعية اللغوية.

- ٤ - بث نشرات تلفزيونية إعلانية، تدعو أصحاب المحال التجارية لمراجعة مديريات التجارة الداخلية بخصوص وضع التسميات العربية.
- ٥ - وضع الكلمات العربية في الإعلانات، واستبعاد العامية والكلمات الأجنبية منها.
- ٦ - وضع برامج بالفصيحة المبسطة للأطفال.
- ٧ - بث برامج شعرية.
- ٨ - عدم إعطاء الموافقات لطباعة الكتب إن لم تكن سليمة لغوياً.

وزارة الأوقاف:

- ١ - اختيار الخطباء على أساس الكفاية اللغوية.
- ٢ - التعميم بعدم استخدام العامية في الخطب، والمحاضرات، والدروس.
- ٣ - تخصيص بعض خطب الجمعة للتوعية اللغوية، وتبيان الدور القومي للغة في وحدة الأمة، وفهم العقيدة.
- ٤ - إقامة دورات تدريبية.
- ٥ - طباعة كتب، تناولت خصائص العربية وسماتها.
- ٦ - إقامة ندوات ومهرجانات بمناسبة الاحتفال بيوم اللغة الأم ويوم اللغة العربية.
- ٧ - تكريم كوكبة من خدموا اللغة العربية.
- ٨ - رفد المكتبات في المدارس الشرعية والمعاهد بكتب تراثية ومعاصرة.

وزارة الاقتصاد والتجارة:

- ١ - التعميم على المديريات للحؤول دون منح أي موافقة لافتتاح محال أو فروع لمؤسسات تجارية أو خدمية إن لم تكن تسميتها بالعربية، واستثناء الشركات والمؤسسات الأجنبية التي لها فروع في الدول فتكتب التسمية الأجنبية تحت كتابتها بالعربية.

٢- التفريق بين العلامات التجارية، وأسماء المحال.

٣- إعادة النظر في التسميات القديمة.

وزارة الداخلية:

١- التعميم بخصوص إزالة العاميات الواردة في العبارات المكتوبة على مركبات النقل.

٢- رفق مكتبات السجون بالكتب التعليمية والثقافية العامة.

وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل:

١- التعميم على الجمعيات الأهلية والمنتديات ضرورة الإسهام في التوعية اللغوية للأهلين، عبر المحاضرات، والندوات التي تقوم بها تلك الجمعيات، والمنتديات.

٢- التعميم على الجمعيات والنوادي للعناية بمكتباتها.

وزارة الإدارة المحلية:

١- تشكيل لجان فرعية للتمكين في المحافظات.

٢- عقد اجتماعات دورية في الوزارة، يحضرها رؤساء لجان التمكين الفرعية في المحافظات برئاسة معاون وزير الإدارة المحلية، وحضور رئيس اللجنة العليا للتمكين، للتباحث في سير عمل لجان التمكين الفرعية، والوقوف على الصعوبات، والمقترحات لتذليلها.

٣- التركيز على الجانب العملي في الدورات التدريبية.

٤- تعميم نظام الرومنة.

٥- تعميم تعليقات استبدال الكلمات العربية بالأجنبية.

٦- تعميم التجارب الناجحة.

٧- توجيه كتب شكر لذوي الأداء المتميز.

٨- الإجابة عن أسئلة بعض المواطنين حول وضع التسميات العربية مقابل التسميات الأجنبية لبعض المحال التجارية والخدمية.

٩- رفع محاضر اجتماعات اللجان الفرعية للتمكين إلى اللجنة العليا للتمكين.

مجمع اللغة العربية بدمشق:

١- الرد على الأسئلة الواردة من بعض المواطنين بخصوص وضع تسميات عربية مقابل الكلمات الأجنبية.

٢- دراسة المصطلحات الواردة إليه من بعض الجهات في الدولة.

٣- دراسة بعض الأخطاء الشائعة، وإصدار القرارات اللازمة بشأنها.

٤- طباعة الكتب المحققة والمؤلفة.

٥- إلقاء محاضرات وعقد ندوات.

٦- وضع مصطلحات في مختلف ميادين المعرفة.

المنظمات «منظمة الطلائع - اتحاد شبيبة الثورة»:

١- تفعيل المناشط اللغوية بطريق المسارح وغيرها من الأنشطة.

٢- إجراء مسابقات، وتكريم الفائزين.

اتحاد الكتاب العرب:

١- محاضرات توعية، ونشر زوايا، ومقالات في مجال التوعية اللغوية، في المجالات والدوريات التي يصدرها الاتحاد.

٢- طباعة كتب، تناولت مزايا اللغة العربية وخصائصها.

٣- التعميم على فروع الاتحاد لالتزام العربية في مناشطها وفعاليتها.

الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية:

١- العمل على زيادة المحتوى الرقمي بالعربية.

٢- تخصيص جوائز للعاملين على زيادة المحتوى الرقمي بالعربية على الشبكة
«الإنترنت» (جائزة الكندي لأحسن موقع وأفضل بحث..).

٣- وضع موقع للجنة التمكين على الشبكة.

غرف الصناعة والتجارة:

١- المراسلات بين غرف الصناعة والتجارة بالعربية.

٢- السعي إلى استبعاد الكلمات الأجنبية عن الملابس والأكياس.

٣- تخصيص مكاتب في الشركات والمصانع لمساعدة العاملين على القراءة، وزيادة ثقافتهم.

الاتحادات والنقابات والجمعيات الأهلية:

١- الإسهام في التوعية اللغوية.

٢- إجراء مسابقات لغوية، وتكريم الفائزين فيها.

٣- تكريم كوكبة من الذين خدموا العربية.

وتقوم اللجان الفرعية في المحافظات بدورها في مجال التمكين للغة العربية، وتضع خطة عمل سنوية تعمل على إنفاذها، ففي خطة العمل السنوية التي وضعتها لجنة التمكين الفرعية في محافظة الحسكة لعام ٢٠١٢ نجد أن اللجنة تعمل على استكمال ما تم تنفيذه في مجال إشاعة التسميات العربية على واجهات المحال التجارية والخدمات والسياحية وتصويب المخالف منها، كما تعمل على تنفيذ دورات تدريبية، ووزعت الأدوار على المديرية في المحافظة، فمديرية الثقافة تقوم بتنفيذ ندوات ومحاضرات واحتفالات وأمسيات وحلقات كتب على مدار العام، ومديرية التربية تعمل على تنفيذ التعاميم الوزارية من حيث إجراء مسابقات والتزام الفصيحة، وإغناء المكتبات المدرسية، وإقامة احتفالات، والإكثار من المناشط اللغوية اللاصفية وعرض الأناشيد بالفصيحة... الخ،

ويقوم فرع اتحاد الكتاب العرب بمناقشة المسائل الإشكالية في اللغة وإقامة سلسلة من المحاضرات في المراكز الثقافية، وإجراء مسابقات.

وقامت اللجنة أيضاً بتكليف سائر المديریات في المحافظة القيام بدورها في مجال التمكين «مديرية الشؤون الاجتماعية والعمل، اتحاد شبيبة الثورة، فرع منظمة الطلائع، جامعة الفرات، فرع الاتحاد الوطني لطلبة سورية، المكتب الإداري للاتحاد النسائي، لجنة الصحفيين، مديرية الأوقاف، مديرية الاقتصاد والتجارة، مديرية السياحة، فرع الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية، المركز الإذاعي والتلفزي، المكتب الفرعي لنقابة المعلمين».

الإسهام في وضع مشروع «النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة»:

وهو المشروع الذي تقدمت به الجمهورية العربية السورية إلى مؤتمر القمة العربي الذي عقد في دمشق عام ٢٠٠٨ وتمت الموافقة عليه، وتقديم الشكر للجمهورية العربية السورية على مبادرتها لإطلاق هذا المشروع.

ويهدف المشروع إلى الحفاظ على الهوية العربية متمثلة في لغتنا الأم «العربية الفصحى»، والاهتمام بهذه اللغة، على أنها وعاء للمعرفة، وسبيل الأمة نحو التوجه إلى مجتمع المعرفة، ودعم التنمية الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، في الدول العربية استناداً إلى دور اللغة الأم في هذه المجالات.

ويتضمن المشروع وضع سياسة لغوية قومية، وسياسات وطنية متناسقة معها، وخطط لتنفيذها من خلال برامج وطنية وقومية، ووضع برامج قومية ووطنية لمعالجة قضايا اللغة العربية ذات الأولوية في التوجه نحو مجتمع المعرفة واقتصاد المعرفة في مجالات تحديث مناهج تعليم اللغة العربية، واستخدام التقانة، واعتماد مبدأ التعلم الذاتي، والعناية بمدرسيها، وتعريب العلوم والتقانات، وتوطينها لدى القوى العاملة العربية في جميع القطاعات، تعليماً وتأليفاً، وترجمة، مع الاهتمام باللغات الأجنبية اهتماماً كبيراً، وفصل

مسألة إتقان اللغات الأجنبية عن مسألة التعليم بها، إذ لم يرَ التاريخ تقدم أمة من الأمم بغير لغتها، ومن الشواهد على ذلك أن كوريا تحتل المرتبة السابعة والعشرين في تقرير التنمية البشرية وتدرّس بلغتها الأم، كما أن الباكستان دولة صناعية نووية بنت نهضتها بلغتها الوطنية، وكذلك الأمر في فنلندا التي تحتل المراتب الأولى في سلم التنمية البشرية، وكان عدد الدول في سلم التنمية البشرية مئة وسبعاً وسبعين دولة، وقد جاء ترتيب الدول العربية فيه على النحو التالي:

١١٢	مصر	٩٧	تونس
١٢٩	جزر القمر	٩٩	الأردن
١٣٧	موريتانيا	١٠٤	الجزائر
١٤٧	السودان	١٠٨	سورية
١٥٣	اليمن	١١٢	المغرب

ورحم الله الدكتور طه حسين إذ يقول: «إن اللغة العربية لن تتطور ما لم يتطور أصحابها أنفسهم، ولن تكون لغة حية إلا إذا حرص أصحابها على الحياة، ولن تكون لغة قادرة على الوفاء باحتياجات العصر إلا إذا ارتفع أصحابها إلى مستوى العصر ثقافة وسلوكاً وفهماً، أخذاً وعطاء».

وتعزيز استعمال اللغة العربية في الإعلام والإعلان، ووضع برامج لتعزيز البحث والتطوير، وزيادة عدد المؤسسات العاملة في مجال بحوث اللغة العربية وإصدار تشريعات وطنية لحماية اللغة العربية، وترقية استخدامها، وتطوير استعمالاتها في الإعلام والإعلان، وفي المواقع العربية على الشبكة «الإنترنت»، وزيادة المحتوى العربي، ووضع برامج للتوعية اللغوية، وتأكيد استعمال اللغة العربية رسمياً في المحافل الإقليمية، والدولية، والنشاطات العلمية والثقافية كالمؤتمرات والندوات.

وقد أنجزت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عدداً من الفعاليات المتعلقة بالمشروع، وتم إنجاز بعضها بإشراف من رئيس لجنة التمكين للغة العربية «مناهج اللغة العربية في الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي - الخطة العامة لتعريب التعليم - المحتوى الرقمي للغة العربية على الشبكة «الإنترنت» - مسابقات تدني مستوى الأداء في اللغة العربية».

عقد اجتماع مائدة مستديرة لرؤساء جمعيات حماية اللغة العربية في الوطن العربي:

قامت لجنة التمكين بدعوة رؤساء جمعيات لحماية اللغة العربية في الوطن العربي إلى اجتماع عقد في دمشق في ٢٩ و ٣٠ أيلول عام ٢٠١٠ برعاية السيدة نائب رئيس الجمهورية الدكتورة نجاح العطار. وحضر الاجتماع رؤساء جمعيات حماية اللغة العربية في كل من المغرب ومصر والجزائر والسودان والإمارات ولبنان. وكان الغرض من الاجتماع البحث في تجارب حماية اللغة العربية والدفاع عنها والتمكين لها وتبادل الخبرات، وقد صدر بيان في نهاية الاجتماع أطلق عليه «إعلان دمشق لرؤساء الجمعيات الأهلية للدفاع عن اللغة العربية في الوطن العربي ولجنة التمكين للغة العربية»، واشتمل الإعلان على المخاطر التي تواجه اللغة العربية على الصعيدين الداخلي والخارجي، وأبان هذه المخاطر، وأشار إلى مسؤولية الحفاظ على اللغة العربية تتطلب إصدار قوانين، وتشريعات، ترمي إلى حماية اللغة، وتعزز سيرورتها، وانتشارها في جميع مجالات الحياة، وأبان البيان أن التجربة السورية في التعليم باللغة الأم في جميع مراحل التعليم أثبتت نجاعتها، وتميزها على مدى قرن كامل، وتعد أنموذجاً رائداً في الحفاظ على الهوية العربية.

ودعا المشاركون في الاجتماع إلى تعميم السياسة اللغوية السورية في التعليم باللغة الأم والتجربة السورية في التمكين للغة العربية على الأقطار العربية، وتعميم التجربة السودانية التي قطعت أشواطاً في مجال التعريب في التعليم العالي للاستئناس بهذه

التجارب، وقدروا عالياً مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة الذي تقدمت به سورية إلى مؤتمر القمة العربي الذي عقد بدمشق عام ٢٠٠٨، واعتمده المؤتمر بعد أن قدم الشكر لسورية على إطلاق هذا المشروع الرائد، وأكدوا ضرورة التعاون الوثيق مع مجامع اللغة العربية في الوطن العربي، والعمل على تنفيذ قراراتها، وتوصياتها المتعلقة بالشؤون اللغوية، والدفاع عن العربية، كما أكدوا ضرورة التنسيق بين الجهود الشعبية، والحكومية الرسمية، كما دعوا إلى ضرورة إنشاء جمعيات أهلية ومدنية لحماية اللغة العربية في سائر أقطار الوطن العربي، وضرورة التوجه إلى الشباب على أنهم عماد المستقبل العربي، والعمل على الحوار معهم، ودعوا أخيراً إلى تعاون أوثق بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، والجمعيات الأهلية المعنية باللغة العربية.

وأخيراً، تلك هي إشارات إلى ما قامت به لجنة التمكين للغة العربية، ولا بد للجنة من أن تقدم الشكر الجزيل إلى السيدة نائب رئيس الجمهورية التي ترفع إليها اللجنة تقارير المتابعة، وتحظى بتوجيهاتها وإلى رئاسة مجلس الوزراء، والوزراء، والمحافظين، والاتحادات، والنقابات، والجمعيات، لما بذله هؤلاء جميعاً من جهود في مجال التمكين للغة العربية.

ويجيء السؤال: هل حققت اللجنة الأهداف المرسومة لها في متابعة تنفيذ بنود خطة العمل الوطنية لتمكين اللغة العربية، والحفاظ عليها، والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها؟

الواقع لقد قطعت اللجنة خطوة في مجالات عملها، وما تزال أمامها خطوات، مع الأخذ بالحسبان أن التمكين للغة إنما هو مسؤولية الجميع، ومسؤولية أبناء الأمة كافة مادامت العربية لغتهم الأم، وجميل جداً أن يكون الأبناء بررة بأمهاتهم وأوفياء لهن، إذ لا شيء أمر من العقوق! واللجنة تحت أقدام الأمهات.

إن اللغة العربية الأم الولود الودود الحنون الغنية والسخية ليست بعاجزة عن مسامرة ركب العلم الحديث، وإنما أبنائها العاقون هم العاجزون، وهم الذين يجربون بيوتهم بأيديهم، ويطفئون نور حضارتهم بأفواههم، ويطمسون معالم شخصيتهم العربية الإسلامية الأصيلة بأرائهم المنحرفة.

لقد جاء في فقه اللغة للثعالبي «من أحب الله أحب نبيه المصطفى ﷺ العربي، ومن أحب نبيه العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية، ومن أحب اللغة العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها».

إلا أن حب اللغة العربية والتعلق بها لا ينبغي بأي حال من الأحوال أن يتحول إلى عصبية لغوية، فنحن نحترم اللغات كافة على غرار ما انتهجته أمتنا العربية من قبل في منأى عن أي تعصب أو تشنج، ولكننا في الوقت نفسه لا نعمل على التفريط بحق لغتنا الأم والدفاع عن حدودها، إذ إن لها حدوداً كما للوطن حدود، لا تترك للمعتدين عليها والمتجاوزين لها. وإذا كانت العصبية مرفوضة فإن التفريط في اللغة غير مقبول على الإطلاق!

وإذا كنا نحب اللغة العربية فإننا نحبها للأسباب التي عبر عنها شاعرنا العربي قائلاً:

إني أحبك كي أبقى على صلة بالله، بالأرض، بالتاريخ، بالزمن

أنت البلاد التي تُعطي هويتها من لا يحبك يبقى دوناً وطن

ولقد نقل عن ابن تيمية قوله: «إن اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بالعربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من المعوقات التي تعترض عمل لجنة التمكين من حيث فتور الانتفاء لدى بعضهم، وفتور الحماسة لديهم، وسيطرة عقدي التصاغر والتكابر

عليهم، التصاغر تجاه اللغات الأجنبية، والتكابر على لغتهم الأم، فإن اللجنة تتسلح في مجالات عملها بالصبر:

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا
كما تتسلح بالمتابعة الحثيثة والإصرار وتأكيد طلباتها حتى تحظى بتحقيقها، إذ إنها
طلبت إلى وزارة التعليم العالي من قبل أن تكون لغة التدريس في الجامعات الخاصة هي
العربية على غرار ما هو مطبق في الجامعات الحكومية، فلم تستجب الوزارة لطلبها،
فأكدت الطلب ثانية وثالثة إلى أن استجاب مجلس التعليم العالي وأصدر تعميماً على
الجامعات الخاصة ينص على اعتماد اللغة العربية في التدريس ما عدا مقررين اثنين يدرسان
باللغة الأجنبية. وتلقت لجنة التمكين من منظمة الصحة العالمية الشكر لمسعاها في اعتماد
العربية الفصيحة في التدريس في الجامعات الخاصة.

ورأت اللجنة في متابعتها للغة ما ينشر في الصحف والمجلات أن ثمة مجلة عنوانها
«سالب موجب» تنشر أخباراً اجتماعية، إلا أن لغتها زاخرة بالأخطاء، فطلبت اللجنة إلى
المسؤولين عنها أن يكلفوا مدققاً لغوياً لتلافي تلك الأخطاء، وراقبت الأعداد التالية، فإذا
المجلة مستمرة في ارتكاب الأخطاء، فأكدت اللجنة طلبها للمرة الثانية والثالثة،
فاستجابت المجلة أخيراً، وصدرت بلغة تكاد تكون خالية من الأخطاء، وقدمت اللجنة
الشكر لمديرها المسؤول ورئاسة التحرير على الاستجابة.

والواقع أن الانتماء والعمل التطوعي، والوعي اللغوي بالدور الذي تؤديه اللغة في
الحفاظ على كيان الأمة، والحوّول دون الذوبان والاحياء، يساعد كثيراً على تخطي
الصعاب، ذلك لأن العروبة ليست رداء نرتديه ساعة نشاء ونخلعه ساعة نشاء، إنها قدرنا
ولون عيوننا ولحمنا ودمنا وكياننا، وهي منظومة من القيم، وهي الرابطة والانتماء والهوية
التي تعبر عنها اللغة العربية. ولغتنا العربية هي هُويّة الأمة، وذاكرتها، والوطن الروحي

لها، وهي حصنها في الدفاع عن ثقافتها، وحصنها الدافئ الحنون لأبنائها، والرباط القومي الموحد والموحد على نطاق الساحة العربية.

إن عملنا في التمكين للغة العربية يحتاج منا جميعاً أبناء العربية إلى عمق الانتماء، وصلابة الإيمان، وقوة العزيمة، وشحذ الإرادة، والإقدام، والتفاؤل بمستقبل الأمة ولغتها العربية الخالدة.



مَرَجِعُ الْفَضْلِ

- ١- ابن قتيبة- تأويل مشكل القرآن- شرح وتحقيق السيد أحمد صقر- دار إحياء الكتب العربية- عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة ١٩٥٤.
- ٢- ابن جنبي- الخصائص- تحقيق محمد علي النجار- دار الكتب- القاهرة ١٩٥٢.
- ٣- الثعالبي (عبد الملك بن محمد بن اسماعيل أبو منصور)- فقه اللغة وسر العربية- تحقيق مصطفى السقا وزميليه- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة ١٩٧٢.
- ٤- الدكتور محمود أحمد السيد- في طرائق تدريس اللغة العربية- منشورات جامعة دمشق ٢٠٠٨.
- ٥- الدكتور محمود أحمد السيد- خطة عمل وطنية لتمكين اللغة العربية، والحفاظ عليها، والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها- دمشق ٢٠٠٧.

الفصل العاشر

«مُسْتَقْبَلُ الْعَرَبِيَّةِ وَمُنْطَلَبَاتُ الْعَصْرِ الْقَادِمِ»

أولاً - ما مستقبل اللغة العربية؟

ثانياً - من خصائص العصر القادم

ثالثاً - اللغة العربية ومتطلبات العصر القادم

- ١ - حسم موضوع التعريب.
- ٢ - وضع قوانين لحماية اللغة العربية.
- ٣ - اعتماد مبدأ التعلم الذاتي.
- ٤ - استخدام التقانات الحديثة.
- ٥ - المرونة وتقبل التغيير.
- ٦ - العناية بالصناعة المعجمية.
- ٧ - اعتماد التربية في العمق تحقيقاً للإبداع والابتكار.
- ٨ - إعداد الفرد للحياة.
- ٩ - العناية بلغة الطفولة المبكرة والتعليم الأساسي.
- ١٠ - تفصيح العاميات.
- ١١ - إعداد المعلمين الأكفيا.
- ١٢ - حرية المعلم.
- ١٣ - تفعيل المجامع اللغوية.
- ١٤ - الإكثار من جمعيات التمكين للغة العربية وحماتها.
- ١٥ - العناية بالترجمة من العربية وإليها.
- ١٦ - الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية.

الفصل العاشر مستقبل اللغة العربية ومطلبات العصر القادم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحاول في هذا الفصل أن نتعرف مستقبل اللغة العربية في العصر القادم، وأن نقف على بعض من خصائص هذا العصر وتحدياته، ومن ثمّ نبين ما الذي تفرضه علينا طبيعة العصر تجاه لغتنا لمواجهة التحديات وتجاوز السلبات؟

أولاً- ما مستقبل اللغة العربية؟

طرح هذا السؤال في العقد الثالث من القرن الماضي، وأجابت عنه كوكبة من رجالات الفكر، وما يزال هذا السؤال مطروحاً في أيامنا في أجواء تشير إلى أن ثمة لغات تنقرض سنوياً على الصعيد العالمي، وأن المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو» تحذر المجتمع الدولي من خطورة انقراض عدد من اللغات الأم، الأمر الذي دعاها إلى تخصيص اليوم العالمي للاحتفال باللغة الأم في الحادي والعشرين من شهر شباط «فبراير» من كل عام، كي تقوم المجتمعات بالحفاظ على لغاتها عنواناً لشخصياتها، ورمزاً لذاتها الثقافية، في ضوء ما اعتمدته المنظمة الدولية من الأخذ بالتنوع الثقافي والتنوع اللغوي.

ويرى نفر من المفكرين أن اللغة العربية ستبقى في المستقبل محافظة على كيانها، ولن تعرف الأبول والانقراض مادام القرآن الكريم حارساً لها، ومحافظاً عليها، فهذا هو ذا جول فرن، الكاتب القاص الفرنسي، ذو الخيال العلمي، يقول في إحدى قصصه: «إن قوماً

اخترقوا باطن الكرة الأرضية، وخطر لهم أن يتركوا هنالك أثراً يدل على مبلغ وصولهم، فتركوا هنالك حجراً نقشت عليه عبارة باللغة العربية، ولما سألوا جول فرن: لماذا اخترت اللغة العربية من بين اللغات العالمية كافة؟ أجاب: لأنها لغة المستقبل، ولاشك أنه سيموت غيرها في حين تبقى هي حية حتى يُرفع القرآن نفسه»^(١).

ولقد أشار الأديب مصطفى صادق الرافعي إلى هذا الأمر نفسه عندما يقول: «إن اللغة العربية تمتاز على اللغات كافة بارتباطها بالأصلين العظيمين الخالدين القرآن والحديث، وليس يخفى أن الكيان الإنساني قائم على القوى الأدبية، وأصل هذه القوى في العالم الإسلامي هو القرآن، وهو كذلك أصبح من وجوه كثيرة كأنه أصل اللغة»^(٢).

ونحنا جبر ضومط عضو المجمع العلمي العربي بدمشق والأستاذ في الجامعة الأمريكية في بيروت المنحى نفسه في الإشارة إلى الترابط بين اللغة العربية والقرآن والحديث النبوي، إذ يقول: «في كل اللغات الراقية لهجات عامية مختلفة، ولكن اللغة الفصحى لغة المعلمين والمتعلمين، وهي لغة المدارس والجرائد والكتب، وإذا بقي الإسلام وسيبقى، فلغة القرآن الكريم والحديث النبوي وسائر الآداب العربية منذ عهد الرسول إلى اليوم أقوى من سائر اللغات الأوربية على هضم اللهجات العامية المختلفة. ولذلك فستبقى هذه اللغة الشريفة كما كانت لغة العلم والمتعلمين والأدباء والمتأدبين، ولغة الصحافة والمؤلفين إلى ما شاء الله»^(٣).

(١) محمد الخضر حسين- دراسات في العربية وتاريخها- الناشر المكتب الإسلامي- مكتبة دار الفتح- المطبعة التعاونية في دمشق- دمشق ١٩٦٠ ص ١٤.

(٢) فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية- منشورات وزارة الثقافة السورية- دمشق ٢٠٠٣ ص ٢٩.

(٣) المرجع السابق ص ٢٤.

وكان الشاعر خليل مطران أديب القطرين السوري والمصري قد أكد هذا الترابط في استمرارية اللغة العربية الفصحى لعلاقتها بالقرآن الكريم عندما يقول: «لا تنس أن الاستمرار في تعلم الفصحى وتعليمها والاهتمام بتسهيلها وتقريبها وتعميمها هو أنها لغة القرآن الشريف، وكفى بهذا بياناً لقوم مبصرين!»^(١).

ولم تقتصر الإشادة بمستقبل العربية على أبناء العربية وحدهم، وإنما أقرّ بذلك المستقبل لها عدد من المستشرقين الأجانب، فهذا هو ذا المستشرق الأمريكي «رتشرد كوتهيل» الأستاذ في جامعة كولمبيا يقول: «كان للعربية ماضٍ مجيد، وفي مذهبي أنه سيكون لها مستقبل باهر». ويعلل ذلك قائلاً: «إن شعباً له آداب غنية متنوعة كالآداب العربية، ولغة لينة مرنة ذات مادة، تكاد لا تفنى، لا يخون ماضيه، ولا ينبذ إرثاً، اتصل إليه بعد قرون طويلة عن آبائه وأجداده»^(٢).

وذهب المستشرق الأمريكي «وليم ورل» مدير مدرسة المباحث الشرقية الأمريكية في القدس سابقاً المذهب نفسه في الإجابة عن سؤال مستقبل اللغة العربية، إذ يقول: «أما سؤالكم عن مستقبل اللغة العربية فالجواب عليه أن هذه اللغة لم تتقهقر قط فيما مضى أمام أي لغة أخرى من اللغات التي احتكت بها، ويتنظر أن تحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت عليه في الماضي»^(٣).

ويعلّل رأيه بأن اللغة العربية لينة ومرونة يمكنها من التكيف وفقاً لمقتضيات هذا العصر، وليس من شك في أنه متى سنحت لها الظروف فإنها تستطيع أن تبلغ درجة من الدقة والرقي، تمكنها من التعبير عن أسْمى الأغراض العلمية.

(١) المرجع السابق ص ١٩.

(٢) المرجع السابق ص ٩.

(٣) المرجع السابق ص ١٥.

وإذا كانت الآراء السابقة تتجه إلى تأكيد استمرارية اللغة العربية في المستقبل فإن ثمة سنة من سنن الكون في سقوط اللغة، كان قد أشار إليها «ابن حزم» في كتاب «الإحكام» عندما يقول: «إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل، بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو تنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها، ونشاط أهلها وفراغهم. وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخاطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، ونسيان أنسابهم وأخبارهم، ويود علومهم؛ هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل والضرورة»^(١).

والواقع أن ما هو موجود بالمشاهدة يدل على أن ثمة استبعاداً للعربية وتهميشاً لها في العملية التعليمية التعلمية في معظم جامعات الوطن العربي، إذ إن اللغة الفرنسية هي المهيمنة في جامعات المغرب العربي، واللغة الإنجليزية هي المهيمنة في جامعات الخليج العربي. كما أن إتقان الأجنبية شرط للتعيين في القطاع الخاص، وفي المؤسسات الخدمية والسياحية في أغلب بقاع الوطن العربي، ولم تشتمل شروط التعيين على إتقان اللغة العربية.

وما هو موجود بالمشاهدة أيضاً أن ثمة غياباً للعربية على السنة معظم ممثلي الدول العربية في المحافل الدولية، على الرغم من أن العربية معتمدة لغة رسمية في هذه المحافل. ولم نذهب بعيداً فهذا هي ذي اللافتات والإعلانات والتسميات على واجهات المحال التجارية تنطق بالأجنبية، وها هم أولاء العاملون على الأرض العربية، يتحدثون بلغاتهم وبالأجنبية، ولا يعملون على تعلم لغتنا، ماداموا يقضون حاجاتهم ومتطلباتهم في منأى عنها!.

(١) محمد الخضر حسين - دراسات في العربية وتاريخها - مرجع سابق ص ٢١.

وإذا ظلت الأمور تسير على هذا المنوال فإن مستقبل العربية في خطر، ولا يكفي أن تكون لغة عبادة، بل نريدها لغة الحياة في جميع جوانبها وميادينها مادامت اللغة الأم والوطن الروحي للأمة ومستودع تراثها والموحدة والموحدة، وما دامت سماتها وخصائصها تؤهلها للاستمرارية، إلا أن من سمات العصر القادم التغير المستمر، وتلك هي سمة من سماته البارزة، فهل تستجيب العربية لخصائص العصر القادم وتواجه تحدياته؟ وهنا لا بد أن نتعرف بعضاً من تلك الخصائص والسمات والتحديات، لنتبين من ثم كيف يمكن للعربية أن تواجه تلك التحديات حفاظاً على بقائها واستمراريتها.

ثانياً. من خصائص العصر القادم

إن العصر القادم يتسم بسمات متعددة منها أنه عصر التفجر المعرفي والتطور السريع، وإذا كانت المعارف من قبل تحتاج إلى مئات السنين حتى تتضاعف فإنها تتضاعف في أيامنا خلال شهور، وستستمر عملية التفجر المعرفي في العصر القادم، وستزداد وتيرة تفجرها ازدياداً عالياً، فلقد أشارت إحصاءات المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة «اليونسكو» إلى أن المعارف تضاعفت بين الميلاذ و١٠٠٠، ثم تضاعفت بين ١٠٠٠ و١٥٠٠، وتضاعفت بين ١٥٠٠ و١٨٠٠ وتضاعفت بين ١٨٠٠ و١٩٠٠، كما تضاعفت بين ١٩٠٠ و١٩٤٥ ثم بين ١٩٤٥ و١٩٦٠ وبعدها بين ١٩٦٠ و١٩٦٨ إلى أن وصلت حالياً إلى عدة شهور.

وهكذا يتبين أن المدة التي كان يستغرقها التفجر من قبل كانت تزيد على مئات السنين ثم بدأت تتناقص إلى أن وصلت إلى أقل من عشر سنوات، ومن ثم إلى عدة شهور. ومن سمات العصر القادم أنه عصر العلم والتقانة (التكنولوجيا)، ويشهد العصر القادم تغيراً مستمراً ومتسارعاً في مجال التقانة، ومن ذلك أن واجهة المستخدم الحالي في التقانة قد بدأ في التغير، وستحل في المستقبل القريب واجهات جديدة مصممة للتعامل مع الأجهزة النقالة خاصة محل الواجهات الحالية التي تتضمن النوافذ، والأيقونات،

والقوائم، والمؤشرات، حيث ستحل الواجهات الجديدة باللمس، وحركات اليد، والصوت، والفيديو، وسوف تتحول التطبيقات إلى تطبيقات أكثر تركيزاً وبساطة، ويمكن تجميعها في حلول أكثر تعقيداً. وهذه التغييرات سوف تدفع إلى الحاجة إلى مهارات جديدة لدى تصميم واجهة المستخدم.

وثمة أجيال جديدة من أنظمة التحليل لتوقع المستقبل، وأن ضخامة البيانات في المستقبل لن تسمح للمستخدمين بوضع جميع المعلومات المفيدة في مستودع بيانات واحد. وسينشأ نموذج جديد هو مستودعات البيانات المنطقية التي ستستقي بياناتها من مصادر مختلفة للمعلومات. وستشهد تقانة المعلومات والاتصالات تطوراً كبيراً، إن على مستوى الأفكار الإبداعية، أو فلسفة العمل، أو النماذج التقانية المختلفة^(١).

ومن سمات العصر القادم أيضاً أنه عصر المزاوجة بين العلم والعمل، والنظرية والتطبيق، وذلك في مختلف ميادين المعرفة، كما أنه عصر الاتصال السريع، وما يترتب عليه من إزالة الحواجز بين المجتمعات والتأثر بالتيارات الثقافية المعاصرة وبالتيارات الفكرية والسياسية الجارية، وأن ثمة تناغماً بين أنظمتها السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية... الخ.

ومن سمات العصر أيضاً أنه عصر الدعاية والإعلان والإعلام، وأن الدول المتقدمة تنفق على إعلامها مبالغ طائلة، وتجند لخدمة أغراضها وأهدافها ومشروعاتها أساليب وطرائق لم تكن تعرفها المجتمعات من قبل، وأنها تتخذ الديمقراطية وحقوق الإنسان شعاراً لها في تنفيذ مراميها وأغراضها في الهيمنة على الشعوب المستضعفة وابتزازها، وهي كلمة حق أريد بها باطل!

(١) المهندس عبد الله عيسى - أهم عشر تقانات استراتيجية - مجلة المعلوماتية الصادرة عن الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية - السنة السابعة كانون الثاني ٢٠١٢ - العدد ٧١ - دمشق ص ١٩.

ويتسم العصر القادم أيضاً بأنه عصر التغير الاجتماعي السريع في العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم الاجتماعية والمعنوية، وأن ثمة طغياناً للمادة فيه على القيم الروحية، وطغياناً لقيم الاستهلاك على القيم المعنوية.

ولابد من الإشارة أخيراً إلى أن من سمات العصر القادم الابتكار والتجديد، وإذا كنا قد شاهدنا في نهاية العقد الأخير من القرن الماضي وفي العقد الأول من قرننا الحالي ثورات في مجالات متعددة واكتشافات علمية، إن في السماء أو في أغوار المحيطات، فإن العصر القادم سيحمل مفاجآت متعددة في جميع مجالات الحياة والميادين العلمية.

ثالثاً. اللغة العربية ومتطلبات مواجهة العصر القادم

لما كان العصر القادم متغيراً باستمرار، ومتفجراً بمعارفه وتقنياته ولا بقاء فيه إلا للأقوياء بلغاتهم ومعارفهم، والمهيمنين بثقافتهم وإعلامهم، ومضطرباً بمعايير وقيمه، كان على الأمة العربية، كي يكون للغتها البقاء والاستمرارية، ومواجهة تحديات هذا العصر، أن تعمل على:

حسم موضوع التعريب:

إن التسوية في تطبيق التعريب على نطاق الساحة العربية، والتلکؤ في اعتماد العربية لغة تدريس في الكليات العلمية في جامعات الوطن العربي، أمر يحتاج إلى إصدار القرار السياسي اللازم، إذ لا مسوّغ إطلاقاً لهذا التريث وذلك التسوية. وسيبقى الفكر العربي ناقصاً وغريباً إذا لم يقرأ، ويكتب، ويفكر فيه بالعربية، ذلك لأنه لا يتم فكر من غير لغة ذاتية له، ولا علم دون لغة تعبير ذاتية له. ولغتنا العربية، بما تتسم به من سمات الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب، مهياً لمواكبة روح العصر، وتعليم علومه كافة بها، إذ إن ما تمتاز به من غزارة الاشتقاق، وفيض التصريف في أفعالها وأسمائها، جعلها تستوعب

مصطلحات جديدة من غير أن تنزل عن أصولها وقواعدها ونظامها، ومن ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته^(١).

ولا يقتصر الأمر على دراسة العلوم مواد، وإنما لابد من دراستها طريقةً وتفكيراً وأسلوباً، مادام العصر هو عصر العلم، ومادامت اللغة هي وعاء الفكر.

وضع قوانين لحماية اللغة العربية:

إذا أردنا للغة العربية أن يكون لها مستقبل باهر ومكانة في العصر القادم فما على الدول العربية كافة إلا أن تصدر القوانين لحماية اللغة العربية، إذ إن للغة حدوداً، كما للوطن حدود، لابد من حمايتها من عبث العابثين، وتجاوزات المعتدين. فإذا لم يكن الإحساس بالانتماء والوعي اللغوي متوفرين لدى الفرد، واستهان بلغته الأم، وكان عاقباً تجاهها، فإن القوانين الرادعة هي التي تضع حداً لهذه الشريحة من أبناء الأمة، على أن تطبق هذه القوانين على الأرض العربية، وعلى ممثلي الدول العربية في المحافل الدولية.

اعتماد مبدأ التعلم الذاتي:

غني عن البيان أن طبيعة العصر القادم التفجر المعرفي والتطور السريع في مجال التقنية. ولما كانت المدارس والجامعات تزود الدارسين بأساسيات المعرفة ومفاتيحها فقط، كان عليهم كي يظلوا مواكبين روح العصر في تفجره المعرفي، أن يعتمدوا على أنفسهم في تلك المواكبة، ولا يمكنهم الاعتماد على أنفسهم إلا إذا كانوا مزودين بمهارات التعلم الذاتي، الذي هو أساس للتعلم المستمر مدى الحياة.

ويتجلى هذا التعلم الذاتي في البحث عن مصادر المعرفة في الموسوعات ودوائر المعارف وأمّهات الكتب والمعاجم، إن في مجال التخصص، أو في مجال الثقافة العامة. وتعد

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية وتحديات العصر - الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة

الثقافة - دمشق ٢٠٠٨ ص ٩١.

المطالعة الحرة سبيلاً لزيادة المعرفة، وسعة الاطلاع، وزيادة الخبرات، كما أن التقنيات التربوية تساعد الباحثين في بحثهم، وتوفر لهم البيانات والمعلومات إن هم أحسنوا استخدامها، ووظفوا معلوماتهم في تنمية مجتمعهم.

استخدام التقانات الحديثة:

تؤدي التقانات الحديثة دوراً أساسياً في مواجهة العربية لمتطلبات العصر، ولا بد من توظيف التقانة في خدمة اللغة العربية وفي مجالات تعليمها وتعلمها، إذ إن هذه التقانة قدّمت الآلات التعليمية وأساليب التعلم الذاتي باستخدام معامل اللغات والمعامل المصغرة والصور والأفلام وأجهزة العرض الحديثة والتلفزيون التعليمي والحواسيب والشابكة (الإنترنت)، وبذلك أصبحت الفرصة مواتية في المجال التعليمي لتفريد التعليم، بحيث يتعلم كل متعلم وفق استعداداته، وسرعته الخاصة، وميوله واهتماماته، تحقيقاً لأهداف التعلم الذاتي، والتعلم المستمر، والتعلم من أجل الإتقان.

وفي عصر العلم والتقانة والمعلوماتية أضحت اللغة هي الوجود ذاته، وأصبح هذا الوجود مرتبطاً بثقل الوجود اللغوي على الشابكة (الإنترنت). وقديماً قال سقراط لجليسه: «تكلم حتى أراك». أما اليوم فالشعار هو تحاور عن بعد حتى يراك الآخرون وتراهم، ومن ثم ترى ذاتك أنت، وهي بعيدة عنك، ولصيقة القرب منك، في عصر بات فيه سؤال الهوية: من أنا؟ ومن نحن؟ مطروحاً بشدة على أوسع نطاق^(١).

وغني عن البيان أن نسبة ما هو متوفر على الشابكة بالعربية إنما هي نسبة ضئيلة، وأن متطلبات العصر القادم تقتضي رفع هذه النسبة إذا أراد أصحاب هذه اللغة استمرارية لغتهم، والحفاظ عليها، والتمكين لها في عصر التقانة.

(١) الدكتور نبيل علي وناديا حجازي - الفجوة الرقمية - عالم المعرفة - الكويت ٢٠٠٥ ص ٣٠٦.

المرونة وتقبل التغيير:

وهذا مطلب أساسي من متطلبات العصر القادم، إذ مادامت طبيعة العصر القادم تتسم بالتغير السريع كان لزاماً على اللغويين أن يتسموا بالمرونة في تقبل التغيير، فالتشدد اللغوي من جهة، والتمحّل في استخدام اللغة، والتعقّر في ذلك الاستخدام من جهة أخرى، ذلك كله ينقّر من اللغة، كما أن التشدد في وضع الأبدال والمقابلات لبعض المصطلحات الأجنبية التي أصبحت عالمية، وشاعت على الألسنة والأقلام، أضحى لا يخدم اللغة في توسعها وانتشارها وشيوعها.

ولا يقتصر الأمر على التشدد في الاستعمال اللغوي ووضع المصطلحات، وإنما جاوزه إلى التشدد في إلزام المعلمين اعتماد طريقة واحدة في أداء عملهم التدريسي، وهذا ما يعمل على تقييدهم وشلّ الابتكار لديهم. ومن هنا كان اعتماد أسلوب الانتقائية في الطرائق بحيث تؤخذ إيجابياتها وتتلافى سلبياتها، نهجاً يتطلبه العصر القادم.

العناية بالصناعة المعجمية:

وتتجلى هذه العناية في العصر القادم بوضع معجمات عامة تجمع بين الأصالة والحداثة، ووضع معجمات نوعية في مختلف ميادين المعرفة على غرار المعجم الطبي الموحد، والمعجم الفلسفي، والمعجم التربوي والنفسي، ومعجم المعلوماتية... الخ. على أن تجدد مضامين هذه المعاجم باستمرار، وأن تواكب التفجر المعرفي في كل اختصاص، وعلى أن تنشر تلك المضامين على مواقع الشبكة (الإنترنت)، وأن توظف التقانة (التكنولوجيا) في صناعة تلك المعاجم وفي نشرها والترويج لها.

اعتماد التربية في العمق تحقيقاً للإبداع والابتكار:

لما كان العصر القادم هو عصر العلم والابتكار كان على أبناء الأمة أن يتزودوا بأساليب التفكير العلمي لمواجهة مقتضيات العصر، وبالمستويات المعرفية كافة، حتى يتمكنوا من توظيف المعرفة في واقع الحياة.

وإذا كانت التربية التقليدية تعنى بالمستوى الأول من مستويات المعرفة حفظاً وتذكراً واسترجاعاً، فإن التربية المعاصرة تنتقل بالمتعلم من هذا المستوى الذي يعد من أدنى المستويات المعرفية إلى مستوى الفهم، ومن ثم إلى مستوى التطبيق، بحيث يكون المتعلم قادراً على تطبيق ما تعلمه في مجالات جديدة مما يجري في بيئته وحياته اليومية، وما يعرض له من مواقف.

ولم تتوقف عند هذا المستوى، وإنما جاوزته إلى مستوى التحليل والتركيب بحيث يكون الدارس قادراً على تحليل المواقف التي تعرض له داخل المدرسة وخارجها ليرى إلى أي حد تراعى فيها الأفكار والمبادئ التي تعلمها، مع القدرة على ابتكار أساليب جديدة، تتضمن استخدام هذه المعلومات، وأخيراً يجيء مستوى الحكم الذي يعد من أرفع المستويات. وفي ضوءه يستطيع الدارس أن يصدر أحكاماً على المواقف التي تعرض له بمقتضى ما تعلمه نقداً، واقتراحاً، وتجديداً^(١).

والتربية الفعالة هي التي تحقق المستويات السابقة كلها في العملية التعليمية التعليمية، وتركز على التربية الناقدة التي تميز بين الغث والسمين، في عصر اختلطت فيه الأوراق، واضطربت فيه المعايير، وامتزج السم بالعسل، والزيف بالحقيقة. كما أنها تعمل في الوقت نفسه على تفجير الطاقات الإبداعية لدى الناشئة حتى يتكيفوا مع الأوضاع الجديدة المتغيرة في عصر، يتميز بكثرة التغيرات وسرعتها المذهلة.

ولقد وجد أن الإنسان يحقق ذاته في الإبداع، ومن خلال الإبداع، كما لوحظ أن النشاط الإبداعي يزود الناشئة بدافع داخلي يفوق في نوعيته وفعاليته جميع الدوافع الخارجية، وما النشاط الإبداعي إلا عملية تحليلية أولاً، فتركيبة ثانياً.

(١) الدكتور محمود أحمد السيد- في قضايا التربية المعاصرة- دار الندوة للدراسات والنشر- دمشق

وتجدر الإشارة إلى أن من الأمور التي تؤدي إلى الإبداع تربية الإرادة القوية، والتعلم الاكتشافي، والتعلم الذاتي، والشك، والتعزيز، والتفاؤل، والتفكير المنظومي. ولقد أشار جبران خليل جبران إلى أن مستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع، فإن كان ذلك الفكر موجوداً كان مستقبل اللغة عظيماً كماضيها، وإن كان غير موجود فمستقبلها سيكون كحاضر شقيقتيها السريانية والعبرانية^(١).

ويسأل: ما هذه القوة التي ندعوها قوة الابتكار؟ فيجيب: «هي في الأمة عزم دافع إلى الأمام، هي في قلبها جوع وعطش وشوق إلى غير المعروف، وهي في روحها سلسلة أحلام تسعى إلى تحقيقها ليلاً نهاراً، ولكنها لا تحقق حلقة من أحد طرفيها إلا أضافت حلقة جديدة في الطرف الآخر.

وهي في الأفراد النبوغ، وفي الجماعة الحماسة، وما النبوغ في الأفراد سوى القدرة على وضع ميول الجماعة الخفية في أشكال ظاهرة محسوسة^(٢).

ويرى جبران أن خير الوسائل، بل الوسيلة الوحيدة لإحياء اللغة، هي في قلب الشاعر وعلى شفثيه وبين أصابعه، فالشاعر هو الوسيط بين قوة الابتكار والبشر، وهو السلك الذي ينقل ما يحدثه عالم النفس إلى عالم البحث، وما يقرره عالم الفكر إلى عالم الحفظ والتدوين. الشاعر أبو اللغة وأمها، تسير حيثما يسير، وتربض أينما يربض، وإذا ما قضى، جلست على قبره باكية منتحبة حتى يمر بها شاعر آخر، ويأخذ بيدها.

ويتابع جبران قائلاً: «إذا كان الشاعر أبا اللغة وأمها فالمقلد ناسج كفنها، وحفار قبرها. وأعني بالشاعر كل مخترع كبيراً كان أو صغيراً، وكل مكتشف قوياً كان أو ضعيفاً،

(١) فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية

الغربية- مرجع سابق ص ٣٧.

(٢) المرجع السابق ص ٣٨.

وكل من لم يقف متهيّباً أمام الأيام والليالي فيلسوفاً كان، أو ناظوراً للكروم. أما المقلد فهو الذي لا يكتشف شيئاً، ولا يخلق أمراً، بل يستمد حياته النفسية من معاصريه، ويضع أثوابه المعنوية من رقع، يجزها من أثواب من تقدمه»^(١).

ومن هنا كانت طبيعة العصر القادم تحتم على العربية:

الاهتمام بالقراءة الناقدة.

الاهتمام بالمنشط اللغوية اللاصفية «مجلة المدرسة، مجلة الحائط، الإذاعة المدرسية، المناظرات، الحوارات واللقاءات، عقد الندوات، إلقاء المحاضرات، إجراء المسابقات... الخ».

ج- الكشف عن المواهب.

د- العمل على تنمية الموهوبين والمبدعين وتربية الإبداع.

هـ- تكريم الفائزين والموهوبين والمبدعين في جميع المجالات والفنون الأدبية.

إعداد الفرد للحياة:

ثمة من يرى أن أفضل إعداد للفرد إنما هو الإعداد للحياة؟ فما المقصود بإعداد الفرد للحياة؟ إن خصائص العصر القادم تحتم على الفرد أن يكون قادراً على فهم بيئته التي يتفاعل معها، والسيطرة عليها، والانتفاع بها إلى أقصى حد ممكن، تحقيقاً لاستمرار نمو الفرد، والمجتمع، وازدهار البيئة.

إلا أن إعداد الفرد لا يقتصر على إعداده للمجتمع فقط، ذلك لأن المجتمع يفهم عادة على أنه جسم ذو كيان مادي محسوس، وعلاقات مادية محسوسة، وقيم مادية محسوسة، أو نابعة من المادة. أما إعداد الفرد للحياة فذلك لأن الحياة هي الكينونة كلها بما فيها من جسد وروح، ومادة وفكر، ومن أعضاء ووظائف.

(١) المرجع السابق ص ٤٥.

والمجتمع يفهم عادة على أنه مجتمع بعينه، محدود بحدود الزمان والمكان. أما الحياة فهي غير حدود، وهي تيار مستمر يدخل فيه الماضي والحاضر والمستقبل، وهي تشمل هذا المجتمع، وذاك المجتمع، وكل مجتمع، أي تشمل المجتمع القومي خاصة، والمجتمع الإنساني بوجه عام^(١).

وهذا تكون الدعوة للحياة دعوة قومية ودعوة إنسانية معاً، ودعوة مادية وروحية، ودعوة اجتماعية وفردية. وتعليم اللغة وتعلمها ينبغي لهما أن يحققا تلك الدعوات لدى الفرد وذلك من خلال النصوص التي يتفاعل معها الدارسون، على أن يتم اختيار هذه النصوص في ضوء نسقين زماني ومكاني، إذ يحرص في النسق المكاني على الامتداد من الدائرة المحلية إلى الدائرة القومية، ومن ثم إلى الدائرة الإنسانية، بحيث تكتسب المناهج التعليمية ملامح الواقع المحلي، دون أن تنعزل عن الواقع القومي، ثم تنطلق من ذلك كله إلى الأفق الإنساني الواسع ليلتحم بالتجربة الإنسانية في قيمها الجمالية العليا، وإنجازاتها الحضارية المشتركة^(٢).

وإذا أردنا للغتنا العربية أن تستجيب لمتطلبات العصر القادم فإن على واضعي المناهج التعليمية أن ينتقلوا من الدائرة القطرية الضيقة إلى الدائرة القومية على الصعيد العربي، ومنها إلى الدائرة الواسعة، ألا وهي الدائرة العالمية، وأن يطلع المتعلمون على الآداب العالمية، في الوقت الذي يطلعون فيه على آداب أمتهم الماضية، والحاضرة، وتوجهاتها المستقبلية، وذلك بعد أن أصبح العالم قرية كونية.

(١) الدكتور لويس عوض - الاشتراكية والأدب - دار الآداب - بيروت ١٩٦٣ ص ٨.

(٢) الدكتور نهاد موسى - استعراض تجربتي عمان واليمن في تعليم اللغة العربية - اللغة العربية والتعليم رؤية مستقبلية للتطوير - مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية - أبو ظبي ٢٠٠٨ ص ٤٠٥.

العناية بلغة الطفولة المبكرة والتعليم الأساسي:

طالما رددنا القول: «العلم في الصغر كالنقش في الحجر»، وطالما أهملنا الطفولة المبكرة في حياة أمتنا مع أن الدراسات والبحوث العلمية أثبتت أن العصر الذهبي لاكتساب اللغة، لا بل أكثر من لغة، إنما هو في هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل. فإذا أردنا للعربية في العصر القادم أن تشيع وتكتسب فلنعتن برياض الأطفال والتعليم الأساسي، بحيث تكون مربيات الرياض ومعلمات التعليم الأساسي ومعلموها على درجة كافية وعالية من التأهيل والقُدوة الحسنة في ممارسة اللغة.

وتجدر الإشارة إلى أن لغة الطفل هي الأساس في تعلم اللغة، إذ تتخذ نقطة انطلاق، وقد يقول قائل: كيف ننطلق منها وهي العامية؟ إن الانطلاق يكون بتصحيح ما فيها من تحريف مما يحولها من عامية إلى عربية، بحيث يبذل الجهد لتهديب هذه اللهجة العامية، ويزود الطفل بين الحين والآخر بكلمات عربية صحيحة، ترادف ما يستعمله من الألفاظ العامية، مع ملاحظة أن تكون قريبة في شكلها من عامية الطفل.

«ويبدو من الوهلة الأولى أن هذا النهج يتعارض مع وجوب طبع النشء على العربية السليمة منذ البداية، وليس هناك في الواقع أي تعارض، إذ إن المقصود هو جعل لغة الأطفال منطلقاً لتعليم العربية بتصحيح ما فيها من تحريف، وبهذا يتجمع للطفل رصيد لفظي من الفصيحة بأيسر السبل، على أن يزداد هذا الرصيد بما يدرسه التلاميذ من قصص وأناشيد بعد ذلك بالعربية الفصيحة»^(١).

(١) الدكتور محمود أحمد السيد- في طرائق تدريس اللغة العربية- مطبوعات جامعة دمشق- ٢٠٠٨

تفصيح العاميات:

مادامت العاميات في الوطن العربي مستعملة في التعبير عن الحاجات وتنفيذ المتطلبات، ومادام في هذه العاميات حيز من الفصحح، كما أن بعض المفردات العامية تحتاج إلى تعديل طفيف في بعض حروفها حتى تعود إليها الفصيحة، كان الأمر يتطلب تفصيح هذه العاميات والارتقاء بها إلى مصاف الفصيحة، وفي ذلك خدمة للعربية في مستقبلها، وينعكس هذا التفصيح إيجابياً على مسيرة الفصيحة.

إعداد المعلمين الأكفيا:

إن طبيعة العصر القادم تستلزم إعداداً رفيع المستوى للمعلمين كافة، على أن تزود مناهج التأهيل والإعداد المعلمين بالتمكن من المادة ومهارات التواصل باللغتين العربية والأجنبية انسجاماً مع طبيعة العصر، وأن تزود البيئة التعليمية التعلمية بمختلف مصادر التعلم، وأن تكون ثمة مبادرات يقوم بها المعلمون لإغناء البيئة واستخدام التقانة في تيسير العملية التعليمية التعلمية، وعلى أن يركّز المعلمون على ربط المعارف النظرية بالعملية، وعلى الجوانب التطبيقية، وتعليم المتعلم كيف يتعلم؟ وكيف يعتمد على ذاته في اكتساب المعلومات واكتشافها؟ وكيف يتعلم تعاونياً مع أقرانه ضمن فريق عمل، يقوم بإنجاز المشروعات وحل المشكلات؟^(١)

ولابد أن يخضع المعلمون إلى دورات تدريبية مستمرة تجديداً لمعلوماتهم وأساليب تعليمهم، على أن تستخدم العربية في تلك الدورات، وأن يستعملها المعلمون كافة، وليس الأمر مقتصرًا على معلمي العربية وحدهم وإنما يشمل معلمي المواد كافة، مادامت اللغة وعاء المعرفة في جميع ميادينها.

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - دراسات تربوية - الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة الثقافة -

حرية المعلم:

إذا كانت التربية التقليدية تحد من حرية المعلمين، وتجبرهم على التقييد بالمنهج مضموناً، وطرائق تدريسية، وأساليب تقويم، فإن التربية الحديثة والمستقبلية تدعوان إلى حرية المعلم، فهو حر في اختيار طريقة التدريس التي يراها ملائمة لتحقيق أهداف درسه، كما أنه حر في اختيار النصوص الأدبية التي يراها مناسبة لمستويات الناشئة الذين يتفاعل معهم، وهو حر في اختيار أساليب التقويم الملائمة، على أن تكون هذه الحرية منظمة ومسؤولة في إطار الأهداف العامة للتربية في الدولة، ومنسجمة مع قيم الأمة وأصالتها، وتوجهاتها.

تفعيل المجامع اللغوية:

لما كانت المجامع اللغوية هي المرجعية العليا في شؤون اللغة العربية كان عليها واجب متابعة القضايا اللغوية، والعمل على كل ما من شأنه حماية اللغة العربية، والعناية بها، ومعالجة مشكلاتها، والاهتمام بإتقانها، والارتقاء بها.

وإذا كان التفجر المعرفي سمة من سمات العصر، ويحمل هذا التفجر مصطلحات جديدة في مختلف ميادين المعرفة كان على مجامع اللغة أن تتابع رصد هذه المصطلحات، ووضع البديل العربي لها قبل شيوعها وانتشارها على الألسنة والأقلام، ويصبح من الصعوبة بمكان محوها واستعمال البديل العربي المقابل لها. ومن هنا كان لابد من تفعيل عمل لجان مجامع اللغة العربية القائمة في الوطن العربي، وتفعيل عمل اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في سرعة البت، والتنسيق، مواكبة لمتطلبات العصر.

ومن متطلبات العصر القادم توسيع دائرة المجامع اللغوية في الوطن العربي، بحيث يعمل على إنشاء مجمع لغوي في كل دولة عربية يضطلع بدوره في الحفاظ على الفصيحة والارتقاء بواقعها.

الإكثار من جمعيات التمكين للعربية و حمايتها:

طالما حَمَلْنَا فِي كَثِيرٍ مِنْ نَدَوَاتِنَا وَمُؤْتَمِرَاتِنَا الْمَجَامِعَ اللُّغَوِيَّةَ، أَوْ وَزَارَاتِ التَّرْبِيَّةِ، مَسْئُولِيَّةَ تَدْنِي الْمَسْتَوَى اللُّغَوِيَّ، وَطَالَمَا قَذَفْنَا الْكُرَةَ مِنْ طَرَفٍ إِلَى آخَرَ، عَلِمًا بِأَنَّ مَسْئُولِيَّةَ النَّهْوِ بِاللُّغَةِ هِيَ مَسْئُولِيَّةٌ جَمَاعِيَّةٌ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَطْرَافِ أَنْ تَضطلع بِدَوْرَهَا فِي مَجَالِ الْارْتِقَاءِ بِالْوَاقِعِ اللُّغَوِيِّ، وَأَنْ يَكُونَ ثَمَّةَ تَنْسِيقٍ بَيْنَهَا فِي ضَوْءِ اسْتِرَاطِيَّةٍ وَاحِدَةٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهَا.

وَتُؤَدِّي جَمْعِيَّاتُ التَّمَكِينِ لِلُّغَةِ وَحَمَائِطُهَا، وَجَمْعِيَّاتُ أَصْدِقَاءِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، دَوْرًا أَسَاسِيًّا فِي الْعِنَايَةِ بِاللُّغَةِ، وَالْإِهْتِمَامِ بِقَضَايَاهَا، وَالْعَمَلِ عَلَى سِرُورَتِهَا وَانْتِشَارِهَا، وَالْحَوْوَلِ دُونَ التَّعَدِّيِّ عَلَى سَلَامَتِهَا. كَمَا يُؤَدِّي الْعَمَلُ التَّطَوُّعِيَّ دَوْرًا هُوَ الْآخِرُ فِي الْحِفَاطِ عَلَى اللُّغَةِ السَّلِيمَةِ فِي مِرَافِقِ الْمَجْتَمَعِ وَقَطَاعَاتِهِ.

وَمِنَ الْمَلَاظِظِ أَنَّ ثَمَّةَ تَقْصِيرًا فِي هَذِهِ الْجَوَانِبِ فِي حَيَاتِنَا الْمَعَاصِرَةَ، إِلَّا أَنَّ الْعَصْرَ الْقَادِمَ يَتَطَلَّبُ مِنَّا بَغِيَّةَ الْحِفَاطِ عَلَى مَوْقِعِ اللُّغَةِ الْفَصِيحَةِ وَمَكَانَتِهَا، الْإِكْثَارِ مِنْ جَمْعِيَّاتِ حَمَايَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَصْدِقَائِهَا وَلِجَانِ التَّمَكِينِ لَهَا، وَتَفْغِيلِ الْعَمَلِ التَّطَوُّعِيِّ لِحَدْمَتِهَا.

وَإِذَا كُنَّا نَرَى جَمْعِيَّاتِ لِحَمَايَةِ الْبِيئَةِ وَأَصْدِقَاءِ لَهَا، تَعْمَلُ عَلَى الْحَدِّ مِنْ تَلَوُّثِ الْبِيئَةِ، وَالتَّخْفِيفِ مِنْ حَدِّهِ، فَإِنَّ التَّلَوُّثَ اللُّغَوِيَّ فِي الْبِيئَةِ جَدِيرٌ، هُوَ الْآخِرُ، بِأَنَّ تَكُونَ لَهُ جَمْعِيَّاتٌ، تَعْمَلُ عَلَى تَنْقِيَةِ الْبِيئَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ مِنَ التَّلَوُّثِ الْفِكْرِيِّ، وَالتَّلَوُّثِ اللُّغَوِيِّ، بَعْدَ أَنْ اسْتَشْرَى هَذَا التَّلَوُّثُ فِي مَجَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلا سِيَّامَا الْمَجَالِ الْإِعْلَامِيَّ، وَعَلَى وَاجِهَاتِ الْمَحَالِّ التِّجَارِيَّةِ، وَالْحَدْمِيَّةِ، وَالسِّيَاحِيَّةِ، وَفِي الْإِفْتَاتِ، وَالْإِعْلَانَاتِ.

وَتَقُومُ هَذِهِ الْجَمْعِيَّاتُ أَيْضًا بِالتَّوْعِيَّةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَتُعْزِيزِ الْإِنْتِهَاءِ إِلَى جَانِبِ عَمَلِهَا فِي الْحِفَاطِ عَلَى سَلَامَةِ الْبِيئَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ مِنَ التَّلَوُّثِ اللُّغَوِيِّ.

العناية بالترجمة إلى العربية ومنها إلى اللغات الأخرى:

إن من متطلبات العصر القادم العناية بالترجمة لأن ثمة قصوراً كبيراً في مجالاتها إن على مستوى تكوين المترجمين وتدريبهم، أو على مستوى ما يترجم إلى العربية من اللغات الأخرى، أو ما ينقل من العربية إلى تلك اللغات، أو على مستوى حماية حقوق المترجمين.

وتلافياً لهذه الثغرات كان لا بد لمواكبة العصر القادم من وضع خطط للترجمة على الصعيدين المحلي القطري والقومي، والعمل على ترجمة الأعمال التي تهىء لتعريب التعليم في الجامعات والمعاهد العلمية، وتوفير ما يحتاج إليه المدرسون والطلاب في مختلف المجالات والتخصصات، وترجمة الدوريات الصحية، والأكاديمية، والتقانية، والبحوث، والرسائل الجامعية، تمشياً مع تدريس العلوم والتقانة باللغة العربية.

ولابد أيضاً من ترجمة المزيد من البرامج التلفزيونية التي تعمل على زيادة ثقافة المجتمع «برامج طبية، وصحية، وتوجيه أسري، وتعاون اجتماعي، وأعمال إنسانية، وأسرار كونية، وأسرار الصناعة... الخ». وترجمة الأفلام والمسلسلات التلفزيونية المناسبة، والمزيد من برامج المعلوماتية وأنظمتها، والنشرات، والكراسات الملحقة بالأجهزة، والأدوات، والمواد المستوردة^(١).

وإذا كان العصر القادم يتطلب الترجمة إلى اللغة العربية فإنه يتطلب أيضاً تعريف الآخرين من أبناء اللغات الأخرى بالحضارة العربية، وما أسهم به العرب في مسيرة الحضارة الإنسانية، ولابد من نشر روائع القيم الإنسانية في الثقافة العربية، وإطلاع الآخرين عليها لمواجهة سيورة القيم المادية وانحسار القيم المعنوية والإنسانية من العالم. وتلك هي مسؤولية أبناء الأمة العربية، ولكم هم مقصرون في هذا المجال إلى جانب تقصيرهم في ترجمة ثمرات العقول العالمية إلى العربية!

(١) الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية واقعاً وارتقاءً - الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة

الثقافة السورية - دمشق ٢٠١٠ ص ١٠٤.

الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية:

إن العناية بالترجمة إلى العربية، ومنها إلى اللغات الأخرى، تستلزم الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية، لأن إتقان اللغات الأجنبية إلى جانب إتقان اللغة العربية يسهم أيما إسهام في إغناء اللغة العربية، وينسجم ومقتضيات العصر القادم، ويحقق الربط الوثيق بين الأهداف القومية والإنسانية معاً، إذ من الأهمية بمكان تعلم اللغات الحية لتعرف منجزات التقدم الإنساني، دون أن يعني هذا إهمال لغتنا القومية، أو يكون مدعاة للشعور بالدونية تجاه الآخرين.

وإن الدعوة إلى تمكين العربية في المستقبل ليست ضد تمكين اللغة الأجنبية، فالحاجة إلى إتقان لغة أجنبية عالمية أو أكثر من لغة هي ضرورة ثقافية ومطلب حضاري أساسي لكل مثقف عربي أو غير عربي، مهندساً كان، أو طبيباً، أو خبيراً زراعياً، أو صناعياً، ليبقى على اتصال بمنجزات الركب العلمي في مجال اختصاصه، والوقوف على آخر ما توصل إليه نظراًؤه في العالم من حوله^(١).

تلك هي بعض الإجراءات لمواجهة تحديات العصر القادم، ولسنا في مجال الحصر، وإنما هي بنود قليلة من الإجراءات، وغيض من فيض، مما ينبغي لنا عمله تجاه الارتقاء بواقع لغتنا العربية في العصر القادم. وما من ريب في أن ما يجب عمله كثير وكثير، ومالا يدرك كله لا يترك جله، وكلنا أمل في أن تتبوأ لغتنا الأم «العربية الفصيحة» المكانة الجديرة بها في مستقبل الأيام، وأن يتوفر لخدمتها أبناء بررة، لأنها الشيء الوحيد الذي بقي في أيدينا على حدّ تعبير أستاذنا الدكتور عبد الكريم اليافي رحمه الله:

لم يبقَ شيء بأيدينا سوى لغة نصونها بسواد القلب والهذب



(١) المرجع السابق ص ١٠٥.

مراجعة الفصل

- ١- عبد الله عيسى - أهم عشر تقانات استراتيجية - مجلة المعلوماتية الصادرة عن الجمعية العلمية السورية للمعلوماتية بدمشق - السنة السابعة - كانون الثاني ٢٠١٢ العدد ٧١.
- ٢- فتاوى كبار الكتاب والأدباء في مستقبل اللغة العربية ونهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدينة الغربية - منشورات وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٣.
- ٣- الدكتور لويس عوض - الاشتراكية والأدب - دار الآداب - بيروت ١٩٦٣.
- ٤- محمد الخضر حسين - دراسات في العربية وتاريخها - منشورات المكتب الإسلامي - مكتبة دار الفتح - المطبعة التعاونية في دمشق - دمشق ١٩٦٠.
- ٥- الدكتور محمود أحمد السيد - في قضايا التربية المعاصرة - دار الندوة للدراسات والنشر - دمشق ١٩٩٢.
- ٦- الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية وتحديات العصر - الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠٠٨.
- ٧- الدكتور محمود أحمد السيد - في طرائق تدريس اللغة العربية - مطبوعات جامعة دمشق - دمشق ٢٠٠٨.
- ٨- الدكتور محمود أحمد السيد - دراسات تربوية - الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠١٠.
- ٩- الدكتور محمود أحمد السيد - اللغة العربية واقعاً وارتقاء - الهيئة العامة السورية للكتاب - وزارة الثقافة السورية - دمشق ٢٠١٠.
- ١٠- الدكتور نهاد موسى - استعراض تجربتي عمان واليمن في تعليم اللغة العربية - اللغة العربية والتعليم رؤية مستقبلية للتطوير - مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية - أبوظبي ٢٠٠٨.

فهرس المحتوى

محتويات الكتاب:

- الفصل الأول- اللغة والهوية ص(١٣)
- الفصل الثاني- العربية والعولة اللغوية ص(٤١)
- الفصل الثالث- اللغة العربية في الثقافة والإعلام ص(٥٩)
- الفصل الرابع- الكفايات اللغوية لطلاب ما قبل التعليم الجامعي ص(٨١)
- الفصل الخامس- مفاهيم ورؤى منهجية في تعليم العربية لأبنائها ص(١١٥)
- في المرحلة الجامعية (لغير المختصين).
- الفصل السادس- تدريس النحو بين التشدد والتسهيل ص(١٣٧)
- الفصل السابع- المنحى الوظيفي في تعليم النحو ص(١٦١)
- الفصل الثامن- دور المسؤولين في نشر اللغة العربية في مؤسساتهم وتنميتها ص(١٨٥)
- الفصل التاسع- واقع التمكين للغة العربية ص(٢٠٣)
- الفصل العاشر- مستقبل اللغة العربية ومتطلبات العصر القادم ص(٢٣٩)



